

56  
١٠١٠

# الدُّرُومُ الصَّادِقَةُ

## وَالْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ

تأليف

أَبْنَاءِ حَيْدَرَأَبَادٍ

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة النخف «في النخف»

---

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

BOBST LIBRARY



3 1142 02914 8551

کتابخانه (مکتب)

کتابخانه اربعه ائمه

بغداد

کتابخانه

بغداد

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

کتابخانه

۲۰۲۱ - ۲۰۲۲

Haydar, Asad

"  
(al-Imām al-Sādiq wa-al-madhāhib  
al-arbaʿah)

# الدُّرُومُ الصَّادِقَةُ

## وَالْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ

تأليف

أبي عبد الله

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة النجف «في النجف»

---

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

سید کاظم

BP

193

116

A3

H39

1956

v. 1

c. 1

# الأهتداء

الى : صادق بيت الوحي ، رضيع ثدي النبوة ورييب مهدي الامامة ،  
الى : منبثق أنوار العلم والهداية والتقى .  
الى : منهل شرائع السكتاب وسنة المصطفى .  
الى : امام الامة بالحق وقبوة الأئمة بالصدق .  
الى : ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه صلواة من ربه ورحمة .  
أرفع صحيفتي هذه وهي بضاعتي المزجاة راجياً حسن القبول فهو غاية  
النجاح ومنتهى الأمل والسعادة لعبدكم

أسر هيدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

القرآن الكريم

## المقدمة

في ساعة من ساعات الفراغ آويت لمكتبي ، ارواح النفس من عناء الدراسة الشاقة بمطالعة كتب السير والتاريخ ، وكل كتاب تناولته لم أجد فيه بغيتي ورغبت عن مطالعته من دون أن أعرف السبب الحقيقي لذلك ، حتى وقعت يدي على مقدمة ابن خلدون بدون مقدمة وكأنه كان هو المطلوب دون غيره .

فطالعتة وما كنت مستوفياً بحجائه من قبل ، فراقني اسلوبه وجذبي تعبيره ، ولم استوف الغرض من مطالعته حتى فوجئت بهذه الكلمة القاسية والقول المؤلم :

« وشذ أهل البيت في مذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به » .

فاخذتني الدهشة استغراباً ، إنها الجرأة على مقام أهل البيت وأصبحت

عند ذلك « كالمستجير من الرمضاء بالنار » .

وهناك نسيت نفسي وتجردت من العوامل التي دعنتني الى ملافاة هذا

الرجل والاجتماع به ، وشعرت ان الرجل كان منقاداً للعاطفة العمياء في هذه

الجرأة ، وجعلت أعلل نفسي في البحث عن المذاهب الاسلامية وتكوينها وبيان

مذهب أهل البيت ومكانته في التشريع الاسلامي ، وبقيت الفكرة تخامرني

وأنى لي بتحقيقها وأنا تحت سلطة شواغل لا تعرف الرحمة ولا تحلم بالعدل ولكن

إذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه ، فتسلمت رسالة من صديق فاضل من أهل الموصل (\*)

كنت قد اجتمعت به خارج النجف ، واتصلت به اتصالاً وثيقاً ، ودارت بيننا

البحاث علمية يطول ذكرها وكان يطلب مني في رسالته أن أذكر له شيئاً

---

(\*) هو الاستاذ السيد هاشم زين العابدين الموصلية من اسرة تعرف بالصراف

مات أبوه وهو طفل فكفله أخواله ( آل الدباغ ) نشأ متحرراً من قيود التقاليد طالباً للحقيقة

اجتمعت معه في ( ناحية الخضر ) وكان موظفاً هناك فدارت بيننا مراسلات مهمة ولازلت احتفظ بها

وتوفي رحمه الله في معهد الحقوق من الجامعة السورية وسنشر أهم رسائله وترجمته التي هي بقلم

صديقه السيد عبد الزهراء الخطيب .

عن حياة الامام الصادق لأنه لا يعرف عنه إلا انه ابن محمد الباقر استاذ أبي حنيفة .  
وهذا ما حفزني على نشر الحقيقة بالبحث عن حياة الامام الصادق عليه السلام  
وبيان مذهب أهل البيت وفقههم الذي انتشر في عصره ، ولا يتسنى لي  
الدخول في هذا المضمار دون أن أتعرض لذكر المذاهب الاسلامية ونشأتها  
والتعرف على أمتها بدراسة حياتهم دراسة تاريخية اظهاراً للحقائق وخدمة للحق ،  
فوضعت هذا الكتاب وقد منحته وقتاً من أوقاتي بالرغم من تلك العراقيل  
الشائكة التي كدستها الظروف في طريق الوصول الى الغاية ، وواجهت المصاعب  
وجهاً لوجه فجاء هذا المؤلف في عدة أجزاء متتالية وموسوعة كبيرة ، وقد أعطيت  
فيها صورة واضحة عن تلك العصور التي لها أثرها في إيجاد عوامل التفرقة بين المسلمين  
والتي فسحت المجال لخصومهم في التدخل بين صفوفهم بدافع التشفي والانتقام لئلا  
روح العداوة والتباغض .

ولم أجهد نفسي في ابراز الكتاب مؤثق العبارة رشيق اللفظ ولان فاتني  
التفوق في الانشاء وسعة الخيال ومهارة الفن في ابرازه فلن يفوتني إخلاص النية  
وصدق القول والتثبت في النقل والاتزان في الرد فهو بهذا الشكل أتقدم به خدمة  
لأهل البيت عليهم السلام بما استطعته، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب .

المؤلف



# المصادر

بين قوسين

## مدخل البحث

المصدر الأول هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثاني هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثالث هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الرابع هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الخامس هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر السادس هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر السابع هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثامن هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر التاسع هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر العاشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر

المصدر الحادي عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثاني عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثالث عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الرابع عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الخامس عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر السادس عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر السابع عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر الثامن عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر التاسع عشر هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر  
المصدر العشرون هو كتاب تاريخ العرب لابن الأثير في القرن السابع عشر

عن حياة الامام الصادق لانه لا يعرف في ذلك ما في غيره من اهل البيت  
 وهذا ما جرت عليه عادة الفقهاء في حجة الامام عليه السلام  
 وبيان مقتب من اهل البيت واهل البيت في حجة الامام عليه السلام  
 السبل في هذا الفقه الذي ان افترض ان الامام عليه السلام  
 وقد قيل ان الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت  
 في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت  
 في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت

**شعبان رافعه**

في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت  
 في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت  
 في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت  
 في حجة الامام عليه السلام واهل بيته اهل البيت

# المصادق

بين عمر بن

— ١ —

أتاح القدر لبني أمية فرصة نادرة ، إذ انتخب عثمان (١) خليفة للمسلمين بعد عمر بن الخطاب ، فأصبح زعيم الأمة ورب دستها المطاع ، وأميرها المسلط وخليفة صاحب الرسالة ، وبذلك برقت لهم الآمال من بين ظلمات اليأس ، وتنشقت روائح الراحة فتعلقوا بعري الفوز وطلع فجر ليلهم الذي باتوا ينشدون فيه أملمهم الضائع ويأسفون لحزبهم الفاشل .  
وبعد أن خاب كل أمل منهم في نيل بغيتهم لاعادة ذلك الحزب المنحل ، والمهزوم في ميدان المعارضة للحق .  
ولكن الأقدار تجري بين عشية وضحاها لامتحان الخاق وغرابة الناس ، فاذا بهم يسوسون الامة ويتلاعبون بالإمرة .  
ولسنا بصدد البحث عن حوادث عهد الخليفة عثمان ، وما فيه من بلاء ومحن وما لقي المسلمون من أبناء أبيه .

(١) عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس وامه أروى بنت كريمة ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، بويع له بالخلافة سنة ٢٣ و ٢٤ وقتل صبيحة الجمعة ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ فكانت خلافته ١٢ سنة وحوضر في داره ٢٢ ليلة ودفن في حش كوكب مقبرة لليهود واختف في عمره فليل ٩٠ و ٨٨ و ٧٥ و ٨٦ و ٦٣ انظر الطبري ج ٢ - حوادث سنة ٣٥

عندما أصبح مروان بن الحكم الطريد بن الطريد (١) والوزع بن الوزع أميناً عاماً ووزيراً خاصاً للخليفة الجديد ، يحيى بالأموال ويختص بخمس الغنائم ويتنعم باموال الامة بعد ذلك الشقاء ، ويتقلب باحضان الراحة بعد العناء .  
والاغيلة الذين على أيديهم هلاك الامة ، يتولون الحكم ويتلاعبون بالامرة كتلاعب الغلمان بالكرة وينزون على منبر رسول الله نزو القردة . (٢)  
فلنترك ذلك العهد وما فيه من احداث وحوادث ولا نناقش ذلك الانتخاب الذي فاز فيه عثمان ، لا بسابقة في الاسلام ، ولا قرابة في رحم ،

(١) مروان بن الحكم بن ابني العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد يوم احد وقيل عام الخندق وقيل بالطائف قال ابن عبد البر ولد على عهد رسول الله ( ص ) سنة ٢ من الهجرة وطرد رسول الله أباه وهو طفل لا يعقل ، وبهذا لا تثبت له صحبة .  
ويعرف مروان بخيطة الباطل ولما بويع بالخلافة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم لما الله قوماً امروا خيطة باطل على الناس يعطى ما يشاء ويمنع ونظر اليه على ( ع ) فقال وبلك وويل امة محمد منك ومن بنيك ، بويع له بعد معاوية بن يزيد سنة ٦٤ ومات سنة ٦٥ قتلته زوجته أم خالد بن يزيد وهو معدود فيمن قتلته النساء - انظر ابن عبد البر ج ٣ - ٤٢٨ بهامش الاصابة ط الاولى سنة ١٣٢٨ والحكم ابن العاص نفاه النبي ( ص ) الى الطائف ثم اعيد الى المدينة في خلافة عثمان وروى الزهري وعطاء ان اصحاب النبي ( ص ) دخلوا عليه وهو يلعن الحكم فقالوا يا رسول الله ماله قال دخل على شق الجدار وانا مع زوجتي فلانة فيكبح في وجهي ، ومصر النبي ( ص ) بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ( ص ) باصبعه فالتفت فرآه فقال اللهم اجعله وزعماً فزحف مكانه .  
ومر الحكم يوماً فقال ( ص ) ويل لامتى مما في صلب هذا ومن حديث عائشة انها قالت لمروان أما أنت يا مروان فاشهد ان رسول الله لعن أبك وأنت في صلبه وطرده النبي ( ص ) ونفاه الى الطائف ورد عثمان ومات في خلافة عثمان سنة ٣٢ وضرب فسطاطاً على قبره وعاب الناس عليه ذلك - انظر الاصابة ج ١ - ٣٤٦  
(٢) حديث - اخرج ابن جرير في تفسيره قال : رأى رسول الله ( ص ) بنى الحكم ابن ابني العاص ينزون على منبره فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات وانزل الله في ذلك ( وما جعلنا الرؤيا التي ارىناك إلا فتنة للناس ) واخرجه السيوطي في الأوائل المنثور من حديث عبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي وغيرهم ( وطرق هذا الحديث كثيرة )

وما هو باولي من علي لو كان هناك انتخاب حر ومقاييس صحيحة .  
ونكل الأمر لأصحاب محمد الذين شاهدوا تلك الأوضاع الشاذة ، فاعلنوا  
مقاطعة الخليفة ، عندما اتى مقاليد الحكم بيد بني ابيه ، فقامت الجماعات بالتظاهر  
ضده في عاصمة المسلمين وفي طليعتهم أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير . و .  
فكانت هناك ثورة منحضت عن قتل عثمان في داره .

وجد معاوية (١) نفسه بدائرة ضيقة بعد قتل عثمان ومبايعة علي بالخلافة .  
أي علمان معارضة علي ؟ وقد عقدت بيعته على أكمل وجه وناصره أصحاب  
محمد ، والقلوب تغلي على بني أمية ، أم يدخل فيما دخل فيه الناس كارهاً كدخوله في  
الاسلام هو وأبوه من قبل وهو لا يجمل مكانة علي ومنزلته في الاسلام فهو أول  
القوم اسلاماً واقدمهم ايماناً وأفضل الناس بعد رسول الله واقربهم منه .  
نفس طبعت على العدل ولا تأخذها في الله لومة لائم ولا يستطيع معاوية  
أن يعمل في عهده عمله الذي يحاول به نجاح مهماته ، ولا ترض نفس معاوية أن  
ترسخ ، كما انه يعرف علياً وسيرته وخشونته في الأمر .  
وعلي يعرف معاوية ، وعلى أي طابع طبعت نفسه ، وهو أدري بحركاته وما يهدف  
اليه في دهائه ، الذي استطاع ان يستجلب به رضا عمر ويخاتل عثمان من قبل .

(١) معاوية بن ابي سفيان بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد  
قبل البعثة بخمس سنين وقيل سبيع سنين اسلم عام الفتح ومات في رجب سنة ٦٠ قال ابو عمر  
معاوية وابوه من المؤلفة قلوبهم وقال ابن ابي الحديد كان معاوية مطعون في دينه انظر ج ١  
ص ١١١ وقول الزمخشري في ربيع الأبرار في نسبه وكانت إمارة معاوية عشرين سنة وولاه عمر  
ابن الخطاب الشام وحاسب عماله إلا معاوية وبعد وقوع الصلح تم الأمر لمعاوية فاستقل مدة  
عشرين سنة .

إذا كيف يصنع معاوية ؟ إذا اشتد جانب علي وعظمت شوكته فكان موقفه تجاه هذه المشاكل موقف حيرة وارتباك وديناه حبلى ولا يعلم ما تلد فى الغد .

كاد معاوية ان يفر من ميدان المعارضة لعلي لأنه أعزل من كل سلاح يستطيع به مقابلة علي إن أعلن حربه وليس له حجة يستهوي بها قلوب الناس بماذا يدعي معاوية وأي أمل له بالخلافة والامرة على المسلمين ؟ هو يعرف نفسه ولا يفوته منها كل شيء ، فهو ابن هند (١) وابن ابي سفيان (٢) زعيم المشركين ومثير الحرب على صاحب الرسالة .

نعم كاد معاوية ان يهزم ويخضع لسلطان علي وهو كاره له ، ولكن خروج أم المؤمنين عائشة (٣) .

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد مناف والدة معاوية . كانت تثير شعور المشركين باراجزها فى حروبهم على النبي وتشجعهم هى وباقي نساء المشركين وكانت ترجز يوم أحد (نحن بنات طارق) وبذات لوحشى ما يجب ان قتل حمزة عم النبي (ص) فلما قتل مثلت به واستخرجت كبده فشوت منه واكلت - انظر الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ - ٤٦٦ . وتوفيت فى عهد عمر بن الخطاب فى اليوم الذى مات فيه ابو جحافة والد ابي بكر الصديق .

(٢) ابو سفيان : هو صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس وامه صفية بنت حرب الهلالية مات فى خلافة عثمان سنة ٣٤ وقيل ٣١ وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكان يكنى بابى حفظة الذى قتل يوم بدر كافرأ قتله على (ع) .

(٣) عائشة بنت ابي بكر الصديق زوجة النبي (ص) امها ام رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث باربع سنين دخل بها النبي (ص) فى السنة الثانية من الهجرة وهى بنت تسع سنين وتوفى عنها وهى بنت ١٧ أو ١٨ سنة وماتت سنة ٥٨ وقيل سنة ٥٧ ودفنت بالبقيع بصر منها وان تدفن ليلا وصل عليها ابو هريرة .

ونقض (١) طلحة والزبير (٢) بيعة علي فتحها له باب امل ارتج عليه من قبل ، فاسرع بالكتابة الى الزبير ( أي قد بايعتك وطلحة من بعدك فلا يفوتكما العراق ) وليس له بغية بهذه البيعة إلا الفرار من علي والخروج عن سلطانه ، إذ لا يجد من نفسه قدرة على اتباع علي ( فعلي مع الحق والحق مع علي ) .

وبهذه البيعة انتهى رأيه ليمتخلص من تلك المشاكل الشائكة ووجد فسحة في الامل وفرجاً بعد الشدة ان انتصر حزب المعارضين لعلي ( ع ) .

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وامه الصعبة الحضرمية شهيد اهدأ وابلى بها بلاءاً حسناً ولم يشهد بدرأً وآخى النبي ( ص ) بينه وبين الزبير وقيل بيه وبين كعب بن مالك وكان أحد أبطال الثورة على عثمان وقتل يوم الجمل مع عائشة قتله مروان بن الحكم أخرج البهوي بسند صحيح قال لما كان يوم الجمل نظر مروان الى طلحة فقال لا أطلب ناري بعد اليوم فنزع بسهم فقتله وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ٣٦ ومات وله أربع وستون سنة ودفن بالبصرة ثم نقل لما كان آخر فيها - انظر الاصابة ج ٢ ص ٢٣٠ وابن كثير ج ٧ - ٢٤٦

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى امه صفية بنت عبد المطلب أحد اصحاب الشورى الستة قتل يوم الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ وعمره ٦٦ ولا يعرف قبره اما قبره الحالى الواقع في مدينة الزبير قريباً من البصرة فقد شيد على الظن يقول ابن كثير في تاريخه ج ١١ - ٣١٩ في حوادث ٣٨٦ ما هذا نصه وفي مجرمها كشف أهل البصرة عن قبر عتيق فاذا هم بعيت طرى عليه ثياباً وسيفه فظنوه الزبير بن العوام فاخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً ووقفوا عليه أوقافاً كثيرة وجعل عنده خدام وقوام وتنوير .

ويقول ابو الفرج بن الجوزى في المنتظم ج ٧ - ١٨٧ في حوادث سنة ٣٨٦ ما هذا نصه ( فن الحوادث فيها ان اهل البصرة في شهر الحرم ادعوا انهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتاً طرباً بئياً به وسيفه وانه الزبير بن العوام فاخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد بين الربين وبنى عليه الاثير ابو المسك عنبر بناء وجعل الموضع مسجداً ونقلت اليه القناديل والآلات والحصر والسجادات واقم فيه قوام وحفظة ووقف عليه وقوفاً ( والله أعلم بحقيقة الحال ) .

ولعل معاوية في غفلة عن سلاح فاتك يستطيع به أن يأمل نجاح امره وتكون له حجة في مقابلة علي وهو الاعلان في الطلب بدم عثمان ، ولا استبعد بعد ذلك عن تفكيره أو انه غافل عنه فهو بداهته ومكره لا تعزب عنه هذه الفكرة ولكن في نظر الواقع أنها فكرة خاطئة وحجة ليس لها برهان فعمان قتل بأيدي المسلمين وما هو ولي دمه وليس منه في شيء وبنوه أولى بذلك ولا يعزب عن معاوية مثل هذا فهو بحاجة الى من يدعم حجته ويؤيد هذه الدعوى الكاذبة ، ولكنه جعل هذه الفكرة في حقيقة آماله ولم يستطع ابرازها إلا بعد أن عرف نجاحها بيد غيره ( والتجربة اكبر برهان ) فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر من تيم أعلن الطالب بدم عثمان الأموي وهي التي فتحت باب المؤاخذة عليه ووازرها على ذلك قوم أراقوا بأيديهم دمه بالأمس وهم يمسحون بها دموع الحزن المصطنعة اليوم ( واعثماناه انه قتل مظلوماً ) دوت هذه الصرخة واذا بالشام تقوم لها وتقعده .

انتحل معاوية لنفسه حق الطلب بدم عثمان وانه أقرب الناس اليه وأولاهم بدمه ، وان عثمان قتل مظلوماً وقد جعل الشارع لوليه سلطاناً .

إذا لمن يطالب معاوية والسكل مشتركون في اثارة الناس عليه ؟

وما غرض معاوية إلا مناوأة علي وجعله هو القاتل وحده ، ولم يلتفت الى المعارضات التي قام بها اصحاب محمد ضد عثمان ، فانهم ما كادوا يلمسون منه ميلا لانياء ابيه واخصاصهم بالغنائم وتولييتهم الأمر وتقريب مروان بن الحكم وجعله أميناً للدولة واهانة بعض الصحابة وتبعيد آخرين — حتى أعلنوا مقاطعته



والغضب عليه فهذا عبد الرحمن بن عوف (١) المناصر لعثمان والباذل جهده في انتخابه هجره وأوصى أن لا يصلي عثمان عليه - ١ - وكان يقول : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه وقال لعلي ( ع ) : خذ سيفك و آخذ سبفي فانه قد خالف ما أعطاني .

وكان طاحه من أشد الناس على عثمان حتى كان عثمان يدعو : اللهم اكفني طاحه فانه حمل علي هؤلاء وألبهم علي ، والله اني لارجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه - ٢ - :

وهذه أم المؤمنين عائشة تعلن معارضة عثمان ، وتخرج شعراً من شعر رسول الله ( ص ) وثوباً من ثيابه ونعللاً من نعاله ثم قالت : ما اسرع ماتركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يُبل بعد - ٣ - فغضب عثمان غضباً شديداً حتى مادري مايقول ، وكانت تقول : ان عثمان عطل الحدود وتوعد الشهود ، واغلظت لعثمان واغلظ لها ، وقال : ما أنت وهذا إنما أنت امرأة امرتي أن تقري في بيتك فقال قوم مثل قوله وقال اخرون : ومن اولى بذلك منها فاضطر بوا بالنعال وكان

١ - البلاذري ج ٥ - ٧٥ .

٢ - الكامل لابن الاثير ج ٣ - ٨٦ .

٣ - البلاذري ٥ - ٤٨ .

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري اسمه في الجاهلية عبد عمر - وقيل عبد الكعبة امه الشفاء بنت عوف بن الحرث بن زهر ولد بعد الفيل بـسنتين وكان من المهاجرين وشهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله ( ص ) وهو أحد الستة اصحاب الشورى وكان من أهل الثروة الطائلة وخلف من بعده الف بغير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس وأوصى بان يتصدق من ماله بخمسين الف دينار ووصلت احدى نسائه التي طلقها في مرضه عن ربيع الثمن بثلاث وثمانين الف انظر الرياض النضرة - ٣٨٩ وكان عنده من الذهب ما كسر بالفؤوس - وتوفي سنة ٣٢ وقيل ٣١ ودفن بالقيع .

أول قتال بين المسلمين بعد النبي (ص) - ١ - وهذا عمرو بن العاص وزير معاوية وشريكه في الامر كان من الثائرين والمحرضين على عثمان يقوم اليه في ملاء من الناس ويقول: انك قد ركبت نهاير وركبناها معك فتبنتب - ٢ - وقال له: اتق الله يا عثمان، فقال له عثمان: وانك هناك يا ابن النابغة قلت جبتك منذ عزلتكَ عن العمل ونودي من ناحية اخرى تب الى الله - ٣ - فخرج إلى فلسطين وأقام هناك وجعل يحرض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم ولما بلغه قتله قال: انا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها - ٤ - .

وجل الصحابة أظهروا الانكار على عثمان لسوء ما ارتكبه بنو أبيه الذين حملهم على رقاب الامة وكان جيش مصر تحت قيادة عبدالرحمن بن عديس البلوي وهو ممن شهد الحديدية وبايع بيعة الشجرة واشترك في حصاره جمع من أهل بدر كرفاعة بن رافع الانصاري وغيره .

وقتل نيار بن عياض وهو من الصحابة المحاصرين له .  
على ان النصوص التاريخية مجمعة بالاتفاق على مكاتبة الصحابة من أهل المدينة إلى من بالآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهاوا اليه فان دين محمد قد أفسده خليفتم - ٥ - .

ومهما يكن من أمر فقد أعلن معاوية الطلب بدم عثمان ولا يريد بذلك إلا اعلان الحرب على علي لانه يبغض علياً بغضاً لا يحمله قلب إنسان على وجهه

١ - البلاذري ج ٥ - ٨٤ .

٢ - الضبري ج ٣ - ٣٦٩ .

٣ - الكامل ج ٣ - ٨٠ .

٤ - البلاذري ج ٥ - ٧٤ .

٥ - الكامل ج ٣ - ٨٣ والبلاذري ج ٥ - ٦٠ والضبري ج ٣ - ٤٠٠ .

البسيطة ان معاوية يبغض علياً لا يمانه وعدله ، وعلي يبغض معاوية لئفائه وظلمه  
لذلك سلك معاوية طرق المكر والخداع واتخذ اعواناً هم على شاكته  
يثيرون الناس لحرب علي بتهمة قتل خليفة المسلمين ، ودب وهم هذه الفكرة في  
افتدة ضعفاء العقول والايان وأحاطوا بقميص عثمان ليكون عليه ويتوقدون لطاب  
القود من قاتله .

قدم قبيصة العبسي إلى المدينة رسولاً من معاوية ، فقال علي : ما وراءك ؟  
قال : تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود قال ممن ؟ قال : من خيط رقبتك ، وتركت  
ستين الف شيخ يكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق  
فقال علي : أمني يطلبون دم عثمان ؟ - ١ -

ما هذا العطف من معاوية على عثمان وهذه الرحمة المرتجلة اين كانت عاطفة  
معاوية على ابن عمه يوم كان محصوراً وترده اخباره ويستنجده فلا يجيبه بشيء  
ويستغيث به وفي أذنيه صمم . يحدثنا الطبري ج ٣ - ٤٠٢ ان عثمان كتب الى  
إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام ، بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فان أهل  
المدينة كفروا واخاعوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث الي من قبلك من مقاتلة أهل  
الشام على كل صعب وذلول . . فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره اظهار  
مخالفة اصحاب رسول الله (ص) وقد علم اجتماعهم .

لا يستطيع معاوية نصرته عثمان كيف وهو يحاول ان يتصر المسلمون عليه  
فيقتل فتكون له وسيلة لتجاح الخطط التي رسمها ضد علي وبنو هاشم لان الامويين  
يحاولون ان يكيلوا لهم صاع الانتقام بكل وسيلة ، وكانوا في حذر من تنازل  
عثمان عن العرش فتمثل ريجهم ويخيب كل أمل لهم في الأمر ، لذلك كان مروان

وباقى الحزب الأموي يقفون عاجزاً دون تحقيق ذلك وكلما أراد علي إصلاح أمر عثمان بالاتفاق بينه وبين الثائرين ، من طريق التفاهم وإيقاف تيار الخلاف عند حده لكن الأمويين يسلكون طرقتي الشعب ويوقدون نار الفتنة فكانت مواعيد عثمان كلها فاشلة وأعمال مروان تزيد حراجه الموقوف .

وكان الخليفة المقتول يأمل بمعاوية نصرته في تلك المشكلة ولكنه خذله بصورة لا مجال للتشكيك فيها .

ولما ازداد نشاط الثوار عاود عثمان أمه الفاشل فانتصر بمعاوية مرة أخرى فارس جيشاً تحت قيادة يزيد القسري وأمره أن يقيم بنى خشب ولا يتجاوز ، وقال له لا تغفل الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فأني أنا الشاهد وأنت الغائب ، فقام الجيش حتى قتل عثمان فاستقدمه معاوية إلى الشام وإلى هذا يشير أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ( ص ) بقوله لمعاوية : إن الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد عن نصرته لأنت .

فمعاوية بطلبه لثأر عثمان بعد موته وخذلانه له في حياته دليل على سوء نواياه وما يقصده من وراء ذلك .

وهو لا يقيم لقتل عثمان وزناً ولا يرى له قيمة ولكنها حجة استهوى بها أمة أخضعها لأرادته وسيرها كما شاء ، وإلا فإن قتل عثمان هم انصار معاوية وحزبه وهو يعرف ذلك .

ولجأ لهذه الوسائل لتمتعه الضروف يوماً ما أهلية المقابلة لعلي والبيت الهاشمي فهو بحاجة إلى إبراز شخصيته بصورة القبول لهذا الغرض .

وقد نجح معاوية في مخاتلته ومكره فقد أصبح خصماً لعلي وطرفاً مقابلاً والتف حوله ضعفاء العقول الذين يحاولون الوصول لغاياتهم بكل وسيلة فهم يقومون

في الاندية والمجتمعات وبثون بين الافراد والجماعات يذيعون بين الناس ان خليفة المسلمين قتله علي بن أبي طالب وهم يبكون ويتألمون واستدرجوا لهذه الغاية من عرف بالنسك ووسم بالصلاح لتكون كلمته أوقع في النفوس ، وسرت هذه الدعوى المفتعلة بخطى واسعة وتلقتها الاقطار الشامية بكل قبول فاصبح شتم قاتل عثمان على السننهم وهم يتوقدون بنار الغيظ لطالب الثار ومعاوية وحزبه يجركون شعور الناس بنشر قميص عثمان .

فيطول بكأؤهم ويعلونحبيهم واقسهوا ان لايمسهم الماء إلا للغسل من الجنابة وأن لايناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتله .  
وجاء عمرو بن العاص إلى دمشق راجلا ومعه ابنه يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول واعثماناه أنعى الحياء والدين حتى دخل دمشق وانظم لجانب معاوية على حرب علي وذلك لما بلغه بيعة علي لانه يكره ولاية علي وبيعته - ١ -  
وازداد نشاط خصوم علي بهذه الفكرة وقويت شوكة معاوية وعظم جانبه وبرأ الكل من دمه إلا علي وحده وانقلب المعارضون لعثمان والثائرون عليه الى جهة الشفقة والحنان .

وكانت أم المؤمنين عائشة تتطلع اخبار المدينة وهي في مكة وقد تركت عثمان محصوراً وقدم عليها رجل يقال له اخضر فقالت : ما صنع الناس ؟ قال قتل عثمان المصريين : فقالت : إنا لله وإنا اليه راجعون ايقتل قوماً جاؤا يطلبون الحق وينكرون الظلم والله لا نرض بهذا فهي بهذه اللحظة متمسكة بالانكار على عثمان وإن من رأيا أحقية المطالبين لعثمان والثائرين عليه ثم لقيها رجل آخر فسألته ما صنع الناس قال قتل المصريون عثماناً قالت العجب لاخضر زعم المقتول هو القاتل

ولم يظهر إلى هذا الحد منها تغير وتبدل ولكن عندما بلغها قتل عثمان وبيعة علي (ع) وهي تريد الخروج إلى المدينة نادى ردوني ان عثمان قتل مظلوماً - فاطلبوا بدم عثمان - ١ - .

ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الأمر لصاحبك (تعني علياً) ردوني قتل والله عثمان مظلوماً والله لا طلبن بدمه فقال لها الرجل ولم؟ والله إن أول من امال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، قالت قلت وقالوا وقولي الأخير خير من الأول فقال لها :

فمنك البداء ومنك الغير

ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الامام

وقات لنا إنه قد كفر

والنف حولها بنو أمية الذين هربوا إلى مكة وجاء طلحة والزبير فايدوا هذا الرأي وانظموا بجانب عائشة ومن هناك تألف جيش البصرة وكثر نعي عثمان وعلان الحرب على علي .

فكانت حرب الجمل (٢) وبعدها صفين وانتهت بذلك التحكيم الذي جرى بغير ما أنزل الله وارتحل علي إلى دار البقاء بعد أن أدى رسالته على أكمل وجه وأقام في الامة العدل وسار بسيرة الرسول واهتدى بهديه فصلاوات الله عليه ورحمته ومغفرته ورضوانه .

وقام من بعده ولده الحسن بنص من أبيه وهو ریحانة رسول الله وسبغه

١ - الضبرى ٣ - ٣٦٩ والكمال ج ٣ - ١٠٢ .

(٢) كانت حرب الجمل في سنة ٣٦ هجرية في جمادى الآخرة وقتل فيها من الطرفين عدد لا يقل عن عشرة الاف وفيها قتل طلحة رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله وقد اشتهر عنه قوله ايما اصابت فتج وكذلك وقعة صفين ابتدأت في هذه السنة وانتهت في امر التحكيم في شهر رمضان سنة ٣٧ .

الذي خلفه في أمته فكان ما كان من مقابلة معاوية له باعلان الحرب عليه ومقابله له بما يكره واستعماله طرق الخداع والمكر لتفريق الناس عنه ليضرب معاوية ضربة القاضية ويتم له الأمر بالظفر والغلبة .

فكان من حكمة الحسن وحسن تدبيره تنازله للصلح ليقف تيار غلبة معاوية عند حده وقيد بشروط تقف حاجزاً دونه ودون ما ربه ولكنه لم يف بشيء منها وكان يثقل عليه وجود الحسن في الوجود فتوصل إلى قتله بالسم فانا لله وإنا إليه راجعون وتم لمعاوية ما أراد. (وإن ربك لبالمرصاد)

ما كان معاوية يحلم يوماً ما بتلك العظمة فيتسّم عرش الخلافة الاسلامية لقد كان صعلوكاً لا مال له وذليلاً تحت عزة الاسلام ووسم هو وأبوه وحزبهم الفاشل باللقاء يوم فتح الله على نبيه ونصره نصرأ عزيزاً « ودخلوا في الاسلام وقلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على الاسلام يتر بصون الفرص لمخوسطوره وقلع جذوره . ما تغير شيء من نفسيات ابي سفيان وبنو أمية بعد دخولهم في حضيرة الاسلام قلامة ظفر . »

فلا يستغرب من معاوية تلك المقابلة التي قابل بها علياً بوجه لا يعرف الخجل فهو وريث ذلك العداة المتأصل بين بني هاشم وبنو أمية فتلك « عداوة جوهرية ذاتية يستحيل تحويلها ويمتنع زوالها » فما أعظم محنة المسلمين وما أشد بليتهم عندما يعود أمرهم لخصوم لا يعرفون الرحمة ولا عهد لهم بالعدل . وناهيك بما في القلوب من حقد وبما في النفوس من حب الانتقام ، وقد آن الأوان لتحريرك ساكن الغل واطهار مكمنون العداة .

وانه يثقل على معاوية ذكر علي بخير وتأتي نفسه أن يرى في الوجود

أنصاراً لعلي يحفظون به وصايا محمد ويرعون حقه ، لذلك أصدر أمره الى عماله عامة  
بنسخة واحدة : انظروا من قامت عليه البينة انه يجب علياً وأهل بيته فاحموه من  
الديوان واسقطوا عطاءه :

فما أعظم بلاء الامة عندما فتح معاوية عليهم باب التشفي والانتقام  
وما اكثر المأخوذين بهذه التهمة ومعاوية يحاول بذلك ان يوقع بين صفوف الامة  
عداء تتوارثه الاجيال وان يوجد العصبية بين القبائل ليشق الطريق الى غايته .  
ويحدثنا المدائني في كتاب الاحداث انه كتب الى عماله نسخة واحدة  
أن برأت الذمة ممن روى شيئاً في فضل ابي تراب واهل بيته ، وقام الخطباء في  
كل كورة ينالون من علي ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء  
أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي إذ استعمل عليهم زياد بن سمية وضم  
اليه البصرة فكان يقتل كل من اتهمه بحب علي وهدم داره وقطع الأيدي  
والأرجل ، فكان ذلك الدور أعظم خطراً على المسلمين .

أما الذين على شاكلة معاوية قد أخلصوا له وقاموا بما يجب فاعانوا شتم  
علي والبراءة منه . وبعد ذلك فكر معاوية ان هذا العمل الذي يقوم به لا يثمر كثير  
فائدة لانه عمل ارهابي وسرعان ما يتبدل الوضع ، فضم لهذا العمل شيئاً آخر من  
تقريب خصوم علي والمتظاهرين بعدائه والمعروفين بشيعة عثمان واغداق العطاء  
عليهم ومنحهم الصلاة الجزيلة ورعايتهم والعناية بهم وتسجيل أسمائهم وأسماء  
عشائرهم ليكونوا في محل الاعتبار ، ورفع أسمائهم للبلاد الأموي ليشملهم بعطفه  
ويرعاهم بلطفه ، فما أكثر المتقرين اليه خوفاً من شفرة السيف وظلمة السجن  
وضيق اللحد وعناء المطاردة والتبعيد .



ثم فكر معاوية بشيء يستطيع به نجاح خطه عندما يستعمل اولئك الدجالين وذوي الضمائر الرخيصة لوضع الأحاديث على صاحب الرسالة بما تشاء نفسه وتتطلبه رغباته بدون التفات الى مؤاخذه وعدم مبالاة بجرمة الكذب على الله وعلى رسوله كما انه لم تقف أمامه حواجز عند ارتكاب جرائم قتل المسلمين على الظنة والتهمة وسلب الأموال وهتك الاعراض وسيي النساء وهدم الدور والقاء الجثث في الطرقات والقتل في المساجد واخذ البريء بالسقيم الى غيرها من جرائم يتصدع لها قلب المسلم وتكاد نفسه تذهب حسرات .

وها نحن نتخطى عهد معاوية ولا نقف موقف المدقق الذي يريد حصرها فليس من غرضنا ذلك ، وكفانا رجال التحقيق من علماء الامة ، والتاريخ الصحيح اضبارة بيان وشاهد عدل فليس لنا من الوقت ما يتسع لنشر تلك الصحائف السود وذكر تلك الفظائع المؤلمة .

فاعمال معاوية سجلها التاريخ عليه وهي بعيدة عن روح الاسلام مجانبية للعدالة وضرب الحصانة عليه باسم الصحبة بدعة في الدين واقتراء عليه .

ومضى معاوية اسبيله مثقل باوزاره تاركاً وراءه ولي عهد فرضه على المسلمين بشكل حتمي كما فرض على نفسه الحلم الاصطناعي ومداراة الناس ليحملهم على اجابته ، ومن سوء حظ الامة ان يلي أمرها فاسق لا يعرف إلا الرذيلة وهو أشرف خلق الله وألغنهيم ، وسيعلم الذي مهد له ذلك وولاه رقاب المسلمين ، ولا يستبعد من معاوية وكيدته للاسلام ومحاربه له من البداية الى النهاية أن يرشح يزيد لعلمه بما طبعت عليه نفسه من الفسق وعدم المبالاة بما يرتكبه ليم الخطط التي رسمها معاوية في حياته لمحاربة الاسلام وأهل البيت وشرع في تطويقها في حياته وعهد الى يزيد لتنمو في عهده فينال معاوية غرضه . فكان يزيد كما أراد أبوه فقد قام بدور

خطر ومثل تلك العظام التي يقف القلم عند بيانها .  
فكانت با كورة عمله ان قتل الحسين ابن بنت رسول الله وسبي نساءه  
بصورة يذوب لها قلب كل انسان مهما اختلفت ملته ونحلته فضلا عن المسلم الذي  
يعرف الحسين ومنزلته من رسول الله ( ص ) ومكانته من الاسلام ، وما أعظمها  
من جريمة تقشعر لها الجلود وتذوب لها النفوس حسرات فكانت وقعة الطف  
سلسلة فجاج مروعة ونكبات أليمة ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وفي السنة الثانية أباح مدينة الرسول وترى جنده يجوسون خلال  
ديار الوحي ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنسل يتدفقون في شوارع ذلك  
البلد الطيب يهجمون على البيوت ، ليهتكوا اعراضاً ويسلبوا أموالاً فلا تزعجهم  
أصوات النساء المعولات على أزواجهن وأولادهن .

وترى مخدرات ذلك البلد كاسراب القطا تتخطفها البزات الجارحة ،  
أو كقطعان الغنم تتناهبها الذئاب الضارية فهن تحت تصرف اولئك الوحوش ثلاثة  
ايام يفعلون ماشاءوا ، ومروان بن الحكم ينظر تلك الفجائع فيهنز طربا ومرحاً  
يعجبه ان يرى شيوخ الصحابة ووجوه العرب وأبطال الاسلام يقادون لقائد  
الجيوش ليأخذ منهم البيعة ليزيد بيعة عبودية: فبعين الله ما لقيت الامة، ولا تخفي  
على الله خافية في الأرض ولا في السماء .

وفي السنة الثالثة هدم الكعبة ولعلها أبلغ امنية لنفس الامويين ليجعلوا  
يوماً بيوم الهبل واللات والعزى . هذا هو ولي عهد معاوية - الذي عرف لياقته  
للحكم وصلاحيته الامر فلنتترك عهده ونتخطى فظائعه بدون تفصيل فهي أشهر  
من أن تذكر .

وكانت هذه هي الحالة التي كانت عليها الامويون في سنة ٤٠ هـ .

تحول الأمر من بعد يزيد بن معاوية من آل أبي سفيان الى بني الحكم لأن عهد معاوية بن يزيد (١) لم يطل وفر بنفسه من ولاية ورثها بدون حق وهو يعرف أهلها وإن أباه وجدته غاصبون لها فصرح بذلك في خطبته فقال : إن هذه الخلافة جبل الله ، وإن جدي معاوية نازع الامر أهله ، ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ماتعلون ، حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله ( ص ) فقص عمره وانبت عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم بكى وقال : إن من أعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبته ، وقد قتل عترة رسول الله ( ص ) وأباح الخمر ، وخرب الكعبة ولم اذق حلاوة الخلافة ، فلا اتقلا مرارتها فشأنكم أمركم والله لأن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً ولان كانت شراً فكفى ذرية ابي سفيان ما أصابوا ، منها - ٢ - ثم تنازل عن عرش أقيم على جماجم الابرياء من المسلمين وخلع برداً نسج على نول المسكر والخداع والتمويه وفر بنفسه عن التلبس بتلك الجرائم فعفى الله عنه .

وولى الامر مروان بن الحكم - بعد أخذ ورد ووقوع فتن في الشام

(١) معاوية بن يزيد أبو عبدالرحمن ويقال أبو يزيد ويقال أبو ايلي استخلف بعهد من أبيه في ربيع الاول سنة ٦٤ وكان شاباً صالحاً وكانت مدة خلافته أربعين يوماً ولم يخرج الى الناس بعد هذه الحظبة ولا قبل شيئاً من الامور ولاصلى بالناس ومات وهو ابن ٢١ سنة وقيل ٢٣ وقيل غير ذلك ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق ولما حضرته الوفاة قيل له الانوصي فقال : لا اتزود مرارتها واترك حلاوتها لاني أمية ولما دمن حضر مروان دفنه فقال : اتدرون من دفنتم قالوا نعم معاوية بن يزيد فقال : مروان نعم هو أبو ايلي الذي يقول فيه الغزاري اني ارى فتنه تغلي مراحلها والمملك بعد ابني ايلي لمن غلبا

وغيره وتعصب بين القبائل وحروب في جميع الاقطار وكثرت الدعاة ضد  
بنى أمية .

فأصبح مروان خليفة المسلمين - ولم تطل أيامه ومات سنة ٦٥ قتلته زوجته  
أم خالد بن يزيد وهو معدود فيمن قتلته النساء - ١ .

ثم جاء دور عبد الملك بن مروان - بويع له بعد أبيه والامور مضطربة  
والبلاد توج من فوضى الأمويين وسوء سيرتهم وعبدالله بن الزبير قارب أن  
يتم له الأمر والمختار بن أبي عبيدة نهض لطلب ثار الحسين ونكل بقاتليه ومزقهم  
كل ممزق وشفى صدور قوم مؤمنين وقضى على علوج الشرك وقتل أولاد الانبياء  
فرحمه الله وجزاه خيراً فكان مجيء عبد الملك للحكم - مجيء فاتك لا يقف عند  
حد وناقم لا يعرف قلبه الرحمة وظالم لا عهد له بالعدل فكان دوره دور  
ارهاب وجور .

وبهذا الدور في عهد عبد الملك بن مروان ولد الامام الصادق (ع) في ليلة  
الجمعة غرة شهر رجب سنة ثمانين من الهجرة والأمة الاسلامية تلاقي تلك الأحكام  
القاسية وقد انتشر فيها دعاء الفساد وتحكم أئمة الجور واستولى على الاقطار الاسلامية  
أولئك الجزارون الذين يتقربون لأئمتهم بضحايا البشرية بدون جنابة والاحرار  
من الأمة الذين ينكرون تلك الاعمال الوحشية عرضة للاخطار ومحلاً للنقم .

ولد عليه السلام في حجر الرسالة ونشأ في بيت النبوة وترعرع في ربوع  
الوحي وتربى بين جده زين العابدين وأبيه الباقر ، أقام مع جده علي بن الحسين

اثني عشر سنة وقيل خمس عشرة سنة وعلى رواية المدائني ستة عشرة سنة وأخذ عنه في حياته وتربى في مدرسته وبدون شك ان جده زين العابدين هو أفضل الهاشميين وسيد أهل البيت في عصره وأعلم الأمة في زمانه وأورعهم وأصدقهم حديثاً وبعد وفاته تفرد بتربيته أبوه الباقر وهو هو في علمه وورعه فنشأ الامام تلك النشأة الصالحة وهو خليفة أبيه والمتحمل اعباء الامامة من بعده وعاشر آباءه بعد وفاة جده تسعة عشر سنة .

ولا شك ان الامام الصادق - نشأ في وسط مجتمع لا يتصل بآل البيت إلا من طريق الحذر والتكتم لشدة المراقبة التي تحوط بهم من السلطة الاموية ، وشاهد طلاب العلم يتصلون بمدرسة جده وأبيه وهم باشد حذر ، لان ذلك الدور لا يستطيع به أحد أن يتظاهر بالاتصال بآل محمد ومن عرف في ذلك فانما مصيره القبر أو ظلمة السجن إلى حيث الأبد .

نشأ الصادق ، في عصر تتنازع فيه الاهواء وتضطرب فيه الافكار وطغت فيه موجة الزندقة والالحاد وتلاطمت فيه امواج الظلم والارهاب . وتقرب الناس الى ولاية الامر بالوشايات والاتهامات فلا حرمة للنفوس ولا قيمة للدين ولا نظام يشمل الرعية بل هي فوضى والامراء يحكمون بما شاؤوا والرعية بين أيديهم العوبة لاغراضهم .

وأشد الناس بلاء هم انصار آل محمد وشيعتهم واتخذوا شتم علي سنة يتمون به فرضهم فلا يدخل الداخل الى مسجد ولا معبد ولا مجلس ولا حلقة علم إلا ويسمع تلك العبارات التي يعبر بها أولئك القوم عن سوء سريرتهم ولا يكاد يصغى لخطيب أو قصاص أو واعظ إلا وكانت براعة استهلاله شتم علي (ع)

فكان آل محمد يلاقون تلك المشاق ويواجهون تلك المصاعب بقلوب

مطمئنة بما وعد الله الصابرين وكل هذه الامور شاهدها الامام الصادق في نشأته أو أخذ عنها صورة واقعية قبل حدوثها فبعين الله ما لقيت الامة الاسلامية وما لقي آل محمد الذين هم حملة العلم ومبليغي رسالة الاسلام أدرك الامام الصادق صلوات الله عليه ثلاث سنين من خلافة عبدالملك ، وتسعة سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبدالملك ، وثلاثة سنين وثلاثة اشهر وخمسة أيام من خلافة سليمان ، وستين وخمسة واثم شهر من خلافة عمر بن عبدالعزيز وأربعة سنين وشهر من خلافة يزيد ابن عبدالملك وعشرين سنة من خلافة هشام بن عبدالملك ، وسنة واحدة من خلافة الوليد بن يزيد ، وستة اشهر من خلافة يزيد بن الوليد وبعده لم يبق خليفة للامويين بعينه لكثرة الاضطرابات حتى زال ملكهم في سنة ١٣٢ .

فكل هذه الادوار شاهدها الامام الصادق ، وهو يعيش وأهل بيته بتلك الدائرة الضيقة محاطاً بالرقابة ، لتلك الاتهامات التي يحو كها ضده المتقربون لخصوم آل محمد وهو يرى بين آونة وأخرى مصارع زعماء الشيعة وسجن آخرين ومطاردة السلطة لبقية السيف منهم ، وكان يطرق سمعه مدة تسعة عشرة سنة شتم جده علي (ع) وانتقاص آله وكان يرى بعض ولادة المدينة يجمع العلويين يوم الجمعة قريباً من المنبر يسمعونهم شتم علي وانتقاصه ، حتى ولي عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ فرفع السب عن علي (ع) كما سيأتي بيانه .

فكانت نشأة الامام الصادق نشأة خشونة وملاقات مصائب وخوض غمرات ومحن وبلاء ومع هذا كله فانه كان لا يمتنع من الجهر بالحق وارشاد الناس وتحذيرهم من مخالطة أولئك الظلمة وكان ينهى عن المرافعة اليهم وينهى عن الامتزاج بهم وإعانتهم في شيء ، والتولى لهم وقبول أي عمل منهم .

وفي أيامه كان خروج زيد بن علي في الكوفة فكان يلزم بتابعته ويقول

بايعوه ولما قتل زيد كان يابنه بكلماته البليغة ويلعن قاتله وذلك في أيام هشام بن عبد الملك ذلك الجبار الذي أظهر العدا لآل أبي طالب بصورة ارهاية بعد قتل زيد وأمر عماله بالتضييق عليهم وأن تمحى أسمائهم من ديوان العطاء وملاً منهم السجنون وكتب لعامله يوسف بن عمر الثقفي يقطع لسان السكيت ويده لانه رثى زيدا ومنع العطاء عن أهل المدينة لانهاهه أيامهم بالميل الى زيد وألزم آل أبي طالب بالبرائة من زيد الى آخر ما هنا لك من فحائع وأمور كانت تحوط بالامام وتنكد عيشه ولكن عناية الله قضت بأن يزداد شعور الناس نحو آل محمد مع تلك المحاولات التي اتخذها الامويون ، فكانت هنا اجتماعات ومؤتمرات سرية لحدوث إنقلاب عام يزيل مملكة الامويين وتحويلها لآل محمد وبانتشار الدعاة لهذه الفكرة وحصول خلاف بين الامويين انفسهم اضطرت الدولة ودب في جسمها الضعف وأحاطت بها عوامل الانهيار فكانت فترة سعيدة اغتمها الامام الصادق لفتح أبواب مدرسته وليقوم بما يجب عليه من توجيه الناس وبث الاحكام وتعاليم الدين فهو بين شيخوخة الدولة الاموية وطفولة الدولة العباسية قام في عصر ازدهار العلم لتعليم الناس حتى عد تلامذته أربعة آلاف رجل .

وكان بيته في تلك الفترة كالجامعة ، يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام ، فكان يحضر مجلس درسه في اغلب الاوقات الفان وبعض الاحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين - ١ - .

وكان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الاقطار النائية ، لرفع الرقابة وعدم الحذر فارسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جعفر بن محمد افلاذ أكبادها ومن كل قبيلة من بني أسد ومخارق ، وطبي ، وسليم ، وغطفان ،

وغفار ، والأزد ، وخزاعة وخنعم ومخزوم ، وبني ضبة ، ومن قريش ، ولا سيما  
بني الحارث بن عبدالمطلب ، وبني الحسن بن الحسن بن علي - ١ - .

ونقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم مثل يحيى  
ابن سعيد الانصاري ، وابن جريح ومالك بن أنس ، والثوري ، وابن عينية ،  
وأبي حنيفة ، وشعبة ، وأيوب السجستاني ، وغيرهم ، وعدوا أخذهم منه منقبة  
شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها : - ٢ - .

ونالت مدرسة الصادق شهرة عظيمة - كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله -  
ففي تلك الفترة السعيدة ، كان هو زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر .  
ويعتبر في الواقع أنه أول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام ، ولم  
يكن يحضر حلقاته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسوا المذاهب الفقهية فحسب  
بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية : - ٣ - .

---

- ١ - انظر كتاب جعفر بن محمد السيد الأهل

- ٢ - مجال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤال ج ٢ - ٥٥ .

- ٣ - تاريخ العرب للسيد مير علي الهندي ١٧٩ .



ما كاد المسلمون يلمسون من الامويين انحرافهم عن الدين واستهانتهم  
برجال الأمة ، ومحاربتهم أهل البيت حتى اشتد انكارهم على تلك السيرة الملتوية  
وذلك النظام الجائر الذي لا يعرف العدل ولا عهد للمسلمين به من قبل .

وكانت نهضة الحسين (ع) صرخة داوية فهي على دعاة الجور بركان  
بلاء ونقمة ولدعاة الحق شعلة هداية يستنبرون بها في طريق الوصول الى الدعوة  
الصالحة ، وأعقبها سلسلة ثورات دموية ، مهدت الطريق لحدوث انقلاب الحكم  
وابعاد أولئك القوم الذين تربعوا على دسسته ، فقد ثقلوا على الناس وطال عهدهم  
الجائر ، فكان افقهم مثقلا بسحب السخط على أعمالهم ، فتألفت الجمعيات السرية  
التي كان هدفها تحقيق ثورة اصلاحية ، لنقل الحكم من أمية التي تعتبر في الواقع  
عدوة للإسلام من البداية إلى النهاية ، إلى آل محمد الذين هم دعاة الحق  
وأئمة العدل .

وكان العباسيون في طليعة أنصار العلويين ، وهم أشد الناس حماساً لتحقيق  
ذلك الغرض . وكان لمحمد بن عبد الله بن الحسن نشاط سياسي في ذلك العهد ،  
وبويع في مؤتمر عقده الهاشميون من العباسيين والعلويين ، واول من بايعه السفاح  
وأخوه المنصور .

ومهما يكن من أمر فقد اندلعت نيران الثورة وهتافات الثوار الى الرضا  
من آل محمد فوقعت الواقعة بامية ودارت بهم الدوائر فزال ملكهم وأراح الله  
العباد والبلاد منهم ، وتطلع المسلمون الى العهد الجديد الذي يأملون به العدل وتطهير  
الأرض من الفساد .

٢ — جرت الحوادث ودارت عجلة الزمن ، وانتقل الأمر الى بني العباس الذين انتحلوا انطباق آل محمد عليهم دون غيرهم ، وبويع السفاح (١) فكان عهده عهد ثورة شغل الناس بمطاردة الامويين وتتبع البقية منهم واستطاع بمهارته ان يظهر للناس عطفه على أبناء عمه باكرامهم وعدم التعرض لهم يحاول بذلك جلب قلوبهم ، واقناع الامة التي ترى ان الحق لهم دونه وانه أحد الأفراد المطوقين بالبيعة لآل علي فاقضت سياسية الدولة الفتية أن يسير على خطة المجارات لأبناء عمه والتظاهر باخذ الثار من قتلة الحسين (ع) .

ولم تطل أيامه حتى مضى لسبيله وقد عهد بالأمر لأخيه المنصور (٢) وهو ذلك الداهية الذي صقلت جوهره الأيام وأعطته التجارب درساً من التيقض وجعلته يحذر أشد الحذر حتى من أقرب الناس اليه . قام المنصور والدولة لم ترتكز دعائمها على اسس قوية فهي مهددة من نواح شتى فالعلويون ، يرون العباسيين دعائمهم وأنصار دعوتهم والامة متجهة بانظارها اليهم ، وان الأمر لهم دونهم ، وقواد الثورة يرون ان قيام العباسيين بالأمر كحكومة مؤقتة يحولون الأمر عنها متى شاؤوا ، وبقية السيف من الامويين يخشى على الدولة من انتشارهم في الآفاق . وعلماء المدينة يجرون بالفتوى بان بيعة العباسيين غير صحيحة ، ومن هذا وذاك من الأمور التي تقف أمامه فتكدر عيشه ، وأهم شيء عنده أمر العلويين وفي طلبعتهم جعفر محمد الصادق - فكان يحذر أشد الحذر ويحاول زوال

(١) السفاح هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بويع له بالخلافة سنة ١٣٢ وتوفي بالجدي في الانيار يوم الاحد ١١ في ذي الحجة سنة ١٣٦ وكانت خلافته اربع سنين وتسعة أشهر .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو اكبر من أخيه السفاح وأمه أم ولد اسمها سلامة وكان اكبر من أخيه ابن العباس بويع له بالخلافة سنة ١٣٦ وكانت خلافته ٢٢ سنة وتوفي سنة ١٥٨ .

تلك العقبات بكل حيلة ولا يقف عند حد .

والمنصور عندما يلي الخلافة يرجع بتفكيره الى الوراء ويتذكر سالف أيامه وماضيه المحزن يوم كان جوالاً ، تتقاذفه أمواج الخوف ، وتسوقه الحاجة ، وطلب العيش الى رواية الحديث ، وهو لا يذنبى ضرب السياط وظلمة السجن في عهد الدولة الاموية ، ولا يذنبى استعطف الناس بمدح آل محمد ، وهو أحد رواة حديث الغدير - ١ - كل ذلك لا تتمحي صورته عن مخيلته فهو امامه ومعاه .

والآن وقد أصبح أمير المؤمنين تجبى له الأموال من الشرق والغرب ، وادوع في خزائنه ما يكفي للدولة عشر سنين بعد أن كان لا يجد درهماً واحداً ، وتحوط به آلاف من الجنود ، بعد أن كان يتطلع المسافة البعيدة وحده خائفاً ، فهو بحكم الغريزة الجنسية أن يشح بما اوتي حتى على نفسه ، فكان يرقع ثيابه ، ويحاسب على الدائق حتى عُرف به ، ويكون في حذر من أقل واهمة يتخيل بها زوال ملكه ، فخصنه بالسيف وجعل بينه وبين الخطر سوراً من أشلاء الأبرياء ، وبجرأ من الدماء التي حرم الله اراقبتها إلا بالحق .

ولنستعرض شيئاً من معاملته في حكمه وكيف كان هو في عهده .

اتخذ طبيباً نصرانياً يستعين به على قتل من لا يود أن يتظاهر في قتله فكان يدهس السم بالدواء فهذا الخصيب النصراني ( كان زنديقاً معطلا ) لا يبالي بمن قتل ، ارسل اليه المنصور يأمره بان يقتل محمد بن ابي العباس فاتخذ سمّاً قاتلاً ثم انتظر علة تحدث به فوجد حرارة فقال له الخصيب : خذ شربة دواء ، فقال هيئها فيأها له وجعل فيها ذلك السم ثم سقاه فمات منها . فكتبت امه تحبر المنصور فامر

بضرب الخصيب ثلاثين سوطاً خفيفة وسجنه ثم أطاقه وأعطاه ثلاث مائة درهم - ١  
هذه دية القتل في شرع المنصور .

وهناك نوع آخر من ألوان العذاب التي كان يعذب بها من وقع تحت قبضته ، وهو وضع الاحياء في البناء فهذه اطلال الهاشمية وبغداد لو تمكنت من الافصاح من شيء لكان أول شيء تفصح عنه هي جثث الابرياء الذين دخلوا في بطونها بدون جرم . وعند الله تجتمع الخصوم . لقد سلبت الرحمة من قلبه فلا يعرف لها موضع فيه ، وكان يقف أمام المشاهد المحزنة موقف رجل لثيم مسلوب الانسانية والعاطفة لا وقفرة الرجل الكريم الذي تؤلمه مناظر البؤس وترعجه مواقف الشقاء .

يمر موكبه عندما أراد الحج بابنة عبد الله بن الحسن وكان أبوها تحت اسره حمل مع من حمل من العالوين فارادت استعطافه والرفق بحال أبيها فانشأت :

ارحم كبيراً سنه متهدم      في السجن بين سلاسل وقيود  
وارحم صغار بني يزيد انهم      يتموا لفقرك لا لفقدي يزيد  
إن جدت بالرحم القريبة بيننا      ما جدنا من جدكم ببعيد

فكان جواب المنصور اذ كرتنيه ثم أمر به فاحدر في المطبق وكان آخر العهد به . هذه صورة من جور المنصور وقساوته لم تعطفه عاطفة الرحم ولم تدعه الانسانية الى الرحمة بهذه المسكينه ولم يراقب القربى وحرمة النسب وذل موقفها بين يديه وكيف يؤمل منه العطف على أهل بيت ينظر اليهم نظر خصم ملأ قلبه عليهم حقداً وانتفخت أوداجه غضباً .

إنه لا يرى للملك بقاء إن بقي منهم أحد في الوجود ، وكان الفتك بهم

هو شغله الشاغل ولا يتوقف في تنفيذ إرادته مهما كانه الأمر فقام بذلك العمل الارهابي وفتك بهم فتكا ذريعاً يوم دخل المدينة محتجاً ، باداء فريضة الحج ، وما الحج أراد ولكنه أراد أن يعرف حقيقة الامر عندما يقوم بمهمة الفتك بأل محمد . وهاهو يدخل المدينة وبنو الحسن في سجن رياح ، فأمر بالقبض على من بقي منهم فترى شرطه وقواده يعاومهم الغضب ويرتكبون الشدة ، يأتون ببناء علي واحداً بعد واحد ويودعون في السجن بأشد ما يتصور من القسوة ، وكان العباس ابن الحسن بن الحسن (١) واقفاً على باب داره وأمه تراقبه ، وقلبها كجنح الطير من الخوف فقبض عليه الشرطة ، فأخذتها الدهشة ولم تستطع شيئاً في الدفاع عنه إلا أنها طلبت منهم أن تشم ولدها وتودعه ، فكان الجواب بشدة وغازظة لا يكون ، وقبض على محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو بني الحسن لأمه ، فاحضره امامه وكلمه بما لا يليق ذكره وأمر بان يشق ازاره لتبدو عورته ، وأمر بضربه بالسياط فضرب حتى سال دمه ، وأرجعه لأخوانه فاقعد الى جنب أخيه عبدالله بن الحسن وكان قد أخذ العطش منه مأخذاً فاستسقى ماءً فلم يجسر أحد أن يسقيه إلا خراساني شنت طبيعته فسقاه ماءً .

ثم صدر المنصور أمره بحملهم من المدينة الى العراق بعد أن اثقلوا بالحديد وضربوا بالسياط وهو مطرب لنغمة السلاسل وانين المعذبين فسار ذلك الموكب في شوارع المدينة محاطاً بالجند وهو يسرع الخطا من المدينة الى الكوفة ، الى مقرهم

(١) هو العباس بن الحسن بن الحسن بن ابن طالب وامه عائشة بنت طلحة الجود بن عمر بن عبدالله التيمي وكان العباس احد فتيان بني هاشم وله يقول ابراهيم بن علي الشاعر :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت      عندي وعاد ضمير القلب وسواسا  
سعت اسمي لحاجاتي ومصدرها      برأ كريماً الثوب المجد لباساً

توفي في سجن المنصور سنة ١٤٥ هـ اسيع بقين من شهر رمضان وهو ابن خمس وثلاثين سنة

الآخر ذلك السجن المظلم الذي لا يعرف فيه الليل من النهار فقد أودعهم المنصور في بطن الارض ، وفعل بهم ما لا يفعل الحيوان المفترس بفريسته وعاملهم باقسى ما يتصور من الشدة .

لقي أبو عبد الله في هذين العهدين كثيراً من المشاكل ، فهو في العهد الأموي عرضة لأخطار أولئك القوم الذين يكيّدون آل محمد ( ص ) ويتوقعون الفرص للفتك بهم ، وهو في عصره عميد البيت النبوي وسيد الهاشميين والمبرز من آل محمد ( ص ) ومن رجال الأمة الذين كانوا يهيم الدولة أمرهم باتجاه الانظار اليهم ولا يستبعد من الأمويين أن يقابله بكل أذى وشدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى عصمه منهم ورد كيدهم عنه . ولما دب الضعف في جسم الدولة كانت فترة سعيدة استطاع الامام أن يركن الى الراحة والأطمئنان فتوافدت عليه طلاب العلم من رجال الأمة كما مر ذكره .

أما في العهد العباسي فهو قذى في عيونهم لانه زعيم أهل بيت ثارت الأمة لأجلهم وانهارت الدولة الاموية بالدعوة لهم .

وقد كان في أيام السفاح برفاهية نظراً للظروف والاضاع التي سايرها السفاح بمقتضى سياسة الدولة . وفي زمن المنصور كانت المشكلة أشد مما هي عليه من قبل ، فقد كان المنصور يقضاً لا يفوته ما لجعفر بن محمد من المنزلة في المجتمع ويعظم عليه إتجاه الانظار اليه وقد عاشره من قبل وعرف منزلته وعلمه ، لذلك كان حذراً منه أشد الحذر ، والخاوف تحيط به والاهام والشكوك تساوره ، كما

أن الوشاة ملؤا سمع المنصور من الاكاذيب على جعفر بن محمد (ع) مما جعله يحاول الفتك به .

وكانت سياسة جعفر بن محمد وانعزاله ونظره الى الامور بعين الواقع برهنت على كذب أولئك الوشاة وخفتت من سورة غضب المنصور بالنسبة ولكنها لم ترفع أصل الاتهام وكثرت الوشاة على أبي عبد الله الصادق (ع) فاثارت من المنصور كوامن ضغنه وحركت عوامل غيظه فنج في سنة ١٤٧ ودخل المدينة وأمر الربيع باحضار جعفر وقال له : أبعث الى جعفر من ياتينا به تعباً قتلني الله إن لم اقتله ، فتغافل عنه الربيع لينسأه ، ثم أعاد ذكره وقال : أرسل اليه من يأتيني به متعباً ، فلما حضر الصادق (ع) أعلم أبا جعفر حضوره ، فلما دخل عليه قابله بوحشية وكلام لا مجال لذكره .

وقال : اتخذك أهل العراق إماماً يجبون اليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغى العوائل قتلني الله إن لم اقتلك فقال : يا أمير إن سليمان أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك السنخ . فقال أبو جعفر الي وأنت عندي يا أبا عبد الله البريء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم أفضل ماجزى ذوي الارحام عن ارحامهم ، ثم تناول يده فأجلسه معه ثم قال علي بالمتحفة فاتي بدهن فيه غالية فخلقه بيده . ثم قال في حفظ الله وفي كلاءته . ثم قال : ياربيع الحق أبا عبد الله جائزة وكسوة ، قال الربيع فلحقته فقلت له : إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال (ع) قلت : اللهم احرسني بيمينك التي لاتنام ، واكفني بركنك الذي لا يرام ، واغفر لي بقدرتك علي ، لا أهلك وأنت رجائي ، اللهم انك أكبر وأجل ممن أخاف واحذر ، اللهم بك أذفع في

نجره واستعيز بك من شره . ١ -

وتركزت في ذهن المنصور فكرة الفتك بـجعفر بن محمد ، لأنه يعلم أن  
مئات الآلاف يقولون بامامته وتجي له الأموال وينظر بعين العظمة والاحترام ،  
كما أن أكثر المتزين حول المنصور والموازين له يذهبون الى القول بامامته .

وأراد امتحانه مرة ليكون له طريق في المؤاخذة . فدعا ابن مهاجر وقال :  
خذ هذا المال وآت المدينة والى عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد وأهل بيتهم  
وقل لهم إني رجل غريب من أهل خراسان من شيعتكم وقد وجهوا اليكم بهذا  
المال ، فادفع الى كل واحد منهم على هذا الشرط كذا وكذا فاذا قبض المال  
فقل إني رسول واحب أن يكون معي خطوطكم بقبض ما قبضتم مني . ومضى  
فلما رجع قال له ابو جعفر : ما وراءك ؟ فقال : أتيت القوم وهذه خطوطهم  
ما خلا جعفر بن محمد فاني أتيتته وهو يصلي في مسجد الرسول ( ص ) فجلست خلفه  
وقلت ينصرف واذا ذكر له فعجل وانصرف ، فالتفت إلي فقال يا هذا : اتق الله  
ولا تغرن أهل بيت محمد ، وقل لصاحبك اتق الله ولا تغرن أهل بيت محمد ،  
فانهم قريبا العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج ، فقالت : وما ذاك أصلحك  
الله ؟ فقال : ادنو مني فدنوت ، فاخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه  
ثالثنا ، فقال له يا ابن مهاجر إنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيهم محدث وان  
جعفر بن محمد محدثنا اليوم . ( ٢ )

وصعبت على المنصور تلك الطرق التي اتخذها جعفر بن محمد في حذرهم

١ - ابن الجوزي في صفوة الصفوة ج ٢ - ٩٦ وابن الصباغ المالكي في الفصول

المهمة ٢٠٧ والمفيد في الارشاد ٢٥ .

( ٢ ) ابن شهر اشوب ٢ - ٣٠٢ .



واحتياطه عن أي مؤاخذه من المنصور له ليستحل بها إباحة دمه فإنه لم يبق طريقاً إلا سلكه من ارسال الكتب المزورة عن لسان شيعة جعفر بن محمد يدعونه للنهوض وارسال الأموال الكثيرة مع اناس استخدمهم المنصور لهذه الغاية عساه أن ينجح بموافقة جعفر (ع) في قبض المال أو جواب الكتب ، ولكن تلك المحاولات ذهبت ونصيبها الفشل وكان المنصور يهيمه أمر جعفر بن محمد أكثر من غيره وله معه أخبار أهمل كثير من المؤرخين ذكرها ، وكانت بينهما صلة أيام بني أمية وعاشره في خلافته أكثر من عشر سنين ، ولقي في هذه المدة جهداً وامتنح غير مرة ، وكان الخطر محققاً به لأن المنصور لا يجبل مكاتته ، فهو الشخصية التي كان يتطلع إليها الناس يوم طلع فجر النهضة العلمية وكان مدرسته حركة واسعة ونشاط علمي ، وازدحم عليه طلاب العلم ، واشتهر ذكره ، وكان زعيم أهل الحديث في معركة أهل الرأي وأهل الحديث كما يأتي بيانه . فكان المنصور يخشى خطر هذه الشهرة ، ويجذر من حدوث انقلاب مفاجيء من قبل العلويين ينضم اليه علماء الأمة الذي اتصوا بجعفر بن محمد وعرفوا بمنزلة أهل البيت ، مع علمه بمعارضته لبيعة محمد بن عبد الله « فإنه اعترض على هذه البيعة معلناً أنها جاءت سابقة لأوانها ، ولكن المنصور يخشى أن ينضم الصادق لدعوة العلويين فيشتد الخطر على الدولة الجديدة .

ولكن جعفر بن محمد كان بحدسه الصائب ونظره الثاقب يحترق الحجب ويستشف أحداث المستقبل ويجبر بكثير من الكوائن قبل وقوعها .

فكان من رأيه عدم التعرض لطلب الأمر ، ونهى قومه عن عقد تلك البيعة وكان ينصحهم في التجافي عن شؤون الدولة في عصره . وقد عرض عليه الخليفة أبو مسلم الخلال وزير آل محمد في بدء الدعوة ، قبل وصول الجند اليه فإني

الامام قبولها ، ولم يقنع أبو سلمة بهذا الرد وحاول اقناع الامام بكل صورة ،  
وعندما أقبلت الرايات كتب أبو سلمة اليه : إن سبعين الف مقاتل وصل الينبا  
فانظر أمرك - ١ - فاجابه بالرد وان الأمر للسفاح والمنصور من بعده .  
وكان الصادق أخبر بصيرورة الخلافة لبني العباس دون غيرهم من الهاشميين  
( ولذلك كان أسد الهاشميين رأياً بمعارضته لبيعة النفس الزكية . والواقع ان  
أمة أهل البيت كثر تحدتهم قبل عصر الصادق عن الدولة الهاشمية وتعددت  
اشاراتهم الى ملك بني العباس وانهم سيطؤون أعناق الرجال ويمسكوا الشرق  
والغرب ويجمعون من الأموال ما لم يجتمع لأحد من قبلهم وان مدة ملكهم ستطول  
وتكون أضعاف مدة الدولة الاموية اخبروا بهذه الحوادث قبل وقوعها ) - ٢ -  
ومما يؤثر عن جعفر بن محمد في هذا الباب قوله : علمنا غار ومزبور نقش في القلوب  
ونقر في الاسماع عندنا الجفر الأحمر والابيض ومصحف فاطمة والجامعة فيه ما يحتاج  
الناس اليه - ٣ - .

١ - مناقب ابن شهر اشوب ٢ - ٣١٠

٢ - انظر - مؤرخ العراق ابن النوطي لمعالى العلامة الشيبلي

٣ - كشف الغمة ص ٢٢٧

## الامام الصادق

تاريخ حياته ، أحوال العلماء فيه ، مكانته العلمية ،  
مدرسته ، تلامذته ، ملوك عصره وامراء بلده .

التاريخ هو مرآة تأخذ الصور فتحفظها للأجيال ، وهو للجميع لا يختص  
بأمة دون أخرى ولا يتقيد برأي دين رأي ، وهو أمين ، والأمين يقبح به أن  
يخون أمانته .

يسجل الحوادث على ما هي عليها بصورها واشكالها فلا تغيير ولا تبديل  
ولا نقل صورة وترك أخرى . هذه هي وظيفة التاريخ الصحيح .

ولكن التلاعب السياسي الذي لعب دوراً هاماً في سيطرته على نظام  
التاريخ وتصرفه في سيره وسلب حرته في أداء أمانته جعلنا نعتزف بأنه لم  
يتمكن من أداء واجبه على الوجه الصحيح ، وقد أودعت في طياته أشياء هي أعظم  
عليه من وخز المدى ، وتركت أشياء هي فخزته عندما يؤديها للأجيال ، وان  
من المؤسف جداً أن يفقد التاريخ حرته وتلتوي به الطرق ، وإذا به ينظر في  
مرآة الغير ولا ينظر الغير في مرآته .

ولأن مني التاريخ بتلك القيود فهو لا يخلو من حقائق يطعن اليها كل  
باحث وها نحن على ضوء تلك الحقائق ننزع من أشواك العصبية والأهواء زهرة  
﴿ حياة الامام الصادق ﴾ وإن أكثر المؤرخين قد أهملوا أخباره وسيرته ولم  
يذكروا إلا النزر منها ، ومن وقف على ما كتبه ابن كثير في تاريخه عن بعض

الشخصيات التي لاقية لها في سوق الاعتبار يعرف مدى انحرافه وانه أهمل الواقع وظلم الحقيقة وتراه عندما يأتي لذكر جعفر بن محمد الصادق في حوادث ١٤٨ يقتصر على قوله : ( وفيها مات الامام جعفر الصادق ) ، ولا يروق له ذكر شيء عن حياته .

واغرب شيء وقفنا عليه أن البحاثه محمد محي الدين المعروف بالتتبع وضبط الالفاظ في تصحيحه وتعليقه على الكتب أهمل اسم جعفر بن محمد وغير اسمه فيقول عند ذكر وفاته في العنوان - وفاة محمد بن جعفر العلوي انظر مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٢ طبع دار الرجاء . وهب أن ذلك غلط مطبعي أو من الناسخ في أصل الكتاب فان الواجب عليه التنبيه والالتفات لهذا الغلط .

ومثل شخصية جعفر بن محمد تلك الشخصية الاسلامية العظيمة يجب على التاريخ اعطاءها حقها من البحث فهو ابرز شخصية في عصره واعلم الأمة على الاطلاق ، ولا تتجاوز الحقيقة إن قلنا ان الامام الصادق (ع) كان أعلم أهل عصره وهو أولى الناس بحفظ أمانة الدين ، ولا نبعد عن الواقع ، إن قلنا ان تلك الخطوات التي سار عليها في عصر ازدهار العلم قد اعطت الأمة درساً ، وعلمتهم كيف يجب أن يكون المصلح الذي يقتدي به عطاء الأمة ورجال الدعوة ، وان يستقل العالم بمؤهلاته النفسية ويفرض نفسه على المجتمع بقيمه الروحية ، بدون التزام بالقوة . بل الأولى أن يكون مقبولاً من حيث هو ، لامن حيث الارهاب والسلطة أو المغريات الخداعة ، وإن الكثير ممن درسوا حياة الامام الصادق (ع) إنما سلكوا طرق الحذر والتكتم ، فتلك دراسة سطحية لا تتجاوز حدود دائرة الحذر أو التعصب ، وقد رسمت صورته في إطار التأريخ بريشة مفن مرتعشة أخذت معانيها من طريق التلقين لامن طريق الفن والواقع ، لذلك لم تبرز طبق الاصل

ومع هذا فقد جاءت سليمة من التشويه وفريدة في الابداع .  
وغرضنا في البحث عن حياة الصادق بيان منزلته العلمية بالقياس إلى غيره ممن  
أخذ الشهرة وما هو منه في شيء والاسباب غير مجهولة والحقيقة غير صامته . وهنا  
يلزمنا أن نتخلى عن الموضوع ونستمع إلى أقوال علماء الأمة ورؤساء المذاهب  
وحفاظ الحديث وكبار المؤرخين والكتاب من القدماء وبعض المعاصرين بدون  
احاطة للكل ، بل من يحضرنا ذكره فلنضع لأقوالهم تهيداً للبحث .  
في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتاج الله به على خلقه ، وحجة زماننا  
ابن أخي جعفر لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه - ١ -

زيد بن علي (ع)

إن جعفرًا كان ممن قال الله فيه : ( ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا  
من عبادنا ) . وكان ممن اصطفاه الله وكان من السابقين في الخيرات - ٢ - وانه  
ليس من أهل بيت إلا وفيهم محدث وان جعفر بن محمد محدثنا اليوم . - ٣ -

المنصور الدوانيقي

جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاثة  
خصال ، إما مصل ، وأما صائم وأما يقرء القرآن ، وما رأيت عين ولا سمعت اذن  
ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً - ٤ -

مالك بن انس

١ - مناقب ابن شهر اشوب ٢ - ١٤٧

٢ - اليعقوبي ٣ - ١١٧

٣ - المناقب ٢ - ٣٠٢

٤ - تهذيب التهذيب ٢ - ١٠٤

كنت إذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين - ١ -

عمرو بن المقدم

مارأيت افقه من جعفر بن محمد لما اقدمه المنصور بعث الي فقال : يا أبا حنيفة ان الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهبيء له من المسائل الشداد فبيأت له أربعين مسألة ، ثم بعث الي أبو جعفر وهو بالحيرة فاتينته فدخات عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه فلما ابصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق مالم يدخلني لأبي جعفر ، فسلمت عليه واوماً إلي فجلست ثم التفت اليه فقال يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة فقال : نعم ، ثم اتبعها قد أتانا كأنه كره مايقول فيه قوم انه إذا رأى الرجل عرفه ، ثم التفت المنصور إلي فقال : يا أبا حنيفة الق على أبي عبد الله من مسائلك فجعلت القي عليه فيجيبني ، فيقول انتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا وربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعا حتى اتيت على الاربعين مسألة ، ثم قال أبو حنيفة : السناروينا ان اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟ - ٢ -

ماهدنا يبشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ويتروح إذا شاء فهو هذا وأشار الى الصادق .

ابن أبي العوجاء

جعفر بن محمد الصادق هو ذو علم غزير وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المتتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة مات عرض

١ - تهذيب التهذيب ٢ - ١٠٤

٢ - مناقب أبي حنيفة للدوق ج ١ ص ١٧٣ وجامع اسانيد أبي حنيفة ج ١ ص

٢٢٢ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٧

للإمامة قط ولا نازع في الخلافة أحداً ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يقع في شط  
ومن تعلاّ إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط - ١ -

أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني  
الامام الصادق كان من بين أخوته خليفة أبيه نقل عنه من العلوم ما لم ينقل  
عن غيره . كان رأساً في الحديث ، روى عنه يحيى بن سعيد وابن جريح ومالك  
ابن انس وابن عيينة وابو أيوب السجستاني وغيرهم  
القرماني في تاريخه

جعفر بن محمد كان من سادات أهل البيت فقيهاً وعلماً وفضلاً .

ابن حبان

جعفر بن محمد ثقة لا يسئل عن مثله - ٢ -

الحافظ أبو حاتم

جعفر بن محمد هو من علماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم جمّة وعبادة  
موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بينة وتلاوة كثيرة يتتبع معاني القرآن ويستخرج  
من بحره جواهره ويستنتج عجائبه ويقسم أوقاته على انواع الطاعات بحيث يحاسب  
عليها نفسه ، رؤيته تدّكر بالآخرة ، واستماع كلامه يزهد في الدنيا ، والافتداء  
بهدية يورث الجنة ، نور قسامته شاهد انه من سلالة النبوة ، وطهارة افعاله تصدع  
انه من ذرية الرسالة ، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من اعيان الأمة  
وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الانصاري وابن جريح ، ومالك بن انس والثوري  
وابن عيينة ، وايوب السجستاني وغيرهم ، وعدوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها

١ - الملل والنحل ج ١ - ٢٧٢ - ط ٢

٢ - تهذيب التهذيب ٢ - ١٠٤

وفضيلة اكتسبوها - ١ -

جمال الدين محمد بن طلحة الشافعي

جعفر بن محمد الامام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق أقبل على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ونهى عن الرئاسة والجموع - ٢ - أبو نعيم

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرئاسة - ٣ -

عبدالرحمن بن الجوزي

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب وكنيته أبو اسماعيل ويلقب بالصادق والطاهر والفاضل ، واشهر القابه الصادق - ٤ -

أبو المظفر يوسف شمس الدين

أدركت في هذا المسجد ( يعني الكوفة ) تسعمائة شيخ كل يقول حدثني

جعفر بن محمد - ٥ -

الحسن بن علي الوشاء

جعفر بن محمد ، ازدحم على بابه العلماء ، واقتبس من مشكاة انواره

الاصفياء ، وكان يتكلم بغوامض الاسرار وعلوم الحقيقة وهو ابن سبع سنين - ٦ -

عبدالرحمن بن محمد الخنفي البسطامي

جعفر بن محمد ، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ، ويقال : ان أبا حنيفة

١ - مطالب السؤل ج ٢ ص ٥٥

٢ - حلية الاولياء ج ٣ - ١٩٢

٣ - صفوة الصفوة ج ٢ - ٩٤

٤ - تذكرة الخواص ٣٥١

٥ - المجالس للسيد الامين ج ٥ - ٢٠٩

٦ - مناهج التوسل ١٠٦ الجواب



من تلامذته وكذلك سفيان الثوري . وحسبك بهما في هذا الباب - ١ -

أبو بجر الجاحظ

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقيه صدوق - ٢ -

ابن حجر العسقلاني

مناقب الصادق فاضلة ، وصفاته في الشرف كاملة ، جرى على سنن آباءه الكرام وأخذ بهديه وهديهم عليه وعليهم السلام ، ووقف نفسه الشريفة على العبادة وحسبها على الطاعة والزهادة ، واشتغل باوراده وتهجده وصلاته وتعبده لو طاوله الفلك لتزحزح عن مكانه .  
الوزير أبو الفتح الاربلي

أبو عبدالله الامام المعظم جعفر الصادق ، صاحب الخارقات الظاهرة والآيات الباهرة الخبر بالمعنيات الكائنة أمه وأم أخيه عبدالله أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر وأمها اسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ولذا كان جعفر بن محمد عليه الرضوان يقول ولدني أبو بكر مرتين ولد سنة ٨٣ وتوفي سنة ٤٨ ودفن بالبقيع - ٣ -

محمد بن حمزة بن زهرة

جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأَكابر كيجي بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني - ٤ -

أحمد بن حجر الميمني

١ - رسائل الجاحظ للسندوبى ١٠٦

٢ - تقريب التهذيب ٦٨

٣ - غاية الاختصار ٦٢

٤ - الصواعق المحرقة ١٢٠

ولد الصادق بالمدينة يوم الجمعة عند طلوع الفجر سنة ٣٨ وعاش ٦٥ سنة  
وكانت امامته أربعاً وثلاثين سنة ، وقد نقل الناس عنه على اختلاف مذاهبهم  
ودياناتهم ما سارت به الركبان ، وقد عد اسماء الرواة عنه فكانوا أربعة آلاف  
رجل توفي في شوال سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وقيل قتله المنصور  
الدوانيقي بالسسم - ١ -

محمد سراج الدين الرفاعي

جعفر الصادق بن محمد الباقر زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن  
أبي طالب رضي الله عنهم سمي الصادق لصدقه ، وينسب اليه كلام في صفة  
الكيمياء والزجر والغال ولد سنة ٨٠ بالمدينة ودفن بالبقيع .

عمرو بن الوردي في تاريخه

جعفر الصادق بن محمد الباقر الامام السيد أبو عبدالله الهاشمي العلوي  
الحسيني المدني ، وكان يلقب بالصابر والفاضل والطاهر ، وأشهر القابه الصادق .  
حدث عنه أبو حنيفة وابن جريح وشعبة والسفيانان ومالك وغيرهم - ٢ -

جمال الدين أبو المحاسن

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي  
طالب السادس من الأئمة الاثني عشر والدته أم فروة كريمة القاسم بن محمد بن  
أبي بكر (رض) . ولد الامام جعفر في المدينة المنورة سنة ٨٢ هـ وهو اكبر اولاد  
الامام محمد الباقر تلمذ على والده فريد زمانه في العلم والفضل ، استمر على حلقة  
تدريس وإفادات جعفر الصادق الامام الاعظم أبو حنيفة ، واستفاد منه أولاً في  
المعارف الظاهرية والباطنية ، وكان للامام اليد الطولا في الجفر والكيمياء والامام

بأسرار العلوم . وكان ممن تتلمذ على الامام موجد فن الكيمياء جابر ، لم يكن له  
نضير في الزهد والتقوى والقناعة وحسن الاخلاق ، ولصدق حسبه سمي بالصادق .  
كان أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين يدعو الى تعظيم الامام وتكريمه  
ويستشير بأرائه وارشاداته ونصائحه ، وعرض ابو مسلم الخراساني الخلافة ابتداءً  
على الامام جعفر الصادق فلم يقبلها ، كان له من الأولاد سبعة ابناء وثلاث بنات ،  
توفي في سنة ١٤٨ عن عمر ناهز ٦٥ سنة في المدينة المنورة ودفن بجوار جده ووالده ،  
والمذهب الشيعي عرفوا صاحب الترجمة بامام ولانتمائهم اليه سمووا بالجعفرية - ١ -

جعفر بن محمد الصادق وهو ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب  
الهاشمي رضي الله عنهم يكنى أبا عبد الله وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن  
ابي بكر الصديق وام ام فروة اسماء بنت عبد الرحمن ابن ابي بكر ، وكان من  
سادات أهل البيت سمع أباه ومحمد بن المنكندر وعطاء بن ابي رباح ، روى عنه  
عبد الوهاب الثقفي وحاتم بن اسماعيل ووهيب بن خالد وحسن بن عياش وسليمان  
ابن بلال والثوري والداروردي ويحيى بن سعيد الانصاري وحنص بن غياث  
ومالك بن انس وابن جريح ، ولد سنة ثمانين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة  
وهو ابن أربعة وستين سنة - ٢ -

محمد بن طاهر بن علي المقدسي

١ - قاموس الأعلام تأليف ش سامي ج ٣ ص ١٨٢١ استانبول وقد ترجمت  
الكلمة عن اللغة التركية .

٢ - الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٧٠

جعفر الصادق أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي سادس الأئمة الاثني عشر عند الامامية : كان من أجل التابعين وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه جماعة منهم أبو حنيفة ومالك وجابر ابن حيان ، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، له اخبار مع الخلفاء من بني العباس ، وكان جريئاً عليهم صداعاً في الحق ، وصنف تلميذه جابر بن حيان كتاباً في الف ورقة يتضمن « رسائل الامام جعفر الصادق » وهي عدد ٥٠٠ رسالة مولده ووفاته بالمدينة - ١ -

خير الدين الزركلي

أبو حنيفة

( لولا السنتان هلك نعمان )

يقول الأوسي : ( هذا أبو حنيفة وهو من أهل السنة يفتخر ويقول بافصح لسان لولا السنتان هلك نعمان ) يعني السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الامام جعفر الصادق - ٢ -

جعفر الصادق فاق جميع اقرانه من أهل البيت وهو ذو علم غزير وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وأدب كامل في الحكمة .

الشيخ عبد الرحمن السلمي

جعفر الصادق كان من بين اخوته خليفة أبيه ووصيه ، نقل عنه في العلوم ما لم ينقل عن غيره وكان اماماً في الحديث ومناقبه كثيرة .

السويدي في سبائك الذهب

جعفر الصادق له عمود الشرف ، ومناقبه متواترة بين الانام ، مشهورة بين

١ - الاعلام ج ١ ص ١٨٦

٢ - التحفة الاثني عشرية - ٨ - ط/١

الخاص والعام، وقصده المنصور الدوانيقي بالقتل مراراً فعصمه الله .

### جمال الدين الداوردي

ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الاسلامي، ولا يفوتنا أن نشير الى ان الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد علي بن ابي طالب المسمى بالامام الصادق وهو رجل رحب افق التفكير بعيد اغوار العقل لم كل الامام بعلم عصره ، ويعتبر في الواقع انه أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الاسلام ، ولم يكن يحضر حلقاته العلمية اولئك الذين أصبحوا مؤسسوا المذاهب الفقهية فحسب . بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية - ١ -

### السيد مير علي الهندي

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكنيته ابو عبد الله وقيل ابو اسماعيل ، والقباه الصادق والفاضل والطاهر وأشهرها الأول ، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الأئمة الكبار كيجي ومالك وابي حنيفة - ٢ -

### محمود بن وهيب البغدادي

الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم الهاشمي المدني الصادق ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم ، روى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وعطاء

١ - تاريخ العرب ١٧٩

٢ - جواهر الكلام ١٣ / ط بغداد

ومحمد بن المكنندر والزهرى وغيرهم ، وروى عنه محمد بن اسحق ويحيى الانصارى ومالك والسفيانيان وابن جريح وشعبة ويحيى القطان وآخرون - واتفقوا على امامته وجلالته - قال عمر بن ابي المقدم : كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين - ١ -

ابو زكريا يحيى الدين بن شرف

جعفر الصادق أبو عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . روى عنه كثيرون كمالك والسفيانان وابن جريح وابن اسحاق ، واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٨ قيل مسموماً ، وثقه في روايته الشافعي وابن معين وابو حاتم والذهبي وهومن فضلاء أهل البيت وعلمائهم - ٢ -

احمد شهاب الدين الخفاجي

كان جعفر بن محمد الصادق مستجاب الدعوة اذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه .  
الشبلنجي في نور الابصار

جعفر بن محمد سيد بني هاشم ابو عبد الله العلوي :  
الذهبي

جعفر بن محمد ابو عبد الله فقيه صدوق - ٣ -  
الزرقاني

ابو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الامامية وكان من سادات آل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه وفضله أشهر من أن يذكر .

ابن خلكان في وفياته

١ - تهذيب الاسماء ج ٩ ص ١٥٥

٢ - انظر شرح الشفاء .

٣ - شرح المواهب ج ١ ص ٥١

رسالة النبوة ومعدن الفتوة ابو عبد الله جعفر الصادق بن ابي جعفر محمد الباقر  
ابن زين العابدين علي بن الحسين الهاشمي العلوي وامه أم فروة بنت القاسم بن  
محمد بن ابي بكر ، فهو علوي الأب بكرى الام ولد سنة ثمانين في المدينة (وفيها )  
توفي ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده زين العابدين وعم جده  
الحسن بن علي رضوان الله عليهم أجمعين واكرم بذلك وما جمع من الاشراف  
الكرام اولي المناقب وأما لقب بالصادق لصدقه في مقالته وله كلام نفيس في  
علوم التوحيد وغيرها وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتابا يشتمل على  
الف ورقة يتضمن رسائله وهي خمس مائة رسالة .

مرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٤

اليافعي

وقال الشيخ المناوي في الكواكب الدرية ج ١ - ٩٤ - عند ذكر الامام  
جعفر الصادق وكانت له كرامات كثيرة ومكاشفات شهيرة منها :  
انه سعى به عند المنصور فلما حج احضر الساعي وقال للساعي ائتلف قال  
نعم فحلف فقال جعفر للمنصور: حلفه بما اراه فقال حلفه فقال: قل برئت من حول  
الله وقوته والتجأت الى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل ، ثم  
حلف فما تم حتى مات مكانه .

ومنها ان بعض الطغاة قتل مولاه فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السحر  
فسمعت الضجة بموته .

ومنها - انه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمه زيد :  
صلبنا الحكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصاب  
قال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فافترسه الأسد .

ومنها - ما أخرجه الطبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث بن سعد

يقول حجبت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت ابا قيس فاذا رجل جالس يدعو فقال يارب حتى انقطع نفسه ثم قال يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال إلهي اني اشتهي العنب فاطعمنيه وان بردي قد خلق فاكسني قال الليث فما تم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنباً الى آخر ما ذكره .

السادس من الأئمة جعفر الصادق ذو المناقب الكثرية والفضائل الشهيرة روى عنه الحديث كثيرون مثل مالك بن أنس وأبي حنيفة ويحيى بن سعد وابن جريح والثوري ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة ثمانين من الهجرة ، وغرر فضائله على جبهات الأيام كاملة ، وأندية المجد والعز بمناخره ومآثره أهله وتوفي رضي الله عنه سنة ١٤٨ - ١ -

عبد الله الشبراوي

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي ابو عبد الله الصادق المدني أحد الأعلام حدث عن أبيه وجده وابي امه القاسم بن محمد وعروة وعنه خلق لا يحصون فمنهم ابنا موسى وشعبة والسفيانان قال الشافعي وابن معين وابو حاتم ثقة مات سنة ١٤٨ عن ٦٧ - ٢ -

الجزري

ابو عبد الله جعفر الصادق كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقاتله ، ولد سنة ثمانين وروى عنه مالك بن أنس وابو حنيفة وكثيرون من علماء المدينة - ٣ -

١ - آخاف الاشراف ٥٤

٣ - الخلاصة ٧٦

٣ - التشریح الاسلامی ٢٦٣



واكبر شخصيات ذلك العصر في التشريع الشيعي بل ربما كان اكبر الشخصيات في ذلك في العصور المختلفة الامام جعفر الصادق ، وعلى الجملة فقد كان الامام جعفر من أعظم الشخصيات في عصره وبعده وعصره وقد مات في العام العاشر من حكم المنصور .

الدكتور أحمد أمين

جعفر بن محمد كان اماماً مفخرة من مفاخر المسلمين لم تذهب قط ، وإنما بقي منها في كل غد قادم حتى القيامة صوت صارخ ، يعلم الزهاد زهداً ويكسب العلماء علماً ، يهدي المضطرب ويشجع المقتحم ، يهدم الظلم ويني للعدالة ، وهو ينادي بالمسلمين جميعاً أن هلموا واجتمعوا وان قوموا لم يختلفوا في ربهم وفي نبيهم لمجموعون مهاختلفوا في يوم قريب - ١ -

عبد العزيز سيد الأهل

كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام ، فكان يحضر مجالس درسه في أغلب الأوقات ألفان وبعض الأحيان اربعة آلاف من العلماء المشهورين ، وقد ألف تلاميذه من جميع الاحاديث والدروس التي كانوا يتلقونها في مجلسه مجموعة من الكتب تعد بمثابة دائرة معارف للمذهب الشيعي أو الجعفري

السيد محمد صادق نشأة الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين هو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الامامية كان من سادات أهل البيت النبوي لقب بالصادق لصدقه في كلامه .  
فريد وجددي

جعفر الصادق وهو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق صدقه ، وفضله عظيم ، له مقالات في صناعات الكيمياء والزجر والقال وكان تلميذه جابر بن حيان قد ألف كتابا يشتمل على الف ورقة تتضمن (رسائل الصادق) وهي خمس مائة رسالة ، واليه ينسب كتاب الجفر وسيدكر ، وكان جعفر أديبا تقياً ديناً حكيماً في سيرته - ١ -

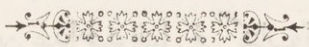
بطرس البستاني

وبهذا نكتفي عن ذكر أقوال بقية العلماء الآخرين ، وسيأتي محل آخر ننشر فيه آراء علماء العصر من المسلمين . ويلزمنا التنبيه على شيء مر ذكره في بعض هذه الأقوال وهو نسبة الزجر والقال الى الامام الصادق (ع) وهذا من الخطأ والاشتباه وإنما كان الامام يستشف ما وراء الحجب وينظر المستقبل بحكمته وصفاء باطنه يخبر بالحوادث قبل وقوعها ، ومما يؤثر عنه في هذا الباب قوله : « علمنا غابر ومزبور نقش في القلوب ونقر في الاسماع وعندنا الجفر الأحمر والأبيض ومصحف فاطمة فيها جميع ما يحتاج الناس اليه ، وقد اخبر بأن الخلافة للسفاح ومن بعده للمنصور وتبقى في أولاده من بعده ، وأخبر بمقتل محمد و ابراهيم على يد المنصور ، وكان معارضا لبيعة محمد في المؤتمر الذي عقده الهاشميون من عباسيين وعلويين لبيعة محمد بن عبد الله وقال لعبد الله بن الحسن لا تفعلوا فان الأمر لم يأت بعد ، فقال عبد الله : لقد علمت خلاف ما تقول ، قال الصادق : لا ، ولكن هذا وابناؤه دونك وضرب بيده على ابي العباس ثم نهض فاتبعه عبد الصمد بن علي وابو جعفر المنصور فقالا له : أتقول ذلك ؟ قال : نعم أقوله والله واعلمه ، وليس في وسعنا بسط القول في علمهم وانكشاف حقائق الأشياء

لهم فقد أخبروا بكثير من الحوادث قبل وقوعها ، وصدر عن الصادق  
كثير من ذلك .

وأما نسبة الزجر والقال اليه فهو خطأ نشأ من اشتباه في الاسم وتقارب  
في الزمن وذلك ان جعفر بن محمد البلخي المعروف بابي معشر الفيلسفي كان  
مشهوراً بالزجر والقال واستأذ عصره في التنجيم ونقل الناس اخباره  
وشاع ذكره .

قال في البداية والنهاية ج ١١ ص ٥١ : والظاهر ان الذي نسب الى  
جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر والقال واختلاج الاعضاء إنما هو منسوب الى  
جعفر بن أبي معشر هذا وليس بالصادق وإنما يغلطون



## درر

ليس من المبالغة والخروج عن الواقع وصف مدرسة الامام الصادق بأنها جامعة اسلامية ، خلفت ثروة علمية وخرَّجت عددا وافراً من رجال العلم ، وعدت أسماء تلامذته والمتخرجون من مدرسته فكانوا أربعة آلاف رجل ، وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق ورواة حديثه وانباهم الى أربعة آلاف . قال الشيخ المفيد في الارشاد : ( إن اصحاب الحديث قد جمعوا الرواة عن الصادق من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف ) .

وقال الشيخ محمد بن علي الفنتال : ( قد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف ) .  
وقال السيد علي بن عبد الحميد النيلي في كتاب الأنوار : ( ومما اشتهر بين العامة والخاصة ان اصحاب الحديث جمعوا أسماء الرواة عنه فكانوا أربعة آلاف ) .  
وقال الشيخ الطبرسي في أعلام الوري : ( ولم ينقل عن احد من سائر العلوم ما نقل عنه ، فان اصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات فكانوا أربعة آلاف رجل ، وقال في القسم الثالث : ( وروى عن الصادق من أهل العلم أربعة آلاف إنسان ) .

وقال ابن شهر اشوب في المناقب : ( نقل عن الصادق من العلوم ما لا ينقل عن أحد ، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء فكانوا أربعة آلاف ) .

وقال المحقق في المعتبر في جملة كلامه عن الصادق : ( فانه انتشر عنه من

العلوم الجمّة ما يهر به العقول وروى عنه جماعة من الرجال ما يقارب اربعة آلاف رجل ) .

وقال الشهيد في الذكري : ( إن ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق كتب من اجوبة مسائله اربعمائة مصنف لاربعمائة مصنف ، ودون من رجاله المعروفين اربعة آلاف رجل من أهل العراق والشام والحجاز ) .

وقال الشيخ حسين والد العلامة البيهقي في ذكر الصادق : ( ودون العامة والخاصة ممن تبرز بتعلمه من العلماء والفقهاء اربعة آلاف ) .

فهي في العصر الذي أقبل المسلمون على تعلم العلوم الجديدة التي يدرسونها الى جانب الفقه والتفسير قد كانت مصدراً لتلك العلوم .

ولو تسنى لمدرسته الظهور التام لأدى رسالته على أكمل الوجوه ، ولحمل الناس على المبادئ الصحيحة ، وصدّهم عن ارتكاب اخطار المعتقدات الفاسدة التي آلت بالأمّة الى الانهيار .

ولكن مثل هذه الشهرة لا تروق لبني العباس ، وفي نظرهم أن ذلك هو أعظم خسر يهدد كيان الدولة . فكانت شهرة الصادق توقيض مضاجعهم ، وتبعثهم على القلق والأرتباك فكانوا يتخذون التدابير ضده ، ويضعون الخطط الموصلة إلى غلق ابواب تلك المدرسة الاسلامية التي يخشى منها اتساع نفوذ العلويين ، وعلو مكائنتهم في المجتمع ، وهم بأهم منطقة تتجه اليها انظار الأمّة من سائر الاقطار الاسلامية وهي المدينة المنورة فاستطاعوا بعد مدة - بما يطول شرحه - من غلق أبواب تلك الجامعة الاسلامية التي كان يهيم أمرها .

## تلامذته ورواة حديثه

ونحن نذكر اشهر من اخذ العلم عن الامام الصادق بدون تفصيل في الموضوع واطالة في البحث واليك قسما منهم :

﴿ مالك بن أنس الأصبجي ﴾ رئيس المذهب المالكي روى عنه جماعة كالزهري ويحيى الانصاري وابن جريح وشعبة والثوري وابن عيينة والقطان وخلق كثير وكان قد أخذ العلم عن الصادق واشتهر عنه قوله : ما رأيت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب أحد أفضل من جعفر بن محمد عبادة وورعا وعلما وستأتي ترجمته بالتفصيل .

﴿ أبو حنيفة ﴾ الامام أبو حنيفة المتولد سنة ٨٠ والمتوفي سنة ١٥٠ رئيس المذهب الحنفي أخذ عنه جماعة كثيرون وأخذ هو عن الصادق حتى اشتهر عنه لولا السنن لملك نعمان وما رأيت افقه من جعفر بن محمد كما مر وستأتي ترجمته .

﴿ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ﴾ من أهل الكوفة ومن رؤساء المذاهب البائدة روى عنه خلق كثير من علماء الأمة كمحمد بن عجلان والاوزاعي وحماد بن سلمة ويحيى بن سعيد القطان وفضيل بن عياض وكان قد أخذ عن الصادق وله اختصاص به يروي لنا عن آدابه واخلاقه ومواعظه .

﴿ سفيان بن عيينة بن أبي عمران ﴾ المتوفي سنة ١٤٨ والمدفون بالحجون روى عن الصادق وأخذ عنه وروى عنه خلق كثير كالأعمش والثوري وشعبة وهام ويحيى بن سعيد والشافعي وابن المديني قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز وهو أحد رؤساء المذاهب البائدة .

﴿ شعبة بن الحجاج ﴾ المتولد سنة ٨٠ والمتوفى سنة ١٦٠ ابن الورد العتكي

مولاهم السكوني روى عنه أيوب وابن المبارك خرج له الجماعة وروى عنه خلق كثير قال الشافعي لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق وقال أحمد شعبة: أمة واحدة ﴿ فضيل بن عياض بن سعد بن بشر التميمي اليربوعي ﴾ المتوفى سنة ١٨٧ قال الجزري: ( هو أحد أئمة الهدى والسنة ، روى عنه الاعمش وسليمان التيمي وابن المبارك وابن القطان وأحمد بن المقدم وخلق كثير ، وثقه النسائي وغيره ، وخرج له البخاري والترمذي ومسلم والنسائي - ١ -

﴿ حاتم بن اسماعيل ﴾ المتوفى سنة ١٨٠ كوفي الاصل خرج له البخاري ومسلم والترمذي والجماعة وكان ثقة في الحديث ، أخذ عن الصادق وأخذ عنه خلق كثير منهم اسحاق وابن معين - ٢ -

﴿ حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك ﴾ أبو عمرو الكافي روى عن الصادق وروى عنه احمد ، واسحق ، وأبو نعيم ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المدني وعفان بن مسلم ، وعامة الكوفيين ، ولي قضاء بغداد ثم عزل وولي قضاء الكوفة ، وكان كثير الحديث حافظا له ثبتا فيه مقدما عند المشايخ كتبوا عنه من حفظه ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف حديث خرج له الجماعة اجمع - ٣ -

﴿ زهير بن محمد التميمي ﴾ أبو المنذر الخراساني المتوفى سنة ١٦٢ اخذ عن الامام الصادق وعنه أبو داوود الطيالسي ، وروح بن عبادة وأبو عامر العقدي وعبد الرحمن بن مهدي ، والوليد بن مسلم ، ويحيى بن بكير ، وأبو عاصم وغيرهم وثقه أحمد ويحيى وعثمان الدارمي وهو من رجال الصحاح - ٤ -

- ١ - تهذيب التهذيب

- ٢ - خلاصة النكاح ٥٦

- ٣ - تاريخ بغداد ج ٨ - ١٨٨ والخلاصة ص ٧٤

- ٤ - تهذيب التهذيب ج ٣ - ٣٤٨

﴿ يحيى بن سعيد بن فروخ القطان الحافظ البصري ﴾ المتولد سنة ١٢٠  
والمتوفى سنة ١٩٨ روى له رجال الصحاح وحدث عنه ابن مهدي وعفان ومسدد  
وأحمد وإسحاق ، وابن معين - ١ - وعده ابن قتيبة في المعارف من الشيعة وهو  
غلط . نعم اتهم بذلك وسيدخل (قصة الاتهام فيما بعد) \*

﴿ اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري المتوفى ببغداد سنة ١٨٠  
روى عنه محمد بن جهم ويحيى بن يحيى النيسابوري ، وأبو ربيع الزهراني ، وأبو  
معمر الهذلي وغيرهم ، قال ابن سعد ثقة وهو من أهل المدينة قدم بغداد ولم يزل  
بها حتى مات ، خرج له البخاري ومسلم والجماعة - ٢ -

﴿ ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى الاسلمي أبو إسحاق المدني ﴾ المتوفى سنة  
٩١ روى عن الصادق ، وله كتاب مبوب عنه في الحلال والحرام ، وذكره الشيخ  
الطوسي في الفهرست ، وروى عنه ابراهيم بن طهمان والثوري وهو أكبر منه .  
وكنى عن اسمه ، وابن جريح والشافعي وسعيد بن أبي مسرمة وأبو نعيم وآخرون  
ويعد من مشايخ الشافعي وقد أكثر عنه في كتبه - ٣ - وقد اتهم ابراهيم بالخط  
من السلف فضعف ونسب الى الكذب ولعل سبب ذلك اختصاصه بحديث أهل  
البيت أكثر من غيره .

﴿ الضحاک بن مخلد أبو عاصم النبيل البصري ﴾ المتولد سنة ١٢٢ والمتوفى  
سنة ٢١٤ روى عن الصادق وعنه البخاري وأحمد بن حنبل وابن المديني وإسحاق  
ابن راهويه ، قال ابن شعبة والله ما رأيت مثله .

١ - تذكر الحفاظ ج ١ - ٢٧٥ وتهذيب التهذيب ج ١١ - ٢١٦

\* - اسم كتاب المؤلف لم يطبع

٢ - تهذيب التهذيب ج ١ - ٢٨٢

٣ - » » » » ١ - ٧٦٠



﴿ محمد بن فليح بن سليمان المدني ﴾ المتوفى سنة ١٧٧ روى له البخاري والنسائي وابن ماجه عبدالوهاب بن عبدالمجيد بن الصامت المتوفى سنة ١٩٤ روى عنه محمد بن ادريس الشافعي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن المديني وغيرهم قدم بغداد في أيام المنصور وحدث بها وثقه ابن معين وكانت غلة عبدالوهاب في كل سنة مائتين وأربعين الف ينقلها على أصحاب الحديث لايحول الحول على شيء منها خرَّج له مسلم والبخاري .

﴿ عثمان بن فرقد العطار أبو معاذ البصري ﴾ خرَّج له البخاري في صحيحه والترمذي وروى عنه ابن المديني وابن المثنى وزيد بن احزم ، قال ابن حبان مستقيم الحديث .

﴿ عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز الزهري بن أبي ثابت الاعرج المدني ﴾ المتوفى سنة ١٩٧ خرَّج له الترمذي في صحيحه .

﴿ عبدالله بن دكين الكوفي ﴾ خرَّج له البخاري في الأدب المفرد وثقه أحمد ، وروى عنه يحيى الوضاحي وموسى بن اسماعيل .  
﴿ زيد بن عطاء بن السائب ﴾ روى عنه اسرئيل وجريير بن عبدالحيد وثقه أبو حاتم .

﴿ مصعب بن سلام التيمي الكوفي ﴾ أحد رواة الصادق وعنه أحمد وأبو سعيد الاشبح خرَّج له الترمذي ، قال ابن معين : ليس به بأس ، وقال العجلي وقال أبو حاتم شيخ محله الصدق ،

﴿ بسام بن عبدالله الصيرفي ﴾ خرَّج له النسائي ووثقه يحيى بن معين .  
﴿ بشير بن ميمون الخراساني ﴾ روى عنه أحمد بن عاصم الخراساني ، قدم بغداد وروى الحديث عن جعفر بن محمد الصادق (ع) خرَّج له ابن ماجه .

﴿ الحارث بن عمير البصري ﴾ نزيل مكة روى عن الصادق (ع) وعنه ابن عينية وابن مهدي وأبو اسامة .

﴿ الفضل بن صالح الأسدي ﴾ أبو جميلة الكوفي خرج له الترمذي وروى عند محمد بن عبيد الله الحاربي .

﴿ أيوب السجستاني ﴾ أيوب بن أبي تميمة السجستاني أبو بكر البصري مولى عنزة ، ويقال مولى جيبنة روى عنه الاعمش وقتادة وهومن شيوخه والحمدان والسفيانان وشعبة ، وخلق كثير ، وثقه ابن سعد وابن معين ولد سنة ٦٦ ومات سنة ١٢١ - ١ -

﴿ عبد الملك بن جريح القرشي ﴾ أحد العلماء المشهورين ويقال : - إنه أول من صنّف الكتب في الاسلام ، ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٩ .

وغير هؤلاء ممن نسب لمدرسة الصادق ، وأخذ عنه وروى حديثه ، وذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ولسان الميزان ، والذهبي في ميزان الاعتدال وتذكرة الحفاظ ، والجزري ، في الخلاصة والخطيب في تاريخه ، ولا يصعب على المتتبع احصاءهم ، وقد افرد بعض علمائنا رسائل في عددهم وذكر اسمائهم رحمهم الله تعالى .

## من الشيعة

ابان بن تغلب

أبو سعد الكوفي ، روى عن السجاد ، والباقر ، والصادق ، ومات في أيامه قال الشيخ في الفهرست : ابان بن تغلب بن رياح ابوسعيد البكري الحريري مولى جرير بن عباد ، ثقة جليل القدر عظيم المنزلة في أصحابنا ، لقي أبا محمد علي ابن الحسين وأبا جعفر الباقر وروى عنهم ، وكانت له عندهم حضوة وقدم ، وقال له أبو جعفر الباقر : اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فاني أحب أن يرى في شعيتي مثلك . وكان غزير العلم متضلعا في عدة علوم وله كتب ذكرها ابن النديم في الفهرست منها كتاب معاني القرآن ، كتاب القرآت ، كتاب الاصول في الرواية على مذهب الشيعة - ١ - .

وقال ابن سعد في الطبقات ابان الربيعي توفي في الكوفة في خلافة ابي جعفر وعيسى بن موسى وال علي الكوفة وكان ثقة وروى عنه شعبة ، وقال في التهذيب روى عنه موسى بن عقبه ، وشعبة ، وحماد بن زيد وابن عيينة وجماعة ، وثقه أحمد ، ويحيى ، وابو حاتم ، والنسائي .

قال الذهبي في ميزان الاعتدال ابان بن تغلب الكوفي شيعي جلد لسكنه صدوق فلنا صدقه وعليه بدعته (٢) وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابو داود

١ - ابن النديم ٣٠٨ .

(٢) لم يكن ابان مبتدعاً وسكنه بتفضيله لعل وقوله بامامته اصبح مبتدعاً في

نظر الذهبي واضرا به .

خرج له مسلم و ابو داود ، والترمذي ، وابن ماجه .  
قال الجوزجاني : ابان بن تغلب زائع مذموم المذهب ، قال ابن حجر  
واما الجوزجاني فلا عبرة بحطه على الكوفيين ، فالتشيع في عرف المتقدمين هو  
اعتقاد تفضيل عثمان ، وان علياً كان مصيباً في حروبه وان مخالفه مخطئ ، مع تقديم  
الشيخين ، وربما اعتقد بعضهم ان علياً أفضل الخلق بعد رسول الله واذا كان  
معتقد ذلك ورعاً ديناً صادقاً مجتهداً فلا ترد روايته - ١ -

﴿ ابان بن عثمان ﴾ بن احمر البجلي ابو عبد الله أصله كوفي ، وكان يسكنها  
تارة والبصرة أخرى ، وقد أخذ عنه أهلها منهم ابو عبيدة معمر بن المثنى  
وابو عبد الله محمد بن سلام ، واكثروا الحسكية عنه في اخبار الشعراء والنسب  
والأيام روى عن ابي عبد الله الصادق ( ع ) و ابي الحسن موسى ( ع ) . وله  
مؤلفات منها كتاب المبتدى ، والبعث والمغازي والوفاة ، وذكره ابن حبان  
في الثقات ، قال محمد بن ابي عمر : كان ابان من أحفظ الناس بحيث انه يرى  
كتابه فلا يزيد حرفاً على رأس المائتين ( ٢ )

وهو من الستة أصحاب ابي عبد الله ( ع ) الذين أجمعت العصاة على  
تصحيح ما يصح عنهم والاقرار لهم بالفقه وهم جميل بن دراج ، وعبد الله بن  
مسكان ، وعبد الله بن بكير ، وحماد بن عيسى ، وحماد بن عثمان وابان بن عثمان .  
﴿ بكير بن أعين الشيباني ﴾ أخو زرارة روى عن الباقر والصادق ( ع )  
ومات في أيام الصادق ( ع ) ولما بلغه خبر موته قال : أما والله لقد انزله الله بين  
رسول الله ( ص ) وأمير المؤمنين ( ع ) وذكره يوماً فقال : رحم الله بكيراً

١ - تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩٣

( ٢ ) وردت العبارة هكذا والصحيح يقرأ كتابه فلا يزيد حرفاً واحداً وتوفى على

رأس المائتين - انظر لسان الميزان - ج ١ ص ٢٤ .

وهو من الثقات ، وقد روى عنه جماعة .

﴿ جميل بن دراج بن عبدالله النخعي ﴾ روى عن الصادق والكاظم وتوفي أيام الرضا ، وهو من الستة الذين اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم .

﴿ حماد بن عثمان بن زياد الرواسي الكوفي ﴾ روى عن الصادق ( ع ) والكاظم والرضا ( ع ) ، وهو من أصحاب الصادق ( ع ) ومن الستة المار ذكرهم توفي سنة ١٩٠ .

﴿ الحارث بن المغيرة النصرى ﴾ روى عن الباقر ( ع ) وعن الصادق ( ع ) والكاظم ( ع ) ، كان جليل القدر مقبول الرواية له منزلة عظيمة .

﴿ هشام بن الحكم ﴾ البغدادي الكندي مولى بني شيبان كنيته أبو محمد وقيل أبو الحكم أصله من الكوفة وانتقل الى بغداد قال ابن النديم : هو من جلة اصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ( ع ) وهو من متكلمي الشيعة ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب والنظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب سئل عن معاوية أشهد بديراً ؟ فقال : نعم من ذاك الجانب ، وكان ينزل الكرخ من مدينة السلام وتوفي بعد نكبة البرامكة مستتراً ، وقيل في خلافة المأمون وله من الكتب كتاب الإمامة ، كتاب الدلالات ، ثم ذكر له أكثر من عشرين مؤلفاً .

ودعى له الامام الصادق ( ع ) قال : ( لا تزال مؤيداً بروح القدس مانصرتنا بلسانك ) ، وكان أولاً من أصحاب جهنم بن صفوان ثم انتقل الى القول بالامامة بالدلائل والنظر ، وكان الصادق ( ع ) يقول فيه : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ويقول أيضاً هشام بن الحكم رائد حقنا وسائق قولنا المؤيد اصدقنا والدامغ لباطل اعدائنا .

وكان هشام يقول : ما رأيت مثل مخالفتنا عمدوا الى من ولاء الله من سمائه فعزلوه ، والى من عزله الله من سمائه فنصبوه ، وهشام اخبار كثيرة ومحاججات ومناظرات مع خصوم آل محمد ، وكان يخوض غمرات البحث فيخرج منها وحليفه النصر .

روى الكليني في الصحيح انه ورد على الصادق عليه السلام رجل من أهل الشام فقال له : إني صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك ، فقال له الصادق ( ع ) : كلامك هذا من كلام رسول الله ( ص ) أو من عندك ؟ فقال : بعضه من كلام رسول الله ( ص ) وبعضه من عندي ، قال : فانت إذا شريك رسول الله ( ص ) ، قال : لا ، قال : فسمعت الوحي عن الله تعالى ؟ قال : لا ، قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ( ص ) ؟ قال : لا ، فقال الصادق ( ع ) : هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم ، ثم اخرج الصادق ( ع ) رأسه وكان في خيمة في الحرم قبل الحج بايام فاذا هو ببعير يجب فقال هشام ورب الكعبة فاذا هشام بن الحكم قد ورد وهو أول ما اختطت لحيته وليس في اصحاب الصادق ( ع ) إلا من هو أكبر سنًا منه فوسع له الصادق ( ع ) وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، ثم قال للشامي : كلم هذا الغلام يعني هشام بن الحكم فقال الشامي لهشام : ساني في إمامة هذا يعني الصادق ( ع ) فغضب هشام حتى ارتعد وقال يا هذا ربك انظر لخلقه أم هم لأنفسهم ؟ فقال : بل ربي انظر لخلقه ، قال : فعل بنظره لهم في دينهم ماذا قال : كلفهم وأقام لهم حجة ودليلاً على ما كلفهم وأزاح في ذلك عليهم ، قال : فما هذا الدليل الذي نصبه لهم ؟ قال : هو رسول الله ( ص ) ، قال : فبعد رسول الله ( ص ) ؟ قال : الكتاب والسنة ، قال فهل ينفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه حتى رفع عنا الاختلاف ؟ قال :

فلم اختلافنا نحن وانت وجئنا من الشام نخالفنا وتزعم أن الرأي طريق الدين وأنت  
تقرّ أن الرأي لا يجتمع على القول الواحد للمختلفين ؟ فسكت الشامي كالمفكر فقال  
له الصادق (ع) : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن قلت ما اختلافنا كابت ، وإن قلت  
إن الكتاب والسنة يرفعان الاختلاف أبطلت لأنها يَحتملان الوجوه ، ولكن لي  
عليه مثل ذلك فقال الصادق «ع» : سله تجده ملياً فقال لهشام : من انظر للخلق  
ربهم أو انفسهم ؟ قال : بل ربهم ، قال : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع  
اختلافهم ويبين حقهم من باطلهم ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : أما في ابتداء  
الشرية فرسول الله «ص» ، وأما بعده فغيره ، قال : من هو غيره ؟ قال في  
وقتنا هذا هو هذا الجالس يعني الصادق (ع) الى آخر ما ذكر .

﴿ المعلى بن خنيس ﴾ كان من أصحاب الامام ومواليه ومن عذب في الله  
وقتل بحب آل محمد قتله الامير داوود بن علي وصادر امواله - والاسباب غير مجبولة  
في ذلك - لأن المعلى كان من خواص الامام الصادق (ع) بصورة تستدعي  
غضب الوالي وكان داوود بن علي عندما ولي المدينة أو الجزيرة برمتها ، استعمل  
العسف والجور والاضطهاد للطالبيين فكان شديداً في مطاردتهم وتبع انصارهم .  
وبطبيعة الحال ان مثل المعلى بمواقفه واتصاله بالامام لا يسلم من شرّ هذا الوالي وقد  
تلقى الامام الصادق هذه الحادثة بالاستياء واثّر في نفسه ومشى الى ديوان الأمير  
وهو مخنق على خلاف عاداته وقال له قتات مولاي واخذت مالي أما علمت أن  
الرجل ينام على الشكل ولا ينام على الحرب ، وقابله الامام بالشدة والعنف وحاول  
ذلك الأمير أن يسند هذا الجرم لصاحب الشرطة ويبرأ من تبعته فاصر بقتله ليتستر  
بذلك ، ولكن صاحب الشرطة فضح امره فاعلن للملأ عندما سيق للاعدام بقوله  
يأمرونني بقتل الناس فاقتلهم لهم ثم يأمرون بقتلي .

وقد اختلفت أقوال المؤرخين في الحادثة فتارة يذكرونها في عهد السفاح  
وأخرى في عهد المنصور .

وليس في امكاننا احصاء اصحابه ورواة الحديث عنه من الشيعة ونكتفي  
بهذا القدر ، وقد أرجأنا ذكر بعض الاعيان منهم لمحل آخر ، كعبد الملك بن اعين  
وزرارة وابنه ، وعلي بن يقطين ، وعمار الدهني وعمرو بن -حنظلة ، والفضيل بن  
يسار ، وأبو بصير ، ومؤمن الطاق ، ومحمد بن مسلم ، ومعاوية بن عمار ، والمفضل  
ابن عمر ، وهشام بن سالم ، وغيرهم .

## مع البخاري

قطع صحيح البخاري - ١ - شوطاً بعيداً من الشهرة ونال قبولاً دون  
غيره من كتب الحديث فاصبحت له منزلة لا يشاركه بها غيره ، ومن العسير  
مواخذته بشيء ، ولقد تهبب أكثر الحفاظ عن نقده ووقفوا امامه موقف خضوع  
وتسليم . يقول الذهبي في ذكره لبعض الاحاديث : ولولا هيبه الصحيح لقلت إنها  
موضوعة ، وذهب ابن حزم الى تكذيب بعض أحاديثه - ٢ - فعنف ، لان  
التسليم لصحيحه أصبح معمولاً به فلا يمكن لاحد أن يعمل بحرية الرأي .  
ومع هذا فان بعض الحفاظ من كبار المحدثين تناولوه بالنقد بصراحة وحرية  
في الرأي من وجوه أهمها .

١ - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن ( بردز به ) بياء موحدة  
مفتوحة ثم راء ساكنة ثم دال مبهمة مكسورة ثم زاء ساكنة ثم باء موحدة ثم هاء معناه  
بالعربية الزراع وكان جده المغيرة مجوسياً كآبيه اسلم على يد اليمان البخاري الجعفي لذلك قيل  
للبخاري جعفي لانه مولى يمان الجعفي ولد سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ ودفن بخر نك قرية  
على فرسخين من سمرقند .

٢ - تهذيب التهذيب ٨ - ١٤٦ .



١ — ترتيب الكتاب والعلاقة بينه وبين الترجمة وما تحتها .  
٢ — انه يقطع الحديث فيذكر بعضه في باب وبعضه في آخر وهكذا ،  
وقد تختلف الرواة في الاجزاء المختلفة ، وقد يذكر بعضها متصل السند وبعضها  
منقطعه وقد أخذ عليه في هذا الباب بعض ما أخذ لم يستطع المنتصرون له أن يجيئوا  
عنها - ١ -

٣ — انتقله الحفاظ في بعض أحاديث بلغت ١١٠ منها ٣٢ حديثاً اتفق  
فيها هو ومسلم ومنها ما انفرد بتخریجه وهو ٧٨ ، - ٢ -  
٤ — إن بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقة وقد ضعف الحفاظ من  
رجال البخاري نحو الثمانين .

وعلى كل فان صحيح البخاري كان محلاً للوثوق والاعتماد عند أكثر  
المحدثين وأشخصيته . نزلة عظيمة في عصره ولبعض الناس في صحيحه اعتقاد عظيم  
واليك ما ذكره القاسمي وغيره .

« هو عدل القرآن وانه إذا قرأ في بيت أيام الطاعون حفظ أهله منذ ، وإن  
من ختمه على أي نية حصل ما نواه وانه ما قرأ في شدة إلا فرجت ، ولا ركب  
به في مركب ففرقت » - ٣ -

وقد جرى على العمل بذلك كثير من رؤساء العلم ، ومقدمي الاعيان إذا  
ألم بالبلاد نازلة . يوزعون اجزائه - على العلماء والطلبة - ( لكشف الخطوب  
وتفريج الكرب ، فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدافع والصارم والاسل ،  
وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهبضة مقام الحيطه الصحيحة وعقاير الاطباء

١ - ضحي الاسلام ج ٢ - ١١٦ - ٢ - مفتاح السنة للخولي - ٤

٣ - قواعد التحديث للقاسمي ٢٥٠

وفي البيوت مقام الخضراء والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات) - ١ -

ونحن لا نتكر عظمة حديث النبي (ص) وبركة آثاره ولكن من الخير أن نتساءل لأي شيء اختص صحيح البخاري دون غيره بهذه الخصوصية من كتب الحديث ولماذا كانت له هذه المنزلة دونها ، وتساءل لم لم يقرأ القرآن وفيه شفاء للناس ودفع لما يكرهون ؟ ولماذا كان صحيح البخاري عدلا للقرآن وأصبح التوسل به من العقائد الراسخة يتلى لدفع المجاعة ويوزع احزابا في المساجد والبيوت كما حدث في مجاعة سنة ٧٩٨ في مصر ??? فان كان لصحة احاديثه فلماذا لم تكن هذه الخصوصية لموطأ مالك الذي قيل فيه أصبح كتاب بعد كتاب الله ؟ وصحيح مسلم الذي قالوا فيه ماتحت أديم السماء أصبح من كتاب مسلم - ٢ - ويقول ابن حجر : حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفترط لم يحصل لأحد مثله بحيث أن بعض الناس كان يفضل على صحيح محمد بن اسماعيل وذلك لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق والمحافظة على اداء الالفاظ ، من دون تقطيع ولا رواية بمعنى وقال الحاكم : سمعت أبا الوليد يقول قال لي أبي : أي كتاب تجمع ؟ قلت اخرج على كتاب البخاري ، قال : عليك بكتاب مسلم فإنه أ كثر بركة .

وهذا صحيح الترمذي بحسن ترتيبه وتنميته وتبعه للصحيح من غيره لم لم يكن بمنزلة البخاري ؟ وقد قالوا : إن كتاب الترمذي انور من كتاب البخاري ، فان كانت تلك العظمة التي احرزها لما حواه فالقرآن أولى بأن يتخذ

١ - من مقال لاحد علماء الازهر نشره في احدى المجلات المصرية في معرض نقده

لذلك الاعتقاد السائد نشرها سنة ١٣٢٠ هـ انظر - قواعد التحديث - ٢٥١ .

٢ - تذكرة الحفاظ ٢ - ١٠٤ .

لدفن تلك المشاكل ، أو كان لعظمة في نفس البخاري فمالك أعظم منزلة وأعلا  
كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً .

ولكن تلك امور مرتجلة لا تعود الى شيء صحيح ، وللبخاري منزلة  
كوثنتها ظروف خاصة وأسباب لا يسعنا عرضها وليس غرضنا في البحث أن نقسو  
بالحكم على البخاري ولا أن نجحف بحقه فنقول بمقالة جمال الدين الحنفي : من قرأ  
كتاب البخاري تزندق - ١ - ولا نتعصب عليه فنحن نعزب رجال الامة وعلمائها  
ولكن هناك أمر لا بد من ذكره لصلته بالبحث وهو عدم تحريج البخاري  
لحديث الصادق مع أن كبار المحدثين ورجال العلم أخذوا روايته بعين الاعتبار  
وخرجوا حديثه معتزين بذلك لأنه المع شخصية علمية في العالم الاسلامي ، فمن  
الغريب ترك البخاري حديث الصادق وعدم روايته عنه مع انه روى عن جماعة  
عرفوا بالكذب وعدم العدالة وسوء الاعتقاد من نواصب وقدرية ومرجئة وغيرهم .  
وها نحن نقدم نموذجاً من رجاله لنعرف ان ترك حديث الصادق إنما هو  
لشيء في نفس البخاري لالشيء في شخصية الامام أو روايته واليك بعض رواته :

### النواصب

أبو العباس الأحر المتوفى سنة ١٣٦ وكان شاعراً هجاء خبيثاً فاسقاً مبغضاً

لآل محمد ، وهو القائل لأبي عامر بن وائلة الصحابي - ٢ -

لعمرك اني وأبا طفيل      لمختلفان والله الشهيد

لقدضلوا بحب أبي تراب      كماضلت عن الحق اليهود - ٣ -

١- شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٠

(٢) أبو الطفيل عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمر الليثي السكناني صحابي جليل  
وهو آخر الصحابة من بقى الى سنة ١٠٠ هـ وتوفى فيها وكان من شيمه على شهده حروبه كلها معه .

٣- نكت الهميان للصفدي

﴿ عمران بن حطان ﴾ مفتي الخوارج وزاهدتها ومن عرف يبغضه لعلي  
وهو القائل في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي  
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا  
﴿ اسحق بن سويد ﴾ أحد رجال البخاري وكان يحمل على علي تحاملا  
شديداً ويقول لا أحب علياً .

عبد الله بن سالم الأشعري المتوفى سنة ١٧٩

﴿ وعبد الله بن شقيق العقيلي ﴾ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى وكان  
عثمانياً يحمل على علي ويبغضه ومع ذلك فقد وثقوه وقبلوا روايته .  
﴿ ميمون بن مهران ﴾ والهيم بن الأسود النخعي وهو أحد من شهد  
على حجر بن عدى ، وحصين بن غير الواسطي وهو ممن عرف بتحامله على علي ،  
وزياد بن جبر بن حية روى له البخاري والجماعة أجمع وكان يتحامل على الحسن  
والحسين - ١ - ويقع فيهما .

#### القرية

كهيم بن منبهال السدوسي ، ابان بن يزيد العطار ، حسان بن ابراهيم  
السكرماني ، قاضي كرمان ، سفيان بن سليمان ، زيد بن واقد ، عطاء بن ميمون  
البصرى ، عمر بن ابي زائدة الهمداني ، هارون بن موسى الأزدي ، يحيى بن  
حمزة بن واقد ، وهشام بن عبد الله ابو بكر البصرى وغيرهم .

#### الضعفاء

والمطعون فيهم خلق كثير منهم احمد بن بشير القرشي ، ابراهيم بن يوسف

ابن اسحق ، ابراهيم بن عبد الرحمن بن اسماعيل ، ثابت بن مجلان السلمي ،  
عبد الرحمن بن عبيد البصرى ، كهمس بن الحسن التميمى البصرى ، عبد ربه بن  
نافع السكتاني ، عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوى مولى ابن عمر ، مروان  
ابن شجاع الجزرى ، سلمة بن رجاء التميمى ، محمد بن ابي حفص البصرى ،  
عبد الرحمن ابوقيس الأودى السكوفى ، عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي وغيرهم  
ويبلغ عددهم فوق المائة إذ لا مجال لذكر الجميع .

### الكذابين

الذين عرفوا بوضع الحديث فهم كثيرون منهم اسيد بن زيد الجمال السكوفى ،  
الحسن بن بشير السدوسى الطحان ، محمد بن يزيد بن محمد بن هشام السكوفى قاضى  
السكوفة وولى قضاء بغداد ، احمد بن صالح المصرى ، واحمد بن سعيد بن صخر  
الدارمى ، اسماعيل بن عبد الله بن اويس بن مالك بن ابي عامر الاصبجى روى عن  
خاله مالك وأخيه عبد الحميد وروى عنه البخارى ومسلم ، قال ابراهيم بن الجنيد  
عن يحيى بن معين انه مخاطب يكذب ، زياد بن عبد الله ، قال الترمذى عن وكيع :  
زياد بن عبد الله على شرفه كان يكذب فى الحديث ، احمد بن عيسى المصرى  
المتوفى سنة ٢٤٢ كذبه ابن معين ، قال ابو داوود : وكان ابن معين يحلف بالله انه  
كاذب ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكر اسمائهم -١-

هؤلاء هم بعض رواة صحيح البخارى ، الذين اعتمد عليهم فى تخريج  
أحاديث الرسول ( ص ) ، ونحن لا نقول فى مؤاخذته على ذلك اكثر من

---

١- انظر تراجم هؤلاء فى تذكرة الحفاظ الذهبى ، وتهذيب التهذيب ، ولسان الميزان  
وميزان الاعتدال وخلاصة تهذيب الجمال وشرح المشائل للجزرى وتاريخ بغداد .

قولنا ان تخريبه مثل هؤلاء وتركه تخريب حديث أهل البيت ، مما يبعث في النفوس الاستغراب والشك إذ كان الأجدد به ترك الرواية عن اناس اشتهر عنهم بغض آل محمد ويا ليت شعري أكان خفي على البخاري حال حريز بن عثمان الرحي - ذلك الناصبي الذي أعلن العداة لعلي وآله وواضرا به؟ فان كان خفي عنه ذلك فمن الخطأ ادعاء تلك المنزلة له بالعلم والاحاطة ، وان اتضح حالهم فكيف استساع الاعتماد عليهم ؟

ولبيان نذكر طرفاً من حال حريز بما اتفقت عليه علماء الرجال وأهل السير والتواريخ :

ان عثمان بن حريز بن جبر بن ابي الأحمر بن أسعد الرحي ، كان سفينياً كما قال المفضل بن غسان ، وقال العجلي : كان يحمل على علي ، وقال عمر ابن علي : انه كان ينتقص علياً ، وينال منه ، وكان حافظاً لحديثه ، وقال في مقام آخر ثبت شديد التحامل على علي ، وقال ابن عمار : يتهمونونه انه كان ينتقص علياً ، ويروون عنه ويحتجون به ، وقال أحمد بن سليمان عن يزيد بن هرون : ان حريز كان يقول : لنا امامنا يعني ( معاوية ) ولكم امامكم يعني ( علياً ) .

وقال عمران بن ايس سمعت حريزاً يقول : لا أحب علياً قتل آباي فجعل يسب علياً (١) الى غيرها من الشواهد الكثيرة الدالة على بغضه لآل محمد فحال هذا الرجل ظاهر لا ينكر ، ونحن لنا الحق ان نستنكر من البخاري تخريب حديث حريز ومن هو على شاكلة الذين ملا كتابه من الرواية عنهم ولا نستبعد من البخاري لاطلاعه واتساع معلوماته ان تخفي عليه حالة اوئامك الذين اشتهروا

بالنصب ولعل هناك أمر خفي علينا كان هو الداعي له على اقدمه لروايته واحتجاجه به ولست أدري أخفي على البخاري قول النبي لعلي : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ حتى اشتهر في عصر الصحابة انهم كانوا يعرفون المنافقين ببغضهم علي بن ابي طالب . وبغض علي بغض رسول الله ( ص ) .

أم خفي على البخاري قوله ( ص ) : يا علي حربك حربي وسلامك سلامي أليس علي هو من النبي بمنزلة هرون من موسى كما يحدثنا البخاري نفسه في صحيحه ج ٢ ص ١٩٩ .

وهناك آلاف من الاحاديث في فضل علي وقد خرَّجها الحفاظ من طرق عديدة ولكن البخاري لم يخرج إلا ثلاثة أحاديث أو أربع ، وليس من المعقول ان عدم تخرجه لا أكثر من هذا كان لعدم وثوقه بصحتها ولكن هناك شيء لا نذكره ولعله كان يفقد الشجاعة والجرأة الأدبية كما لاحظ ذلك منه بعض المستشرقين فقال ما مضمونه : ان كتاب البخاري لا تتجلى فيه الشجاعة وعدم الخوف من العباسيين كمسند أحمد لأنه - أي مسند أحمد - لم يتخرج من ذكر أحاديث كثيرة في ذكر مناقب علي وشيعته وعكسه البخاري وهانحن نضع منها بين يدي القارىء ثلاثة امور وردت بالطرق التي اجمعت الامة على صحتها ليتضح لنا مدى تحفظ البخاري واعراضه عن ذكر فضائل آل محمد .

قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أخرج مسلم في صحيحه عن طريق عائشة : خرج النبي ( ص ) وعليه مرط من جل من شعر أسود فجاء الحسن ( ع ) بن علي ( ع ) فادخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال :

( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) - ١ -  
واخرج الترمذي من طريق عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي ( ص ) قال :  
نزلت هذه الآية على النبي ( ص ) في بيت أم سلمة فدعا النبي « ص » فاطمة  
وعلياً وحسناً وحسيناً فجلهم بكساء ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم  
الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة : يارسول الله وانا معهم ؟ قال : انت على  
مكانك وانت على خير - ٢ -

واخرج الحافظ أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة ٣٠٣ هـ  
في الخصائص ص ٤ من طريق سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت ( إنما يريد الله  
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) دعا رسول الله ( ص ) علياً  
وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي . واخرج الخطيب من طريق  
أبي سعيد عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية وكان في البيت علي وفاطمة والحسن  
والحسين ، قالت وكننت على باب البيت فقالت أين أنا يارسول الله ؟ قال : انت  
في خير والى خير - ٣ - .

واخرج أيضاً من طريق أبي سعيد عن النبي « ص » في نزول هذه الآية  
قال : جمع رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم ادار عليهم الكساء فقال :  
اللهم هؤلاء أهل بيتي ... الخ

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٧ بهامش الاصابة . قال  
لما نزلت ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) دعا

١ - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٧

٢ - الترمذي ج ٤ ص ٢٠٤

٣ - الخطيب ج ٩ ص ١٢٧



رسول الله (ع) فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً في بيت أم سلمة وقال : ( اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ) ، وأخرجه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ - ٥٢١ من طريق أم سلمة .

وذكره السيوطي من طريق أم سلمة في الدر المنثور - ج ٥ ص ١٩٨ قال :  
أخرج ابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أم سلمة أن رسول الله (ص) كان في بيتها على منامه له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة فقال (ص) : ادعي لي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله (ص) « إنما يريد الله ... الآية » فآخذ النبي « ص » بفضلة أزاره فغشاهم ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي . الخبر .

وقال محمد بن أحمد المالكي في الفصول المهمة ص ٦ : روى الواحدي في كتابه المسمى اسباب النزول يرفعه بسنده إلى أم سلمة أنها قالت : كان النبي (ص) في بيتها يوماً فاتته فاطمة بيرمة فيها عصيد فدخات فيها عليه فقال لها : ادعي لي زوجك وابنيك فجاء علي « ع » والحسن والحسين فدخلوا يأكلون والنبي « ص » جالس على دكة وتحتته كساء خيبري قالت وأنا في الحجر قريبت منهم فآخذ النبي (ص) الكساء فغشاهم به ، ثم قال : « اللهم أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . فأدخات رأسي قلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال « ص » : إنك على خير ، فانزل الله عز وجل : إنما يريد الله ... الآية .

وأخرجه ابن جرير الطبري في ذخائر العقبى ص ٢١ قال : في بيان أن فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) إلى آخر ما ذكر .

ورواه من طريق أم سلمة ، ومن طريق عمر بن أبي سلمة ريب  
رسول الله ( ص ١ ) ، ومن طريق زينب بنت أبي سلمة ، ومن طريق وائلة بن  
الاسقف ، ومن طريق عائشة - ١ -

وعن ابي سعيد الخدري - انها نزلت في خمسة - رسول الله وعلي ،  
وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، واخرجه أحمد في المناقب والطبراني .

واخرجه الخطيب البغدادي ج ٩ ص ١٢٩ عن سعد بن أبي عوف عن  
أبي سعيد عن أم سلمة . وأيضاً في ج ١٠ ص ٢٧٨ عن أبي سعيد الخدري انها  
نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين واخرجه البغوي من طريق عائشة - ٢ -  
واخرجه الحاكم في المستدرک عن عطاء بن يسار عن أم سلمة - ٣ - .

وقال عبد الملك الثعالبي النيسابوري : جمع النبي علياً وفاطمة والحسن  
والحسين ، ثم قال : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم  
تطهيراً ) قال : ويروى أن جبرئيل انظم اليهم واندهس فيهم تقريباً الى الله تعالى  
بمداخلتهم - ٤ - .

وقال - في ص ٤٨٣ : كساء آل محمد يضافون اليه فيقال آل الكساء كما  
قال ديك الجن في مدحهم :

والخمسة الغر اصحاب الكساء معاً خير البرية من عجم ومن عرب  
وقال ابن تيمية في جواب من سأله عن دخول علي « ع » في أهل البيت  
مما لاخلاف فيه بين المسلمين ، وهو أظهر عندهم من أن يحتاج الى دليل بل هو أفضل  
أهل البيت وأفضل بني هاشم بعد النبي ص ، وقد ثبتت عن النبي « ص » انه أدار

١ - انظر ذخائر العقبى ص ٢٤

٢ - معالم التنزيل ٢١٣ بهامش الخازن

٣ - انظر المستدرک ج ٢ ص ٤١٦ - ٤ - شمار القلوب ص ٨٤

كسأه علي وفاطمة ، وحسن وحسين فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » - ١ -

وقال ابن حجر الهيتمي في شرح همزية البوصيري ص ٣١٩ عند قوله

وبأم السبطين زوج علي وبنيتها ومن حوته العباء :

وهم النبي « ص » وفاطمة وعلي وبناتها « الحسن والحسين » .

وقال : وصح انه (ص) جعل علي وفاطمة وبنيتها كسأه وقال : ( اللهم

هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ) ، فقالت أم سلمة

وأنا منهم ؟ قال : إنك علي خير ، وفي رواية القى عليهم كسأه ووضع يده عليهم

وقال : « اللهم إن هؤلاء آل محمد « ص » فاجعل صلواتك وبركاتك على آل

محمد انك حميد مجيد .

وقال الشيخ عبد القادر الرافعي ( في نيل المراد ) ص ٦٥ عند ذكر بيت

البوصيري ومن حوته العباء : هم النبي وعلي وفاطمة وبناتها .

وذكر ابن كثير في تفسيره طرق نزول هذه الآية في الخمسة فقط ،

وهم محمد « ص » وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، في خمسة عشر مورداً ونود

الاشارة اليها زيادة في التوضيح وتأكيدها للبيان .

١ — حديث أبي الحمراء ان النبي « ص » كان إذا طلع الفجر جاء الى

باب علي « ع » وفاطمة وقال : الصلاة الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .

٢ — حديث شداد بن عمار عن واثلة - قال عمار : إني لجالس عند

واثلة بن الاسقف إذ ذكروا علياً فشموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى اخبرك

عن هذا الذي شتموه ، كنت عند رسول الله « ص » إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فالقى عليهم كساءً له ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

٣ — حديث أبي رباح عن حدثه عن أم سلمة - أنها نزلت في الخمسة

٤ — من طريق أبي هريرة عن أم سلمة أيضاً

٥ — عن حكيم بن سعد : ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة ، فقالت

في بيتي نزلت ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً )

٦ — عن عطية عن أبيه عن أم سلمة

٧ — عن أبي سعيد عن أم سلمة

٨ — عن شهر بن حوشب عن أم سلمة

٩ — عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة

١٠ — عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : خرج النبي ذات

غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء الحسين

معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه ثم جاء علي فأدخله معه ثم قال ( ص ) ( إنما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً )

١١ — وعن العوام بن حوشب - عن ابن عم له قال : دخلت مع أبي

علي أم المؤمنين عائشة فسألتها عن علي فقالت : تسألني عن رجل كان أحب الناس

إلى رسول الله « ص » وكانت ابنته تحته ، رأيت رسول الله ( ص ) دعا علياً

وفاطمة وحسناً وحسيناً فالقى عليهم ثوباً ، فقال : ( اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب

عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ) قالت : فدنوت منهم فقلت : يا رسول الله وأنا من

اهل بيتك؟ فقال: تمنحني إنك على خير - ١ -

١٢ — عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي «ص» أنها نزلت في خمسة  
في وفي علي وفاطمة وحسن وحسين .

١٣ — عن عامر بن سعد عن سعد قال: إن النبي «ص» حين نزلت  
عليه فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: ربي هؤلاء أهلي  
وأهل بيتي .

١٤ — عن أبي جميلة عن الحسن بن علي (ع)

١٥ — عن السدي عن أبي ديلم عن علي بن الحسين (ع)

هذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره سالكننا في نقله طريق الاختصار واعتقد  
ان المنصف يكفي بما ذكرنا ولا يحتاج الى ذكر تفاصيل اخرى بتخصيص نزول  
هذه الآية في أهل البيت خاصة ، فالامر أجلى من الشمس .

وكان صلى الله عليه وآله يؤكده بعمله أمام أصحابه بهذه المنزلة ، لذلك  
كان يمر على باب دار فاطمة يرفع صوته بالسلام عليهم ويتلو هذه الآية .

روى الترمذي في صحيحه عن أنس بن مالك . قال: إن رسول الله (ص)  
كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى صلاة الفجر ويقول: الصلاة  
يا أهل البيت «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» - ٢ -  
وفي رواية أبو الحمراء: ان النبي (ص) كان يمر ببیت فاطمة وعلي (ع)

١- أخرجه البغوي عن عائشة في معالم التنزيل ٢١٣ المطبوع بهامش تفسير الحازن وكذلك  
الحازن نفسه ذكره من طريق عائشة ٢١٣ - وفيه زيادة أنت من أزواج النبي - ولا تتكلف  
البحث عن قوله (ص) لعائشة تمنحني . والهاق أنت على خير أو أنت من أزواج النبي فهي على  
كل حال خارجة عن هذا الشمول .

٢- شرح الترمذي لابن العربي ج ١٣ ص ٨٥ وابن البر في الاستيعاب بهامش

فيقول : السلام عليكم أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »

رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٤ عن أبي الحمراء أن النبي (ص) كان يمر على باب بيت فاطمة ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا وأتى باب فاطمة ويقول : السلام عليكم أهل البيت . إنما يريد الله ... الآية . وروى ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة أبي الحمراء ج ٥ ص ١٧٤ مثله قال رواه الثلاثة - ١ - :

وعن ابن عباس شهدنا رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي عند وقت كل صلوة فيقول : السلام عليكم أهل البيت إنما يريد الله ... الآية خمس مرات - ١ -

وهذا البيان منه (ص) زيادة في البيان لأئمة وتأكيد لهم في إبراز أهله بتلك المنزلة العظيمة وبديهي أنه ما كان قصده أن يوقظهم للصلاة فهم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .  
ولكن لشدة اهتمامه بآله وبإظهار فضلهم للامة كان يعمل هذا ليطبقه تطبيقاً عملياً . وقال الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى - ١ -

ثم انه يختلف تفسير آله (ص) باختلاف المقامات ، ففي مقام الزكاة هم الذين تحرّم عليهم الصدقة كبنى هاشم وفي مقام المدح أهل بيته الكرام الذين يجهمون بزيارتهم يبلغ العبد المرام . وفي الحديث : من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له . والله در القائل :

١ - الدر المنثور ٥ - ١٩٩ واخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ - ١٦

٢ - انظر شرح التلوية - ١٢٣

أرى حب آل البيت عندي فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربي  
فما اختار خير الخلق منّا جزاءه على هديه إلا المودة في القربي  
وهم أهل العبا جمعهم النبي (ص) تحت الكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل  
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فانزل الله عز وجل :

إنما يريد الله.. الآية : وهم الحسن والحسين وامهما وابوها كما قال بعضهم :

إن النبي محمداً ووصيه وابنيه وابنته البتول الطاهرة

أهل العباء وانتي بولائهم أرجو السلامة والنجاة في الآخرة

رواه الشيخ عبد الله الشبراوي في الاتحاف السنية ص ٥ . وأخرجه ابن

عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٢٠٤ واطال البحث في تحقيقه . ومحمد بن يوسف

الشافعي في كفاية الطالب ج ٢ ص ١٣ . والشيخ أبو بكر بن ملا الحنفي في كتاب

قرة العيون ج ١ ص ١٨٩

وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ١ ص ٣٧ .

والشيخ نعمان الالوسي في غالية المواظ ج ٢ ص ٨٦ قال أخرجه الامام

أحمد عن أبي سعيد الخدري ان الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين -

وأخرج البيهقي والترمذي وابن المنذر عن أم سلمة .. الخ .

وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ٢٦٧ عن أبي سعيد وعن أم سلمة .

ويطول بنا البحث ، في تتبع إيضاح هذه الآية ، وذكر روايتها ، وبيان

اختصاصها بآل محمد لا يشار إليهم بتلك المنزلة احد ، فنقتصر على هذ البيان الموجز

بالنسبة لما تقتضيه من إيضاح يستدعي الى وضع مجلدات .

## حديث الغدير

رواه جماعة من الصحابة ، ينوف عددهم على المائة ، وفي طليعتهم أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، المتوفى سنة ٢١ الذي قال فيه رسول الله ( ص ) : ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء . من ذي لهجة اصدق من أبي ذر رواه عنه جماعة من الأعلام .

وحذيفة اليماني المتوفى سنة ٢٦ وهو هو في مكاتبه وصحبته ، وجابر بن عبدالله الانصاري ، وابو أيوب خالد بن زيد الانصاري المتوفى بغزوة الروم سنة ٥٠ ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي المتوفى سنة ٣٦ ، وطاحه بن عبيدة التميمي ، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة زوجة النبي ( ص ) اخرج حديثها ابن (١) عقدة في كتاب حديث الولاية ، وعبدالله بن عباس المتوفى سنة ٦٨ والعباس بن عبدالمطلب عم النبي ( ص ) وعثمان بن عفان ، وأبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي شهيد صفين سنة ٢٧ ، والصديقة فاطمة بنت النبي ( ص ) وغيرهم الى عدد يتجاوز المائة ، ورواه من التابعين عدد ينوف على الثمانين ، وكانت عناية الجميع بهذا الحديث ظاهرة ، وقد خرَّجه جماعة من العلماء في كتبهم المعتمدة .

(١) هو احمد بن محمد بن سعيد الكوفي المتوفى ٢٣٠ قال الذهبي : هو حافظ العصر والحديث البحر كان اليه المنتهى في قوة الحفظ وكثرة الحديث وقال الدار قطنى اجمع اهل الكوفة انه لم يكن بالكوفة من زمن ابن مسعود الى زمن ابن عقده احفظ منه ، وقال ابو علي الحافظ : ما رأيت لحديث الكوفيين احفظ من ابن العباس بن عقدة ، وكان ابن عقدة يقول : احفظ مائة الف حديث باسا نيدها ويقول اجيب في ثلثمائة الف حديث من احاديث اهل البيت قال الذهبي وكان مقدما في الشيعة انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٦ وذكرنا ترجمته هنا لانه من الذين القوا في حديث الغدير في القرن الرابع واخرج الحديث من مائة وخمسين طريقاً .



في صحيحه ، والترمذي والحاكم ، عدد لا يمكننا حصره بهذه العجالة ، والف فيه جماعة كتبها خاصة يربو عددهم على الثلاثين .

وشهد به لأمير المؤمنين عدد من الصحابة ، يوم ناشدهم بحديث الغدير في مواطن عديدة كيوم الشورى ، وأيام عثمان ، ويوم الرحبة ، وقام له في ذلك اليوم من الصحابة عدد ليس بالقليل وفي طليعتهم أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو هريرة الدوسي ، وأبو سعيد الخدري ، وغيرهم عدد لا يقل عن العشرين وتواتر النقل بتعدد مناشدة أمير المؤمنين أصحاب محمد ﴿ص﴾ ، باظهارهم للملاءمة هذا الحديث الشريف كما ورد انه ناشدهم يوم الجمل ، ويوم الركبان في الكوفة ، وشهد له بذلك جماعة من الصحابة منهم عمار بن ياسر ، وهو من البدرين ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وهم ممن شهدوا بدرأ ، وقد اخفى ذلك الحديث جماعة من الصحابة لمؤثرات العاطفة وعوامل الغريزة ، فدعا عليهم أمير المؤمنين ﴿ع﴾ بقوله : اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها ، فبرص انس ، وعمى البراء بن عازب ، ورجع جرير اعرابيا بعد هجرته وهم ممن كتموا شهادتهم ولم يؤدوا ما حملوا ، ومنهم زيد بن أرقم ، ويزيد بن وداعة .

وكذلك ناشد أمير المؤمنين ﴿ع﴾ أصحاب محمد ﴿ص﴾ يوم صفين واحتجت به فاطمة والامام السبط الحسين ﴿ع﴾ بن علي ﴿ع﴾ وعبدالله بن جعفر وغيرهم ، ولزيادة البيان نورد طرفا من هذه الخطبة ، أخرج ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٢١٠ في كتاب الولاية بسنده عن زيد بن ارقم قال : لما نزل النبي ﴿ص﴾ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد فأمر بالدوحات فقامت ونادى الصلاة جامعة فجمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال :

إن الله تعالى انزل إلي بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقد أمرني جبرئيل عن ربي ان أقوم في هذا المشهد واعلم كل أبيض واسود ان علي بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي والامام بعدي فسئلت جبرئيل ان يستعني لي ربي لعلمي بئلة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي ، وشدة اقبالي عليه حتى سموني اذنا ، فقال تعالى : ومنهم الذين يؤذون النبي ( ص ) ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم ولو شئت ان اسميهم وأدل عليهم لفعلت وليكني بسترهم قد تكلمت ، معاشر الناس فان الله قد نصبه لكم ولياً واماماً وفرض طاعته على كل أحد ماض حكمه جائز قوله ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدقه ، اسمعوا واطيعوا فان الله مولاكم وعلي إمامكم ، ثم الامامة من صلبه الى القيامة ومنها :

افهموا كتاب الله ، ولا تتبعوا متشابهه وان يفسر ذلكم إلا من أنا آخذ بيده سائل بعضه ومعلمكم : ان من كنت مولاه فبلي مولاه وموالاته من الله عز وجل انزلها علي ألا وقد أدبتُ ألا وقد أسمعتُ ألا وقد أوضحت ، الى آخر خطبته ( ص ) التي رواها الثقات من رجال الامة .

ومن أراد الاطلاع وسعة البيان فليراجع ما كتبه الحجة المتتبع فقيه التاريخ شيخنا الصادق الامين الشيخ عبدالحسين الاميني فففيه نعمة الرائد وبقية الطالب (١) فهذا بيان موجز عن حديث الغدير ، الذي تخرج البخاري عن اخراجه ، وتكرر له كما تكرر لكثير من فضائل أهل البيت ، وحادثة الغدير أهم الحوادث الاسلامية التي سجلها التاريخ بصورة لا مجال لاحد انكارها ، وأهم شيء انكار

---

(١) يقع الكتاب في عشرين مجلد صدر منه عشرة اجزاء واعيد طبعها وهو يواصل طبع الاجزاء الباقية .

بعض المسلمين لهذه الحادثة المهمة ، مكابرة منهم بعد وضوح الحجّة والدليل القاطع يوم قام النبي (ص) في ذلك الحفل الرهيب ، واجمع الحاشد وفي ذلك الهجير المضطرم ، في غدیر خم حيث مفترق المدینین ، والمصریین ، والعراقیین ، وعدد الجمع لا يقل عن مائة الف ، وبلغ ما أمره به ربه (بان ينص على علي (ع) وينصبه علما للناس من بعده ، وكان النبي (ص) يعلم ان ذلك سوف يثقل على الناس وقد يحملونه على المحاببات والمحبة لابن عمه وصهره ، ومن المعلوم ان الناس ذلك اليوم وإلى اليوم ليسوا في مستوى واحد من الايمان واليقين بنزاهة النبي (ص) وعصمته عن الهوى والغرض ، ولكن الله سبحانه لم يعذره ، في ذلك فإوحى اليه : ( يا أيها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ) فلم يجد بداً من الامتثال بعد هذا الانذار الشديد فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدیر خم فنادى وجلهم يسمعون : الست أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ فقالوا اللهم نعم فقال : ( من كنت مولاه فهذا علي مولاه ) الى آخر ما قال ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحاً وتصريحاً وإشارة ونصاً حتى ادى الوظيفة ، وبلغ عند الله المعذرة ولكن كبار المسلمين بعد النبي (ص) تأولوا تلك النصوص نظراً منهم لصالح الاسلام حسب اجتهادهم فقدموا واخروا وقالوا الأمر يحدث بعده الأمر ) \*  
وكان عيد الغدير محل عناية أهل البيت وشيعتهم على ممر العصور يقيمون شعائره حسب مناسبات الظروف ، وفي عهد آل بويه أقيم في بغداد سنين متطاولة بصورة علنية نظراً لرفع الرقابة وعدم الحذر وقد عظم ذلك على خصوم الشيعة فثاروا ضد اعلان هذا العيد وحدثت ثورات دموية بين السنة والشيعة على ممر الزمن والشيعة متمسكة باظهار هذا العيد لا تقف تلك المحاولات في طريق اقامة

شعائره ولما رأوا خصوم الشيعة ان وسائلهم التي قاموا بها ضد هذه الشعائر كان نصيدها النشل التجأوا الى المغالطات العملية فقاموا في احداث عيد يقابلون فيه عيد يوم الغدير الزاهر .

وهو يوم الغار وجعلوه عيدا وأقاموا الزينة ونصبوا القباب في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة وزعموا أن النبي (ص) وأبا بكر اختفيا في الغار وهذا من الجهل والغلط البين فان أيام الغار إنما كانت في آخر صفر أو في أول شهر ربيع الاول - ١ - واستمروا على ذلك مدة ثم كان صير هذا العيد الى الاهمال والنسيان .

أما الشيعة فقد استمروا باقامة عيد الغدير واقامة المآتم يوم عاشورا فضاق باعدائهم ذرعا ففي سنة ٣٦٣ عمداهل السنة الى مقابلة الشيعة وأركبوا امرأة وسموها عائشة وتسمى بعضهم بطاحنة وبعضهم بالزبير وقالوا نقاتل أصحاب علي فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير - ٢ - واستمرت الفتن بين الطرفين بسبب إقامة هذه الشعائر وبلغت مبلغاً شديداً حتى التجأ خصوم الشيعة الى الاستعانة بالجند والسودان وذلك في سنة ٣٥٠ هـ ٩٦١ م وكان الجنود يسألون من يجدونه في الطريق من خالك فان لم يقل معاوية ضربوه .

وطاف أحد السودان المتهجمين بالطرقات وهو يصيح بين الناس معاوية خال علي فتابعه العامة وأصبحت هذه هي صيحة أهل السنة بمصر حين ما يريدون قتال الشيعة - ٣ - ويحكى عن بعض الشيعة في تلك الحنة قيل له : معاوية خالك

١ - انظر شذرات الذهب لابن العماد ج ٣ ص ١٢٠

٢ - تاريخ بن كثير ج ١١ ص ٢٢٥

٣ - الحضارة الاسلامية للاستاذ آدم متري ١٠٨

فقال : لا أدري أكانت أمي نصرانية - ١ -

كل ذلك محاولة منهم لارغام الشيعة على ترك إقامة هذه الشعائر ولكنها  
مرت على ذلك غير مبالية ، بتلك المقابلات الفاشلة ،

وقابلوا يوم عاشورا بيوم مصرع مصعب بن الزبير وأقاموا عليه النياحة  
وزاروا قبره يومئذ بمسكن ونظروه بالحسين (ع) لكونه صبر وقاتل حتى قتل ،  
ولأن أباه ابن عم رسول الله وحواريه كما أن أبا الحسين (ع) ابن عم النبي (ص)  
وفارس الاسلام فنعوذ بالله من الهوى والفتن - ٢ -

وناهيك ماجرى في بغداد من حروب دامية مبعثها الجهل والتعصب التي  
يقف القلم عند وصفها وأعظمها محنة وقعة الكرخ التي تجلت فيها نفسه قوم أشرب  
في قلوبهم بغض آل محمد والقضاء على من يواليهم فقد هجمت طوائف يبعثهم  
صلف الولاة وميلهم للنزعات حتى أحرقوا دور شيعة آل محمد (ص) وقتلوا الرجال  
والأطفال فكانت عاقبة الدولة الى الدمار والانهيار بعد تلك الحادثة بقليل وليس  
في وسعنا التعرض لذكر تلك الفجائع السود ولا نود نبش تلك الدفائن التي مرت  
في تلك العصور المظلمة ونحن في عصر ما أحوجنا فيه الى الاخوة والاتحاد لنقابل  
من يكيد الاسلام ويحاول القضاء على تعاليمه ولا يروق له اتحاد المسلمين .

١ - الحضارة الاسلامية الاستاذ آدم مئزى ١٠٨

٢ - شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠

## الثقلين

أخرج مسلم في صحيحه من طريق زيد بن أرقم خطبة النبي (ص) يوم الغدير وقوله (ص) يوم الغدير وقوله (ص) فيها وأنا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي اذ كرم الله في أهل بيتي اذ كرم الله في أهل بيتي  
ص ١٢٢ ج ٧ .

واخرجه الترمذي في ج ٢ ص ٣٠٨ .

عن زيد بن أرقم قال رسول الله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، واخرجه أحمد في مسنده ج ٢ - ص ١٤ ط ١

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

وفي ص ١٧ منه

عن أبي سعيد أيضاً عن النبي (ص) قال إني أوشك أن ادعى فاجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما ؟

وفي ص ٢٦ منه

عن أبي سعيد الخدري مثله ، واخرج الخطيب البغدادي في ج ٨ - ص ٤٤٣ من طريق حذيفة بن اسيد أن رسول الله (ص) قال يا أيها الناس إني فرط لكم وأنتم واردون على الحوض وإني سأئلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم واستمسكوا به واخرجه الحاكم من طريق زيد بن ارقم في المستدرک ج ٤ ص ١٠٩ - ، ورواه السيوطي من ثلاث طرق من طريق زيد بن ارقم - وزيد ابن ثابت وأبي سعيد الخدري ، وأخرجه فقيه الحرمين محمد بن يوسف الشافعي في كتابه كفاية الطالب ، وأخرجه الطبري في الذخائر من طريق زيد بن ارقم ، وأخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٣٦ ثم ذكره بطرق مختلفة وقال ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً ، وذكره الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي في ص ٦ في كتاب الاتحاف بحب الاشراف ، والسيوطي أيضاً في كتاب احياء الميت بفضائل أهل البيت المطبوع على هامش الاتحاف ، وذكره الشيخ العدوي في مشارق الانوار عند ذكره لفضائل أهل البيت ص ١٤٦ ، والعلامة السيد خير الدين أبي البركات نعمان افندي الألوسي في غالية المواعظ ص ٨٧ ج ٢ ، وقال ابن حجر في شرح الهمزية عند ذكر آل محمد (ص) وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي قرابتي انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم إلا ومن آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ثم ذكر حديث الثقلين واختصاصه بآل محمد (ص) ورواه ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٨٦ ، من طريق زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله (ص) يوماً خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى

ووعظ وذكركم قال : أما بعد ألا أيها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي وقال الشيخ عبدالرحمن النقشبندي في كتابه العقد الوحيد بعد ذكره أهل البيت ص ٧٨ - كيف وهم انجم ديننا ومصدر شرعنا وعمدة اصحابنا فيهم ظهر الاسلام وفتى ، وبهم تأيدت اركانها ونشأ ، ومن ثم صح انه صلى الله عليه وآله قال اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحلفوني ، وصح عنه ( ص ) قال من سره أن يكتب بالميكالي إلا وفي إذا صلى علينا أهل البيت فليقل ، اللهم صل على محمد وآله .

وروي عن الشافعي انه قال بوجوب الصلاة على الاك في التشهد الأخير وروي له قوله .

يا آل بيت رسول الله حبيكم فرض من الله في القرآن انزله  
كفناكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لاصلاة له  
وجاء في مجلة المسلم الصادرة في مصر عدد ١ - السنة ٢ في شهر شعبان  
سنة ١٢٧١ هـ ص ٨ رقم ٧ قال أهل البيت حراس هذا الدين وورثة هذا المجد الى  
أن يقول وكان أهل البيت هدفا للطعن والاذى المنوع بل وللإبادة في كل عصور  
التاريخ من عهد الامام علي ( ع ) رضي الله عنه وقد اتخذوا اعداءهم محاربتهم ديننا  
نسبوه ظالمين لجدتهم ( ص ) ولعبت أطوار التاريخ في ذلك أدوارا مريرة حتى  
جردوهم من انسابهم وأملأهم وأوقفهم بعد أن افأوا عليهم من صنوف المهانات  
وألوان العذاب باسم الدين المظلوم مالا يعلمه إلا الله ولم يكفهم أن ينالوا منهم حتى



دفعهم سوء الطبع وسوء الادب وسوء الايمان والغل الدفين الى تأليف الكتب في اضطهاد الرسول وسبه باسم احياء السنة واجتهاد الرسول والعياذ بالله انتهى .  
وقال في القاموس في مادة ثقل ، الثقل كعنب ، ضد الخفة ، والثقل محرّكة متاع المسافر وحشمته وكل شيء نفيس مصون ، ومنه الحديث : ( إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ) ، وقال محب الدين في التاج في مادة ثقل عند ذكر الحديث : جعلها ثقابين اعظاماً لقدرها وتفخيماً لهما ، قال شعاب : سماها ثقيلين لأن الأخذ بهما ثقيل والعمل بهما ثقيل ، وقال ابن أبي منظور في لسان العرب : روي عن النبي « ص » انه قال في آخر عمره : ( إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ) ثم ذكر قول شعاب وقال : وأصل الثقل ان العرب تقول لكل شيء نفيس مصون خطير : ثقل فسماها ثقيلين إعظاماً لقدرها وتفخيماً لشأنها ويقال للسيد العزيز ثقل الى آخره .

وقال ابن الأثير في النهاية بعد أن ذكر قوله « ص » : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماها ثقيلين لان الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ، ويقال لكل خطير ثقل ، وقال في المصباح : العترة نسل الانسان قال الأزهري وروي شعاب عن ابن الاعرابي : ان العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرف من العترة غير هذا .

ويطول بنا الحديث إذا حاولنا تتبع مخارج هذا الحديث وبسط القول فيه وقد اقتصرنا على هذا القدر من طريقه لنذبه على ترك البخاري لذكره مع كثرة طريقه ، وهناك أمر يستدعي الانتباه وهو أن يد التحريف التي لازالت تبعث على الأمة عوامل التفرقة قد جنت جنابة عظيمة فحرفته مخالفة لله ولرسوله فنص الحديث يقول : كتاب الله وعترتي ، وأولئك الجنة يقولون كتاب الله وسنتي

وأنت بعد اطلاعك على مخارج الحديث ترى أن فيه مقاصداً جليلاً وهو يلزم  
الامة بكل صراحة الى اتباع آل محمد (ص) والافتداء بهم فهم عدل القرآن .  
ولو لم ير رسول الله (ص) في أهل بيته كفاءة الامر بالقيام بعده لما  
ألزم الأمة بهذا الإلزام ولكنه يعلم مقدرتهم وكفاءتهم فهم هداة الخلق ومعالم  
الرشاد وبهم سعادة المجتمع والنبي « ص » اعرف بالمصالح العامة وادري بنفسيات  
الامة فرعى تلك المصلحة فقد نظر ان صالحهم وأن سعادتهم هي في اتباع أهل البيت  
فالزمهم بذلك من باب المصاحبة لأنفسهم لا انه شرع الحكم الوراثي في الاسلام  
كما يقولون :

( لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم  
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )

## ملوك عصره وامراءه

لقد رفضت الدولة الأموية الأخذ بنظام الاسلام ودعت الناس الى محاربهه وارتبطت أشد الارتباط بفوضى الجاهلية وجمعت شتات ذلك الجمع الذي فرقته المصلح الأعظم بدعوته .

فلاسلام يأمر بالوحدة ، وهم فرقوا الكلمة ، وينهى ان تراق الدماء وقد لغوا فيها ، ويأمر بالاحسان والعدل وقد جاروا في الحكم وأساؤا السيرة في الأمة فاذا رجعنا الى ماضي الجاهلية والتاريخ الذي سجل تلك العصور الوحشية ادركنا انه تمثل في عصرهم باوضح صورة إذهي دفعت الناس الى التخلف عن حدود الدين والخروج عنه علناً ، وقد كان الاسلام قد ضرب على المسلمين حداً جعل النفوس الشريرة تحسبه سجناً ضيقاً تتمنى الخروج من قيوده التي سنّها الشرع المقدس لحفظ النظام وسعادة البشر فهو يعاقب على ترك الصلوة ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، وأكل الاموال بالباطل ، وحدد حدوداً ونظم قوانين يعاقب بها المجرم بمخالفته حسب جريمته ، ولم يفرق في تطبيقها بين افراد الأمة جمعاء فهي بعمومها تشمل الشريف والوضيع والحر والعبد والذكر والانثى ، ولم تكن هناك رخصة لأحد فيها ، ولا مـيزة تطبق من أجلها على طبقة دون أخرى فالكل يخضعون لذلك النظام على حدٍ سواء ، وليس هناك طبقة فوق القانون الذي شرّعه الاسلام وما ذلك إلا لقلع جذور الشقاء وغرس السعادة ورعاية المصلحة العامة ليجتني الناس ثمر ذلك الغرس الذي غذاه محمد (ص) بتعانيه واجهد نفسه أي جهد في تفهيم الناس منافعه ومصالحه ولا ريب أن هذه التعاليم التي تكفلت للأمة

بالسعادة في اتباعها محتاج الى تنفيذ وتطبيق، وهل الذي يقوم بهذه المهمة إلا الانسان الكامل الذي لا تهمه مصلحة نفسه ؟ بل إن أهم شيء عنده المصلحة العامة ، وهو الذي يغذي الأمة بدمه لتمثال السعادة على ضوء تعاليمه ، وتحيا الحياة المطلوبة في صعيد إرشاداته. وما الاسلام إلا مجموعة نظم وقوانين سماوية هبطت إلى الأرض بواسطة النبي الأعظم فهو الذي يتولى تطبيقها في حياته ، ومن يختاره لذلك بعد وفاته بأمر من المشرع الاعلى ( وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ) قال الامام كاشف الغطاء رحمه الله: ( فالامامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة فكذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وان ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الامام لا يوحى اليه كالنبي وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي فالنبي مبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبي ، والامامة متسلسلة في اثني عشر كل سابق ينص على اللاحق وهو معصوم - كالنبي - عن الخطأ والخطيئة وإلا لزلت الثقة ( إني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ) لان الغرض هو تكميل البشر وتركية النفوس بالعلم والعمل الصالح : ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ) والناقص لا يكون مكملاً لغيره والفاقد لا يكون معطياً ) انتهى .

والامام الصادق هو سادس الأئمة الاثني عشر وهو صاحب هذه الولاية وولي أمر المسلمين وهو الانسان الكامل الذي اختاره الله لتطبيق ذلك النظام المقدس في عصره .

ولسنا في موقف الراغب الى البحث عن الامامة والولاية العامة ، فإياها محل آخر .

ونسكننا في معرض بيان موجز ، عن اعمال ولاة امر المسلمين في عصره الذين تولوا رعاية الأمة وليس لهم قدرة على اصلاح انفسهم فكيف تصلح بهم الأمة وقد شاهد الامام ضيعهم السيء وسيرتهم الملتوية في منهجهم السياسي الفاتك من اضطراب حبل الامن وما كان يمثله على مسرح الحياة من الادوار المحزنة التي قام بها اصحاب الجشع والطمع الذين لا يهتمهم من شؤون المجتمع إلا الرياسة والسيطرة على الرعية واشباع رغباتهم النفسية من أي طريق كان الى ما هنالك من جرائم هي شعلة عذاب ونقمة على الأمة إذ خالفوا الكتاب والسنة ووقفوا حاجزا دون المجتمع ودون سعادته التي جعلها الله لهم باتباع أوامر الدين والخضوع لنظامه ، وسنعرض بعض الحوادث التي جرت في ذلك العصر لنعرف مقدار ما تحمله الامام عند مشاهدته لتلك الاعمال القاسية والأوضاع الشاذة وهو المصلح الذي تهمه مصلحة الناس قبل مصلحة نفسه ، ويريد لهم السعادة تحت ظلال الدين الخفيف .

فكان موقفه ( ع ) في تلك المدة موقف الرجل المصلح الذي يصول بيد جذاء لقلّة اعدائه وكثرة انصار أولئك القوم الذين تربعوا على دست الحكم . فهو يراقب الحوادث عن كثب ويتألم لتلك الفضائع ويشارك المسلمين في ما سيهم .

ولم يكن ليترك الأمر بالمعروف والمهي عن المنكر وارشاد الناس ، فقد كان يث تعاليمه في معارضتهم ، ويحذر الأمة من مخالطة أئمة الجور كما اشتهر ذلك عنه وأدل دليل على ذلك كلماته الخالدة .

إياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور .  
أيما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر ففضى عليه  
بغير حكم الله فقد شركه في الأثم ، أيما رجل كان بينه وبين أخ له ممارسة في  
حق فدعاه إلى رجل من أخوانكم ليحكم بينه وبينه فإني إلا أن يرافعه إلى هؤلاء  
كان بمنزلة الذين قال الله عز وجل فيهم : ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما  
أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا  
أن يكفروا به ) .

اتقوا الحكومة فإن الحكومة للإمام العالم بالقضاء ، العادل بالمسلمين كنبى  
أو وصي نبي . وسأله رجل عن قاضٍ بين فرقتين يأخذ من السلطان على القضاء  
الرزق فاجابه أن ذلك سحت . العامل بالظلم والمعين له والراضي به كلهم شركاء  
ثلاثتهم ، إلى كثير من ذلك ، وسندكر بعضها فيما بعد .

وكان يحث الناس ويدعوهم إلى مقاطعتهم وعدم الركون إليهم ، ويدعو  
الامة إلى الاتحاد ضد أولئك الظلمة امثالاً لقوله تعالى : ( ولا تركنوا إلى الذين  
ظلموا فتمسككم النار ) فهو يث نصيحته بين طبقات ذلك المجتمع بصفته امام زمانه  
ويواصل جهاده في سبيل الدعوة الإصلاحية ، ليفك أسر الامة من يد اشرار  
افسدوا ذلك المجتمع الصالح ، وقد عاش مدة من الزمن وعاش كثيراً من ملوك  
عصره فما ركن لهم وما استطاعوا أن يستميلوه وأدل شيء على ذلك ماجرى بينه  
وبين المنصور عندما أراد المنصور أن يستجلب رضا جعفر بن محمد ( ع ) ليؤمهم على  
الناس أن ولايته على حق فارسل إليه لم لاتعشاننا كما يعشاننا سائر الناس ؟ وكان  
المنصور يرضن من الامام جواباً يحقق هذا الطلب إذ المنصور خليفة العصر ومهاب  
الجانب . فكان جواب الامام ( ع ) ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه

ولا عندك من الآخرة ما أرجوك له : ولا أنت في نعمة فنهنيك عليها ، ولا تعدها  
نقمة فنعزيك عليها فلم نغشاك .

وعظم هذا الجواب على المنصور ولكنه يعرف منزلة الصادق ( ع )  
وصدقه في ذلك ، وحاول ان يسلك طريقاً لضم الامام الى جانبه كما ضم غيره ،  
إذ يصعب عليه انزاله وترفعه عن مخالطته فارسل اليه انك تصحبنا لتصحنا ،  
ولم يخف مراده على الامام فاجابه : « من أراد الدنيا فلا ينصحك ، ومن أراد  
الآخرة فلا يصحبك » .

## ملوك عصره

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وامه عائشة بنت  
معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية. فهو أموي بين أمويين ولي المدينة المنورة  
في عهد معاوية وهو أول من سمي بعبد الملك في الاسلام ، وكانت ولادته سنة ١٦  
هو يزيد بن معاوية في سنة واحدة ، بويع له بالخلافة سنة ٦٥ وكان قبل خلافته  
يتظاهر بالعبادة والتقشف ملازماً للمسجد تالياً للقرآن ، وكان يقال له ابو الذباب  
لأنه كان أفوه مفتوح الفم ربما دخل الذباب في فمه ، حج في سنة ٧٥ وخطب  
الناس بخطبة قال فيها : انه كان من قبلي من الخلفاء تأكلون من المال ويأكلون  
واني والله لا أداري أدواء هذه الامة إلا بالسيف « ولست بالخليفة المستضعف »  
« يعني عثمان » ولا الخليفة المداهن « يعني معاوية » ولا الخليفة المأبون « يعني  
يزيد بن معاوية » . - ١ -

قالت له أم الدرداء : بلغني أنك شربت الطلى بعد العبادة والنسك ، فقال  
اي والله والدماء أيضاً شربتها .

فيكانت أول بادرة منه ان نهى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعلن في  
خطبته التي تعتبر منها جأ لدولته بقوله : لا يأمر في أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه - ١ -  
وأفضى الأمر اليه والمصحف بيده فقال : هذا آخر العهد بك - ٢ - ولولم  
تكن له سيئة من تلك السيئات التي ارتكبها إلا تولية الحجاج وحمله على رقاب  
المسلمين لكفاه خزياً وعذاباً اليماً ، فالحجاج ذلك الطاغية الذي اذاق الامة أنواع  
العذاب يعمد سيفه في رقاب الأبرياء واتخذ ذلك السجن المكشوف الذي يضم  
بين جدرانها عدداً لا يقل عن مائة وعشرين الفاً من بين رجل وامرأة يلاقون  
حرارة الشمس وألم الجوع وبسكابدون غصص وضع الرماد على الرؤوس يمجون من  
الشدّة ويغلون كلرجل تحركهم حرارة الشمس وتقايمهم السياط وبعج الرياح وصرخة  
السجانين ولقد اتخذ الحجاج في معاملة الناس عند ولايته أفسى ما يتصور من القسوة والشدّة  
يعمد سيفه أني شاء وكيف شاء ، وله أساليب في إنزال العذاب والعقوبة بمن يظفر بهم .  
فهذا سجين يشدُّ عليه القصب الفارسي المشقوق ويجر عليه ثم ينضح عليه  
الخل - ٣ - وذلك أسير آخر اصيب ساقه بنشابة ثبت نصلها في ساقه ، وعلم  
الحجاج ان أشد عذاب يعامل بها اسيره أن يحرك النصل لسمع استغاثة السجين  
وصياحه فتأخذه نشوة الطرب تجبراً وطغيانا .

قال عمر بن عبدالعزيز : لوجأت كل امة بجنيتها وجننا بالحجاج لغلبناهم - ٤ -

وقال عاصم : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج - ٥ -

١- كادل ابن الأثير ج ٥ ص ٢٥١ . ٢- تاريخ الخلفاء السيوطي ٨٤

٣- كادل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٦ - ٤- نفس المصدر ٢٨١ .

٥- تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ١٣٢ .



وسئل الحسن البصري عن عبد الملك بن مروان ، فقال : ما أقول في رجل

الحجاج سيئة من سيئاته - ١ -

كان عبد الملك يشجع الحجاج ويشد أزره ولا يسمع عليه أي شكاية ولا يرق لأي استغاثة ، ولما أدركه الموت أوصى ولي عهده الوليد - برعاية الحجاج وإكرامه - ٢ - وكيف لا يوصيه برجل كان من رأيه ان عبد الملك أفضل من النبي ( ص ) . ولا عجب من الحجاج بل العجب ممن يطالب له بالمعاذير ويحاول أن يوفق بين أعماله القبيحة وبين الدين ، ويريد ان يدخله الجنة رغم الحواجز وليس يبعد عن التعصب والعاطفة حصول هذا وأمثاله ونستطيع ان نعرف نفسية عبد الملك وما هو فيه من جرأة على سنك الدماء ، من ولايته للحجاج وكانت تصله أخباره وترفع اليه الشكايات ، والاستغاثة منه فلا يرون عنده إلا تشجيع الحجاج على عمله .

ولما حضرته الوفاة أوصى ولده الوليد ، وأخذ له البيعة بالسيف وقال له وهو في آخر ساعة من الدنيا : يا وليد حضر الوداع وذهب الخداع وحل القضاء فبكي الوليد فقال له عبد الملك : لا تعصر عينيك كما تعصر الامة الوكاه اذا أنامت فغسلني وكفني وصل علي واسلمني الى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي ، واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد عمر ، واقعد على المنبر ، وادع الناس الى بيعتك ، فمن مال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا ، وتمسك للصديق والقريب ، واسمع للبعيد ، واوصيك بالحجاج خيراً - ٣ - .

وبهذا نأخذ صورة عن كيفية أخذ البيعة من الناس لخليفة جديد ، يتولى ادارة شؤون

١ - تاريخ ابن الفداء ج ١ ص ٢٠٩

٢ - السيوطي ٨٥

٣ - الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٤

الامة، فهل الامة اختيار في الانتخاب أم أنها مرغمة ليس لها أي رأي . ولا يحق لها الاعتراض على شيء من ذلك، والمعارض يقتل فهل تصح مثل هذه البيعة التي سن نظامها العهد الأموي، وهل يصح ان يسمى من يفوز بمثل هذا التعيين الاجباري باير المؤمنين ويكتب ذلك بحروف بارزة؟ انا لا أدري ولعل هناك من يدري وإلى القارى التنبه الحكم .

ولا يسعنا التوسع في البحث عن أحداثه وحوادثه ومالقيته الامة في أيامه من عمله وعماله. ولنتقل الى خليفة جديد يتولى أمر الامة وهو الوليد بن عبد الملك بوع بعد أبيه سنة ٨٦ وكان أول عمل يجري على يده ، من الاصلاحات التي تتطلع اليه الناس ، هو فتح شارع جديد بسرعة لا نظير لها ، من دار عبد الملك إلى المقبرة التي يودع بها ويقبر وكان غرضه من ذلك أن يسير موكب التشييع على خط مستقيم لا يعرج بسرير عبد الملك يمينا وشمالا - ١ - فقد أمر بهدم الدور وتسويتها بالارض بتلك المدة التي لا يسع أهلها الخروج منها إلا بصورة تبعث على التأثر .

وفي عهده قتل سعيد بن جبير ذلك العبد الصالح قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٤ . والوليد هو الذي بنى جامع دمشق المعروف بالجامع الاموي ، ويعد من حسناته. وأنى ينفع بناء المساجد مع المعاملة بغير الاحسان والعدل . ومدة ملكه عشرة سنين، وهناك جريمة يتعاضى عنها أكثر المؤرخين ويتكتمون عن ذكرها لانهم يذهبون لامامته وهي قتله للامام زين العابدين بن الحسين بن علي سيد أهل البيت في عصره واعلم الامة في وقته ورابع الامة الاثني عشر وذلك في سنة ٩٤ قتلها بالسهم - ٢ - كما سيأتي بيانه وهو الذي أدخل حجرات ازواج النبي ( ص ) في المسجد فقال له

١ - الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٤ .

٢ - دلائل الامامة لابن جعفر بن رسم الطبري ص ٨١

حبيب بن عبدالله بن الزبير انشدك الله ان تهدم آية من آيات كتاب الله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) فأمر بضربه حتى مات  
وفي عهده ولي خالد بن عبدالله القسري مكة وهو ذلك الجبار الذي سجل التاريخ اعماله وسيرته السيئة وما عامل الامة فيه ، واقد أظهر الكفر وصرح به على المنبر في بعض خطبه عندما أعلن للناس رأيه بأنه يفضل الوليد على النبي (ص) - ١ - ولقد سبقه الحجاج الى هذا الرأي - ٢ - في تفضيل عبدالمالك على النبي (ص) ولو لم يكن رأيهما يقع موقع الرضى في نفس الوليد لما استطاعا أن يصرحا بذلك .

والدولة الأموية منذ تأسيسها تحاول اخضاع الأمة لهم بدافع العقيدة ليوجدوا في النفوس قوة هائلة على ماتحت ايديهم من تلك القوة الارهابية التي عاملوا بها الناس ولكنها محاولة فاشلة .

وتولى بعد الوليد اخوه سليمان بن عبدالمالك سنة ٩٦ وكان قد اتخذ عمر ابن عبدالعزيز مستشارا في بعض أموره لذلك كانت أيامه أهون من سلفه بالنسبة اليهم وهو الذي قتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير الفأح العظيم وعبدالعزيز هذا كان أفتتح في امارته مدائن ، وكان متصفا بالزهد والصلاح ولكن سليمان توصل الى قتله في سنة ٩٨ قال ابن الأثير : ويعدونها من زلات سليمان وكان والده موسى بن نصير قد سخط عليه سليمان وأرسل اليه وابقاه عنده فلما قتل ولده عرض رأس ولده عليه فتجلد المصيبة وقال : هنيئاً له بالشهادة وقد قتلتموه والله صوَّأما قوَّأما .

١ - الكامل ج ٤ ص ٢٥٧

٢ - ابن كثير ج ٩ ص ٧٦

وغضب سليمان على موسى بن نصير - ١ - الفاتح العظيم وعذبه انواع العذاب وضمنه على أربعة الف دينار وثلاثين الف درهم أي أربعة ملايين دينار وثلاثين مليون درهم .

عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب كان مولده سنة ٦١ ومات سنة ١٠١ . كان عمر بن عبدالعزيز تابعيا جليلا روى عن انس بن مالك وغيره ، وكان ينتقص عليا إتباعا لسلفه واحياء للسنة التي ابتدئها معاوية ، فسار عليها الهمج الرعاع من الناس حتى شب عليها الصغير وشاب الكبير فبلغ ذلك عبيد الله بن عبدالله ، فلما أتاه عمر عرض عنه وقام يصلي فجلس عمر ينتظره فلما سلم اقبل عبدالله عليه وقال : متى بلغك ان الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ففهما عمر ، فقال : معذرة الى الله واليك والله لأعود فما سمع بعد ذلك يذكر علياً (ع) إلا بخير ، ولما ولي الامر منع السب ومحى تلك البدعة التي تحملها الناس بالقبر والقوة ، وكتب الى الآفاق تبرك شتم علي المنابر وجعل عوضه ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى . . . ) الآية ، فحل هذا الفعل عند الناس محملا حسنا ومدحوه ، قال كثير عزة

وليت فلم تشتم علياً ولم تحف      بريثا ولم تسمع مقالة مجرم  
تكلمت بالحق المبين وإنما      تبين آيات الهدى بالتكلم

١ - موسى بن نصير المتولد سنة ١٩ اصلاه من عين التمر وقيل ان اياه سبي من جبل الخليل من الشام وكانت لموسى مواقف مشهورة وهو القائد العظيم الذي فتح بلاد المغرب وغنم اموال طائلة وله بها مقامات مشهورة ووجه ولده عبدالله ففتح جزيرة ميورقة وغزى ولده الآخر السوس الاقصى وبلغ السب اربعين الفاً ووجه مولاه طارق بن زياد ففتح اقليم الاندلس وكان موسى من عرف هو وأبوه بولائه لآل محمد ولا يستبعد ان ذلك سببه غضب سليمان عليه وقتل ولده لذلك هو هذا كما غضب معاوية من قبل علي أبيه نصير إذ لم يخرج لصفين معه لقتال علي وتوفي موسى سنة ٩٨ انظر الامامة والسياسة تجد تفاصيل فتوحاته وما غنمه .

وصدقت معروف الذي قلت بالذي فعلت فاضحياً راضياً كل مسلم  
فلما سمع عمر انشادها قال اذاً أفألحقنا - ١ - وصعب ترك سب علي على  
نفوس الأمويين الشريرة وحاولوا اعادته نظراً لما طبعوا عليه من بغض علي (ع)  
ومناواته يحدثنا الطبري ج ٥ ص ٢٨٤ قال : حجج هشام سنة ١٠٦ وكان سعيد  
ابن الوليد بن عثمان بن عفان يسايره فقال له يا أمير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم  
على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلغون في هذه المواطن  
الصالحة أبا تراب فأمر المؤمنين ينبغي له ان يلغنه في هذه المواطن الصالحة فشق على  
هشام ذلك وثقل عليه كلامه ثم قال ما قدمنا لشم أحدولاً للغنه وإنما قدمنا حججاً .  
وولي الأمر من بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه عاتكة  
بنت يزيد بن معاوية وذلك في سنة ١٠١ وتوفي سنة ١٠٥ ولم تطل أيامه وعاجلته  
منيته ، وهو الذي هام بمعشوقته حبابه ، واستوات عليه استيلاء السيد على عبده  
ولما ماتت خرج عن شعوره وفقد اتزانة ، وأمر بان تخرج جيفتها بعد مدة  
يتسلى بها ومات بعدها بقليل . وكانت خلافته أربع سنين وشهر .  
ولما ولي الأمر قال : سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فمكث كذلك  
أربعين ليلة ، فأتى باربعين شيخاً فشهدوا له انه ما على الخلفاء من حساب  
ولاعذاب - ١ - .

وانتقل الأمر الى هشام بن عبد الملك ببيع سنة ١٠٥ وفي عصره انتشرت  
دعوة العلويين بتدبير ذلك الانقلاب وكان هشام يتظاهر بخصال استوجبت البقاء  
على الملك ، ولما توفي في سنة ١٢٥ تولى الضعف على جسم الدولة ولم تبق بعده أكثر

١ - السكامل ج ٥ ص ٣٠ في حوادث سنة ٩٩

٢ - ابن كثير ج ص ٢٣٢

من سبع سنين ، وفي أيامه قتل زيد بن علي بن الحسين ( ع ) بن علي بن أبي طالب في سنة ١٢١ بالكوفة -١- ، وكان هشام معلناً بالعداء لآل محمد ، وهو الذي حبس الفرزدق بانشاده القصيدة في مدح الامام علي بن الحسين ( ع ) في السنة التي حج بها هشام في خلافة والده عبد الملك ، يوم جاء ليستلم الحجر فلم يستطع لكثرة الازدحام ولم يفرج له الناس ولم ينظروا لعظمته ومنزته ، فنصب له منبر ، وأحاط به أهل الشام فكان أعظم شيء عليه ان ينظر الى الناس تنفرج في ذلك الازدحام ويكونوا ساطين ، ويخلو الطريق الى استلام الحجر عندما قدم علي زين العابدين ، فهابه الناس وانفرجوا له اجلالاً وهيبة ، فغاض ذلك هشام فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذي هابه الناس وأفرجوا له عن الحجر ؟ قال هشام : لا اعرفه لئلا يرغب الناس عنه ، وكان الفرزدق ( ٢ ) حاضراً فقام فقال : أنا اعرفه ، فقال الشامي من هو يا أبا فراس ؟ فأنشأ الفرزدق قصيدته العصماء المشهورة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
الى آخر قصيدته ، ولا شك ان ذلك الرجل لم يكن ليجهل زين العابدين  
ولكنه أراد ان يلفت نظر هشام لعظمة زين العابدين .

وحج هشام بن عبد الملك في أيام خلافته ، وكان محمد الباقر في المسجد وقد أحاط به طلاب العلم وهو في تلك الحلقة ، يلقي تعاليم الدين الاسلامي ، ويعلمهم الأحكام والفرائض ، فصعب ذلك على هشام ، فقال لرجل من جماعته : اذهب اليه واسأله وقل له يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكله الناس ،

١- الاتحاف بحج الاشراف ص ٥٢ والفصول المهمة وغيرها .

( ٢ ) هو هام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التيمي البصري المعروف بالفرزدق

الشاعر المشهور توفي سنة ١١٠

ويشربونه في المحشر الى ان يفصل بينهم يوم القيامة ، فلما سأله الرجل قال قل له يحشر الناس ، على مثل قرص النقي (١) فيها أشجار وأنهار يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب ، وكان هشام يقصد من وراء هذا السؤال ان يظفر بشيء يستطيع به ان يضع من منزلة الامام في ذلك المجتمع ولو من باب المغالطة ، لأنه محقق عالمه فلما رجع الرسول اليه بما أجابه الامام ظن هشام انه ظفر بما أراد ونجح بما دبر فقال الله اكبر اذهب اليه فقل له يقول لك : ما اشغلهم عن الاكل والشرب يومئذ ؟ فقال ابو جعفر الباقر : هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن ان قالوا افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فسكت هشام وعرف فضله وهو الذي سير الامام الباقر (ع) وولده الصادق (ع) من المدينة الى الشام ، يقصد بذلك اهانتها ، والتشفي منها لما رآه وسمعه عندما حج في تلك السنة ، وحج فيها الامام محمد الباقر وولده الصادق (ع) فقال الامام الصادق في ذلك الملاء : الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً واكرمنا به ، فنحن صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده ، وخلفائه ، فالسعيد من تبعنا ، والشقي من عادانا ، فبلغ هشام ذلك ، وعظم عليه فلم يتعرض لها بشيء ، حتى انصرف الى دمشق ، وأمر باشخاص الامام وولده الصادق (ع) الى دمشق ، قال الامام الصادق (ع) فلما وردنا دمشق حجبتنا ثلاثاً ، ثم أذن لنا في اليوم الرابع ، الى آخر ما هو معروف من هذه القصة .

وأناخ ركب الخلافة الاسلامية عند ذلك الخليفة الفاسق المتهتك الذي زاد على سلفه في سوء الفعل وخبث السريرة ذلك هو الوليد بن يزيد الذي ارتكب أفضح الامور وأقبحها ، قال ابن فضل الله في المسالك الوليد بن يزيد فرعون  
(١) النقي كفتي قال في النهاية الحديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصة النقي يعني أخبر الحواري .

ذلك العصر الذاهب ، يأتي يوم القيامة فيورد قومه النار ويرديهم العار وبئس  
الورد المورود ، رشق المصحف بالسهام وفسق ولم يحش الآثام ) قال سليمان أخوه  
عند ما جيء اليه برأسه انه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ولقد ارادني على نفسي  
وفي عبارة ابن كثير ولقد ارادني على نفسي هذا الفاسق وانا أخوه لم يأنف من  
ذلك ، ويحدثنا الشيخ عبد الباسط في التحفة ص ١٠٦ في صفة الوليد انه كان  
فاسقاً شريباً للخمر متمتكا لحرمات الله ثم ذكر ارتكابه المنكر مع ابنته البكر .  
وتفائل في المصحف فخرج له ( واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد )  
فزرقه وأنشد :

أتوعد كل جبار عنيد      فها أنا ذلك جبار عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشر      فقل يارب مرقني الوليد

واصطنع بركة من خمر فكان يلقي نفسه ، ويشرب منها طرباً حتى يظهر  
النقصان في أطرافها ، وكانت ولايته للامر بعد عمه هشام سنة ١٢٥ هـ ولم تطل  
أيامه ومزق الله شمله وأراح الامة منه ، وقد كان متصفاً بصفات الشر أجمع من  
زندقة وكفر وغشيان امهات اولاد أبيه ومراودة اخوانه وتجاهره بشرب الخمر  
واللواط والزنا حتى بمحارمه ، فكان عصره عصر سوء ومحن وبلاء ، وقد اراد أن  
يشرب الخمر على الكعبة الى كثير من تلك الصفات التي كان يتصف بها ذلك  
الشرير ، ولا نستغرب صدور تلك الغرائب منه فهو من شجرة ملعونة لا تحمل  
إلا تلك الصفات الخبيثة ولكننا نستغرب كل الغرابة من بعض مؤرخي المسلمين  
الذين يصفونه بامرة المؤمنين ويقفون الى جنبه يناصرونه ويدافعون عنه ولكنهم  
دفاع فاشل وضربة أشل ، وقتل سنة ١٢٦ هـ وانتقل الأمر من بعده الى .



## يزيد بن عبد الملك بن مروان<sup>بن الوليد</sup>

بويغ له بالخلافة - بعد قتل الوليد الفاسق - ليلة الجمعة في جماد الآخرة سنة ١٢٦هـ وهو المعروف بالناقص، وكان داعية للقدر وقرب اصحاب غيلان الذي قتله هشام ابن عبد الملك وكانت مدة ولايته ستة اشهر ومات في ذي القعدة وفي أيامه كثرت المؤاخذات على الامويين واشتد جانب الدعوة الهاشمية وانتشر الدعاة في الافطار ولم يبق من الدولة الا صباغة توزع على ذوي الاطاع، وكل ثار في جهة واضطربت الامصار واتسعت شقة الخلاف وكثر القتل وتتابعت الثورات وكان الخليفة الرسمي ابراهيم بن الوليد ووليها من بعده مروان الحمار آخر ملوك الدولة وقتل على يد العباسيين سنة ١٣٢هـ وبه تقوضت دعائم تلك المملكة وانهار بناؤها .

### امراء بدمر

أبان بن عثمان أمه عمرة بنت جندب الدوسية ادعى السماع من أبيه وكذبه أحمد، روى له مسلم في صحيحه وليها سنة ٧٦هـ في عهد عبد الملك بن مروان وكان من النقباء وكان به صمم وأصابه الفالج قبل أن يموت توفي سنة ٨٥ وولي مكانه هشام بن اسماعيل الخزومي .

هشام بن اسماعيل جد هشام بن عبد الملك لأمه وليها في سنة ٨٤ وكان ظالماً مبغضاً لآل محمد ينال من علي (ع) عند ما خطب وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً لامتناءه من البيعة في زمن عبد الملك والبسه ثياباً من شعر وأركبه جملاً وطاف به المدينة وسجنه بعد ذلك، وكان يسيء لعلي بن الحسين وفي سنة ٨٧ عزله الوليد عن أمرة المدينة وولى ابن عمه عمر بن عبد العزيز وأمرا

به أن يوقف للناس عند دار مروان لأنه كان يسيء معاملة أهل المدينة فاسمعه الناس من الكلام ما لا يجب انتقاما وتشفيا منه فأمر علي بن الحسين خاصة أن لا يتعرضوا له بالكلام كما تعرض له أهل المدينة ومر به يوما وهو في موقفه فلما اجتازه وتجاوزوه ولم يتعرض له بشيء ناداه هشام: الله اعلم حيث يجعل رسالته ، وكان هشام يقول ما أخاف إلا من علي بن الحسين - ١ -

عمر بن عبدالعزيز - ولاء الوليد بن عبد الملك أمرة المدينة سنة ٨٧ وعزله سنة ٩٢ وذلك لأنه كتب إلى الوليد يخبره عن الحجاج وسوء سيرته مع العراقيين فكتب الحجاج إلى الوليد عندما بلغه ذلك يطلب منه عزل عمر بن عبدالعزيز فعزله وولى مكانه عثمان بن حيان ، وقد تقدمت ترجمة عمر .

#### عثمان بن حيان المري

ولي الأمر سنة ٩٢ وعزله سليمان سنة ٩٦ وفي أيامه نفى العراقيين من المدينة ومنع كل أحد من انزالهم عنده وذلك لعلمه أن العراقيين أشد ميلا للعوليين كما يتضح لنا من طيات كلماته عندما أعلن هذا الدستور على المنبر ، بقوله : والله ما جرت عراقيا قط إلا وجدت أفضالهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وانهم لأعداء لهم ولغيرهم ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم والله لا أوتي بأحد أوى أحداً منهم أو أكره منزلاً إلا هدمت منزله وانزلت به ما هو أهله - ٢ -

وقد كان من قبله خالد القسري أعلن هذا النظام الجائر عندما ولي الحجاز في مكة ، فاصبح الناس يتحامون قرب العوليين ويحذرون أشد الحذر من الاتصال

١ - الضبري ج ٥ ص ٢١٧

٢ - نفس المصدر

بهم ومن ساقه القدر الى الوقوع بهذه الشبكة يحمل مقيداً الى العراق في عهد  
الحجاج لينال جزاءه من دون جرم .

أبو بكر محمد بن حزم

ولي المدينة سنة ٩٦ وعزله يزيد بن عبد الملك في سنة ١٠١

عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الغهري

ولي المدينة سنة ١٠٦ وعزله يزيد سنة ١٠٤ وكانت ولايته ثلاث سنين  
وأشهر ، وكان سيء السيرة عامل الناس بالظلم فبعضوه وذمه الشعراء ، وكانت  
عاقبة أمره ان غضب عليه يزيد وعزله ولم يقبل فيه شفاعاة لأحد وولى مكانه  
عبدالواحد بن عبدالله النظري نائب الطائف وأمره ان يعذبه يأخذ منه أربعين  
الف دينار ، فعذبه وكان في آخر أمره يسأل الناس في المدينة .

عبدالواحد بن عبدالله النظري

ولي المدينة في شوال سنة ١٠٤ وكانت سيرته مرضية وضم اليه يزيد  
مكة والطائف في سنة ١٠٥ وعزله هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٦ وولى مكانه  
خاله ابراهيم بن هشام .

ابراهيم بن هشام بن اسماعيل الحزومي

ولي أمر المدينة سنة ١٠٦ وضم اليه هشام مكة والطائف وحج بالناس في  
سنة ١٠٦ وخطب الناس بمنى يوم النحر بعد الظهر فقال سلوني انا ابن الوحيد  
لاتسألون أحداً أعلم مني ، فقام اليه رجل من أهل العراق فسأله عن الاضحية أو اجبة  
هي أم لا؟ فما أدري أي شيء يقول فنزل وبقي والياً ثمان سنين وعزله هشام  
في سنة ١١٤ .

خالد بن عبد الملك

ابن الحارث بن الحكم قدم المدينة في شهر ربيع الأول سنة ١١٤. وعزله

هشام سنة ١١٨

محمد بن هشام بن اسماعيل

وليها من قبل هشام سنة ١١٨ وبقي والياً عليها الى سنة ١٢٥ فعزله الوليد

ابن يزيد وولى خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي في سنة ١٢٥ وهو خال

الوليد لأن الوليد أمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وبقي إلى سنة ١٢٦ ثم

عزله يزيد بن الوليد وولى مكانه عبدالعزیز بن عمر بن عبدالعزیز في سنة ١٢٦ ثم

وليها عبدالواحد بن ساجان بن عبد الملك سنة ١٢٧ وفي عهده دخل أبو حمزة

الخارجي المدينة واستولى عليها مدة ثلاثة اشهر وقتل هذا الخارجي من أهل المدينة

خلقا كثيرا وانتقل الامر الى بني العباس.

وولي السفاح، وكانت أيامه أيام ثورات في جميع الاقطار، وتظاهر

بعطفه على أهل البيت فكان عصره أهون ممن جاء من بعده وهو المنصور، وقد

تعرضنا لبعض أعماله ومعاملاته مع أهل البيت ولا حاجة الى إعادة ذلك في

هذا البحث.

## موقف الصادق معرهم

هو لاء هم ولاة الأمر في عصر الامام الصادق (ع) رأينا ان تأتي بهذه اللوحة الموجزة ليتجلى للقارىء موقف الصادق (ع) في ذلك العصر الذي انتشر به الفساد ومني المجتمع فيه بضرور المحن والابتلاء وهو بدون شك يحمل من الأذى اضعاف ماتتحمله افراد الأمة لأنه المصلح الذي يريد للمجتمع السعادة المفقودة في عهد ولاة أمر لا تحترم حقوق الأمة المشروعة ، وتتحدى نظامها المقدس إذ استبدوا بالأمر وظالموا الأمة ، واستأثروا بالمغانم وخالفوا الكتاب والسنة في سبيل غاياتهم الدنيئة ، وخلقوا مشكلات الخلاف والتعصب ليفرقوا الكلمة ويشتموا الشمل ويشغلوا الافكار مما اثر على سير المسلمين وتقدمهم من الجهة الروحية التي هي قوام دينهم ، وذلك خلاف ماقرره الاسلام ، ( لأنه يدعو الى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ) والامام يرى أن واجبه يحتم عليه نشر دعوة الاصلاح ، وتوجيه المجتمع وبث تعاليم الدين ، وأن يعان غضبه على ذلك النظام الجائر بصفته امام زمانه وليكنه ماذا يصنع وهو الرجل المغلوب على أمره والمغصوب منه حقه ، ومع ذلك فانه لم يألو جهدا في معارضتهم ونهي الناس عن مخالطتهم والتولي لاعمالهم وقد أوجب على الأفراد عدم التعاون مع ولاة الامر ، وحرّم عليهم العمل لهم وحذر وأوعد من عاونهم بالعذاب لانه كبيرة من الكبائر ، إذ الوالى الجائر يشتد عزمه وتتسع دائرة استبداده ، عند ما يكثر مناصروه . فالامام يرى أن انفصال الأمة وعدم الركون اليهم يضيق دائرة الاستبداد ويرغم الولاة على العدل ، ويأمل من وراء ذلك لهم السعادة ، والغرض أن ولاة ذلك العصر أو خلفاء الدولة الروانية قد انهمكوا في نعيم الدنيا وسفكوا الدماء ، وانتهكوا المحرمات وتجاهروا في عدا

آل محمد (ص) ، وتتبعوا من اتهم بحبهم ، والميل اليهم وتقريب من عرف  
ببعضهم ، يحاولون بذلك تحويل انظار الأمة عن أهل البيت وهم أهل العلم والورع  
والعبادة . والناس وإن تمكن منهم حب الدنيا والطموح الى المال فهم يخضعون  
لسيطرة العلم والدين بدافع العقيدة ، وحب الناس لآل محمد (ص) لالدنيا وليكنه  
للدين وحده فحبهم من الدين ، لذلك كان يشغل على بني أمية ذكر أهل البيت  
بخبير لأن سياستهم تركزت على بغضهم ونصب العداة لهم واقصاء من اتهم بحبهم  
وقتل من اتضح منه ذلك .

ويعطينا الشاعر العبلي - ١ - صورة عن تلك السياسة بقوله :

شردوا بي عند امتداحي علياً ورأوا ذاك في داءاً دويماً

فوربي ما أبرح الدهر حتى تختلي بهجتي بجي علياً

وبنيه لب أحمد اني كنت احببتهم بجي النبيا

حب دين لاحب دنياً وشر الحب حب يكون دنياً ويا

صاغني الله في الذوابة منهم لازمياً ولا سنيداً دعيماً

وكان هذا الشاعر في عداد الأمويين فهو من عبدالعزيز بن عبد شمس وكان

يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي وسبه على المنابر ويظهر الانكار فنهوه

عن ذلك ونفوه من مكة الى المدينة ، وعاش مجفواً من الأمويين مع مدحه لهم

وشعره فيهم .

ثم خلفتها الدولة العباسية فزادت - كما يقال - في الطنبور نعمة حتى قال

أحد مخضري الدولتين .

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

لأنهم تتبعوا الذراري العلوية فقتلوهم تحت كل حجر ومدبر وخربوا ديارهم  
وهدموا آثارهم حتى قال الشعراء في عصر التوكل ؛  
تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما  
فلقد اتته بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهذوما  
اسفوا على أن لا يكونوا شاركونا في قتله فقتبوه رميا  
وكابد أهل البيت من المحن مالا يمكن حصره فقد امتلأت منهم السجون  
واهتزت باجسامهم المشانق ، وسالت بدمائهم الارض .  
وكانت السلطة الحاكمة تشجع خصومهم وتدعوا الناس للابتعاد عنهم ،  
ويصدر مرسوم من بغداد إلى مصر ، بأن لا يقبل \* علوي ضيعة ولا يركب فرسا  
ولا يسافر من القسطنطينية إلى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد  
الواحد ، وإن كانت بين علوي وبين أحد من سائر الناس خصومة فلا يقبل  
قول العلوي ويقبل قول خصمه بدون بينة - ١ - وكانوا بين آونة وأخرى ،  
يصدر مرسوم بأن يسفروا من الأطراف إلى عاصمة الملك ليكونوا تحت الرقابة  
وينالوا العقاب هناك ، وأمر الرشيد عامله على المدينة أن يضمن العلويون بعضهم  
بعضا وكانوا يعرضون على السلطان كل يوم فمن غاب عوقب .  
ولم يقف العلويون تجاه هذه المشا كل موقف الذلة والخضوع ، وأبت  
نفوسهم التسليم لتلك النظم والاحكام القاسية ، واستطاعوا الافلات من تلك  
السيطرة ، فثاروا في وجوه الظلم لرفع راية العدل فكانت هناك ثورات دموية  
كان النجاح مع اكثرهم فاسسوا دولا وحكومات اقلقت العباسيين ودفعتهم لحب  
الانتقام من العلويين ، وتطبيق مادة الفناء والابادة بحق من عرفوه بالميل لهم

أو اتهم بذلك فحاكوا لهم التهم ولصقوا بهم العيوب ، فلقيت شيعة أهل البيت من ذلك أشد الأذى ، ولكنهم ذالوا تلك المصاعب بسلاح العقيدة والإيمان الصحيح ، ووقف معسكرهم من البداية الى النهاية مرابطاً على خط الدفاع عن حقوق آل محمد والانتصار لهم .

على ان الاكثرية الساحقة دعاهم - الطمع ، وحب الدفاع عن النفس ، وهو من الغرائز الملائمة لطبيعة الانسان - للتظاهر مع السلطة على هضم حقوق العترة وبث تلك الدعايات الكاذبة ضد شيعتهم لأنهم شاهدوا الأحكام القاسية التي تطبق على الشيعة ، وشاهدوا ان أقرب الناس من ساحات الأمن وأبعدهم عن الخطر من الف كتابا في ذمهم أو ابدى رأيا في مؤاخذتهم أو طعن في معتقداتهم أو قال شعراً يهجوهم به أو عرف بالعداء لآل محمد ، وهم أئمة الشيعة ولا يرون طاعة أحد غيرهم فتجد السكتاب والعلماء والشعراء يتقربون الى ولاة الأمر بما يحط من كرامتهم لينالوا شهادة الانتساب الى تأييد السلطة وهانحن نذكر موجزاً من ذلك وللتفصيل محل آخر (١)

هذا بشار بن برد المعروف بالزندقة والاحقاد يقف امام الخليفة

العباسي فينشد :

انى يكون وليس ذلك بكائن  
ابني البنات وراثه الأعمام  
فيجيزه المهدي بسبعين الف درهم ، فما حال الرعاع وذوي الحاجة والضمار  
الرخيصة الذين يبيعون ظواهرهم بالبخس الاثمان عندمشاهدة هذا التشجيع . ويدخل  
مروان بن حفص على المهدي فينشده قصيدة يتعرض بها لآل علي (ع) .  
هل تطمعون من السماء نجومها  
باكفكم أو تشترون هلالها

(١) يأتى ذلك انشاء الله تحت عنوان ( الشيعة في قفص الاتهام ) .



أو تدفعون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها  
شهدت من الانفال آخر آية بترائمهم فاردتم ابطالها  
يعني بذلك بني علي وبني العباس - ١ - . فترى المهدي يتزاحف من  
صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجاباً بما سمع وتقديراً لموهبة هذا الشاعر :  
ثم قال له كم بيتاً هي ؟ قال : مائة بيت ، فامر له بمائة الف درهم ،  
وناهيك ما في هذا العمل والتشجيع من الخليفة وأثره في نفوس العامة  
ولا شيء أملك للنفس من عطف الامراء وتوددهم للافراد بما تميل طباعهم اليه .  
ودخل رجل على الرشيد فقال : لقد هجوت الرافضة ، قال : هات فانشد :

رغمًا وشمسًا وزيتوناً ومظلمة من أن تنالوا من الشيخين طغيانا  
قال الرشيد : فسر له لي ، قال : لا ، ولكن أنت وجيشك أجهد من أن  
تدري ما أقول قال : والله ما أدري ما هو وأجازه .

ويقف مروان بن ابي الجنوب فينشد المتوكل شعراً ينال فيه من آل علي  
ويذم شيعتهم فيأمر المتوكل بان ينثر على رأسه ثلاثة آلاف دينار ، ويأمر ولده  
وسعد الايتاخي بالتقاطها له ، ويعقد له على امارة البحرين واليمامة ويخلع عليه  
أربع خلع - ٢ -

هذا بعض ما ابتدته السلطة في مقاومتهم وتشجيع خصومهم ، ولكنه  
عمل لم يثمر أي شيء . قال محمداً تستطيع أي قوة إخفاء ذكرهم أو محو آثارهم  
فيهم في كل زمن . أعلام هدى ودعاة صلاح وذكورهم يتجدد كلما تحرر الفكر  
وازدهر العلم . والمنصف اذا نظر الى انتشار مذهب أهل البيت في الاقطار

١- الخطيب ج ١٣ ص ١٤٤

٢- ابن الاثير ج ٧ ص ٣٨

الاسلامية ، كالعراق ، والحجاز ، ومصر والشام والاندلس والهند ويران ،  
 والبحرين والقطيف وغيرها ، يرى ان ذلك الانتشار انما كان بحسب ذاته ولياقته  
 وقيمه الروحية ، مع شدة مقاومة السلطات فكما تتصف بالعداء له ووقفوا دون  
 انتشاره موافقاً خاتمهم النجاح فيها وسيتضح كل ذلك عند دراستنا لنشأة المذاهب  
 الاسلامية وعوامل انتشارها وهانحن نتقل بالقارىء الكريم الى البحث عن  
 نشأة المذاهب والله ولي التوفيق .



١١١ - ١٢١ - ١٢٢ -

(١) ان ذلك الانتشار لم يحد بحدود (الهند والصين والاندلس)

نشأة المذاهب

المذاهب الأربعة

الاسلامية كالغزال والحصان والحصار والشمس والامم والاندلس والمدار والشمس  
والبحرين والقطيف وغيرها من ذلك الاقصاد التي كان يجب ان يكون  
وغيره الروعة ، يد شانهن في السلطة فكما تصف بالعداء له ووقفوا دون  
انتشاره في العالمين والاربع فيها وينتج كل ذلك بعد دراستنا لتأثير الداهب  
الاسلامية في اهل اقطارها وقد نحن نقول بالقرى التي لم يكن في البحث عن  
شأن الداهب ولا في التوفيق .

تتبعنا  
عائدا

١٢١١

## نشأة المذاهب

— ١ —

وقبل البحث عن حياة أئمة المذاهب الأربعة يلزمنا ذكر أسباب نشأتها وكيف تكيّف الالتزام بها دون غيرها من المذاهب ، حتى أصبح الوقوف عند قول امام معين لازم ، ولا يمكن استنباط حكم شرعي لأي أحد دون اولئك القوم الذين وقفت قافلة التشريع الاسلامي عندهم ، فاصبحوا المصدر للتشريع والمرجع الأعلى في الدين حتى ادعي استحالة الاجتهاد لمن بعدهم ، فأغلق باب في وجوه المسلمين ، وغلق باب الاجتهاد جمود للتشريع وذهاب لحياة الامة ، فتلك امور يلزمنا النظر فيها ولا نستطيع فهمها إلا بعد أن ندرس الظروف التي تكونت فيها فكرة المذهب بمذهب إمام معين ، ونبحث عن أسباب نشأتها وعوامل انتشارها فهل كانت دواعي الانتشار بسبب القيم الروحية أم انها استندت الى السلطة التنفيذية ؟ وهل كانت مستقلة عن تأثر السلطة أم انها عرضة لذلك وهل اخضعتها لتابعها أم انها خضعت لأغراض الولاة ؟ وسيوضح لنا ذلك عند ما نبحث عن نشأة المذاهب .

على اثر النجاح الذي احرزته الجمعيات السرية المنعقدة ضد النظام الأموي طلع نجم بني العباس وكان لهم نشاط سياسي في المجتمع ، فهم في طليعة رجال حركة الانقلاب الذي أحدثته الامة لتحويل الحكم من البيت الأموي الى البيت العلوي ، وكان العباسيون أشد الناس حماساً في ايقاد نار الثورة انتقاماً من الأمويين لأنباء علي وكانت هتافات الثوار هي الدعوة الى الرضا من آل محمد .

على هذا ثارت الامة وانتظمت صفوفها التي نالت الانتصار في تلك الحروب الدامية ، ومحيت امية من صفحة الوجود ونال العباسيون ثمرة ذلك الغرس ، فتأقت نفوسهم الى انتحال هذا الاسم عسى أن يوفقوا لاقناع الامة بانطباقه عليهم فتكون لهم حكومة وراثية وتمنحهم الامة ثقتهم التامة ، وبالطبع ان هذه الفكرة لا تلاقي كثير قبول عند العرب وفي المدينة ومكة في الخصوص ، لذلك وجهوا عنيتهم الى الموالي . فاهل المدينة أعرف بأل محمد وأدرى بنزول الآيات فيهم وأحاديث النبي ووصاياه في آله ، ولأنهم شهدوا تلك الأعمال التي عامل الأمويون آل محمد (ص) وتألموا لها ، فكان كل ينكر ذلك ويتمنى مناصرتهم فلا يمكنهم ان يجعلوا العباسيين هم آل محمد .

وخذراً من انكار العرب وانضمامهم لجانب العلويين اقتضت سياستهم توجيه العناية الى الموالي وهم يأملون من وراء ذلك تثبيت قواعد المملكة اليوم وللقمة من العرب يوماً آخر .

كانت المدينة المنورة مصدراً للفتيا ترجع اليهم الامة في مهمات التشريع الاسلامي لانها مركز العلم وفيها اصحاب الرسول وأهل بيته والتابعين لهم باحسان ، وقد لاحظت الدولة الاموية من قبل هذه المهمة التي يجب أن تلاحظها ، وهي اتجاه الانظار الى المدينة لأنها الجامعة الاسلامية ويخشى على الدولة خطرهما ، فكانت تحذرهم أشد الحذر فاستألت اكثر الفقهاء بالعطاء والرجوع اليهم في المهمات لتسد بذلك ثغرة الخطر على الدولة .

وفي العهد العباسي نشطت الحركة العلمية وكان طبيعياً أن تنتعش العلوم في ظل سلطانهم لانهم كانوا يجعلون حقهم في الامامة قائماً على انهم سلالة النبي ، وكانوا

يقولون انهم سيشيدون - على اطلال الحكومة الموسومة بالزندقة عند أهل التقى -

نظاماً على سنة النبي وأحكام الدين الإلهي .

فنهض أهل البيت وبقية العلماء لنشر العلم إذ وجد المسلمون حرية الرأي والتفوا حول آل البيت لانتهاج العلوم . بن موردهم العذب ، وكان الامام الصادق (ع) هو الشخصية الوحيدة التي يتطلع اليها الناس يوم طلع فجر النهضة العلمية فحملوا عنه العلم الى سائر الأقطار وقصده طلاب العلم من الانحاء القاصية وفتحت مدرسته بتلك الفترة فكان المنتمون اليها أربعة آلاف كما مر ذكره ، وهذا النشاط العلمي لا يروق للدولة الفتية التي قامت على اطلال الدولة الأموية بدون حق شرعي ، وإنما هي في صالح العلويين وإنضمام العباسيين اليهم يطلبون الانتقام من أمية التي جرعتهم كأس الفصص فهم كسائر البيوتات التي انضمت لهذه الدعوة ولكنهم نشطوا بالحييلة وتعلموا باصطناع المعروف لآل البيت فخدمهم السيف فكانوا في حذر متواصل من العرب عامة ومن المدينة خاصة ، لأن أهل المدينة قد وقفوا على حقيقة البيعة وانها لآل علي (ع) دون بني العباس ، كما انهم كانوا في طليعة من بايع محمد بن عبد الله بن الحسن وفي رقبة السفاح بيعته فكيف يستقل بالأمر وينقض تلك البيعة ؟

ولمكنه استطاع بمهارته لجلب قلوب الناس اليه وتثبيت قواعد ملكه على أيدي الفرس اذ لا يأمن وثبة العرب لجانب العلويين فيهم في نظر العباسيين انصار بني علي لا انصار بني العباس ، كذلك كان من سياستهم في بدىء الدعوة قتل كل من يتكلم بالعريسة في بلاد فارس . ومضى السفاح وجاء المنصور للحكم وهو ذلك الرجل الحديد الذي يقتحم مواقع الخطر ولا يتهبب من اراقة الدماء ولا يقف امامه حاجز ولا يردعه وازع ديني في سبيل تركيز دعائم ملكه ، إذ كان الخطر

محيطاً به من كل الجهات وامام غايته حواجز لا يتخطاها إلا بالتجرد عن العاطفة  
ففتك بأهل البيت وأبعد علماء المدينة ونصر الموالي فكانت تلك المعركة القوية  
وهي معركة أهل الحديث وأهل الرأي .

فقرّب فقهاء العراق القائلين بالقياس وأحاطهم بعنايته ليحول أنظار  
الناس اليهم وبذلك تقل قيمة علماء أهل المدينة الذين هم أهل الفتيا الى حد كبير ،  
وما زالت الاقطار الاسلامية عيالا عليهم إذ هم حملة الحديث وأوثق الناس فيه ،

— ٣ —

وكان الحديث في العراق قليلا ولكن انفتح فيه باب الرأي والقياس وقد  
أخذه حماد عن ابراهيم النخعي المتوفى سنة ٩٥ هـ وسنة ٧١٣ م وأخذه أبو حنيفة  
المتوفى سنة ١٥٠ هـ عن حماد ، وكان أهل الحديث يعيبون أهل الرأي بأنهم  
يتركون الاحاديث لأقيستهم ، والدين لا يقاس بالرأي وإنما سموا أهل الرأي  
لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الأحكام وبناء الحوادث  
عليها ، وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الأخبار وطريقتهم ان للشرعية  
مصالح مقصودة التحصيل من أجلها شرعت فجعلوا هذه المصالح أصلا من أصول  
الأدلة إذ لم يجدوا نصا في الكتاب والسنة الصحيحة عندهم وقد كانت قليلة العدد  
لبعد العراق عن موطن الحديث .

وأما أهل الحديث فلم يجعلوا للقياس والرأي في استنباط الأحكام هذا  
المحل . واشهر هؤلاء الامام زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ هـ ٧٤٠ م والامام  
جعفر بن محمد الصادق ، والامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ ٧٥٥ م وعامر الشعبي  
المتوفى سنة ١٠٥ هـ محدث الكوفة في عصره (١) واتسعت شقة الخلاف واحتدم

(١) من مقال لمعال منير القاضي



النزاع وافترق أهل الفتيا الى فرقتين ، وانت ترى أن هذا النزاع بعد أن كان  
عليه محضاً أصبح مزيجاً بالسياسة أو التعصب القبلي وتعددت فيه عوامل التفرق  
لتنسند السلطة إلى أقوى الفريقين ، واتسع نطاق الخلاف فترى مالك بن انس  
يخط من كرامة العراقيين ويتحامل عليهم ويعلن بقوله : انزلوهم منزلة أهل الكتاب  
لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا واليكم وإلهنا وإلهكم  
واحد - ١ - ودخل عليه محمد بن الحسن الشيباني فسمعه يقول هذه المقالة ثم رفع  
رأسه فكأنه استحي فقال : يا أبا عبدالله أكره أن تكون غيبة كذلك أدركت  
أصحابنا يقولون ، وكان يقرأ إذا نضر إلى العراقيين ( تعرف في وجوه الذين  
كفروا المنكر ) - ٢ - وكان يسمي الكوفة دار الضرب يعني انها تضع الاحاديث  
وتضعها كما تخرج دار الضرب الدراهم والدنانير وقال عطاء لأبي حنيفة : من ابن  
أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم  
وكانوا شيعا - ٣ - ومهما يكن من الامر فقد تعصب كل فريق الى بلده وتنازوا  
وعير أهل المدينة بالسماح والقيان وأهل مكة بالمتعة وأهل الكوفة بالنبيذ  
واشتدت عصبية كل قوم لبلادهم وحملتهم على وضع الاخبار في مدح قومهم وبلده  
وذم مقابله وعظم الانشقاق بين الطائفتين وبالطبع ان الكوفة تضعف عن مقابلة  
الحجاز ولكن السياسة الزمنية اقتضت أن تكون الى جانب اهل الرأي لاجبأهم  
ولكن بغضاً لاهل المدينة ، واصبح لكل جانب أنصار ومتعصبون فكان مالك  
ابن أنس في طليعة أهل الحديث وأنصاره من الحجاز سفيان الثوري واصحابه ،  
وزعيم أهل الرأي هو أبو حنيفة واصحابه وكثير من فقهاء العراق .

١ - جامع بيان العلم وفضله - ٣ - ١٥٧

٢ - ضحى الاسلام - ٢ - ١٥٢

٣ - تاريخ بغداد - ١٣ - ٢٢٠

فالشافعي أخذ عن مالك وأصحابه، وأحمد المتوفى سنة ٥٢٤١ هـ ٨٢٠ م أخذ عن الشافعي المتوفى سنة ٥٢٠٤ هـ ٨٢٠ م وأصحابه .  
وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس ، يقول الشافعي : إذا ما وجدت لي مذهبا ووجدتم خيرا على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر وتبعه اصحابه ، وهم اسماعيل بن يحيى المزني ، والربيع بن سليمان الجيزي ، وحرملة ابن يحيى ، وأبو يعقوب البويطي ، وابن الصباح وابن عبد الحكم المصري ، وأبو ثور ، وغيرهم .

وأما أصحاب الرأي ، فهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، واصحابه ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وأبو يوسف القاضي ، وزفر بن هذيل ، والحسن بن زياد اللؤلؤي ، وأبو مطيع الباخي ، وبشر المريسي ، فهؤلاء عرفوا بأهل الرأي وقالوا ان الشريعة معقولة المعنى ولها أصول يرجع اليها ، ولاقتناعهم بمعقولية الشريعة وابتنائها على اصول محكمة فهت من الكتاب والسنة كانوا لا يجزمون عن الفتوى برأيهم كما كان يفعل الفريق الاول فأنهم يقفون ولا يتعدون حدود النص ، وكانوا يحبون معرفة العلل والغايات التي من أجلها شرعت الاحكام وربما ردوا بعض أحاديث مخالفتها لاصول الشريعة ، ولا سيما إذا عارضها حديث آخر .

وبهذا افتقرت الأمة الى فرقتين أهل حديث وأهل رأي أو أهل المدينة وأهل الكوفة مع العلم بأن أهل العراق لا يقاسون بأهل المدينة في الحديث ، فكان القياس عندهم أكثر وعليه يننون غالب فتاواهم ونشط سير الحركة العلمية في ذلك العصر .

أصبح النشاط العلمي واسع النطاق فكان في كل بلد إمام له مذهب ينسب إليه ، وكثر عددها والمنتسبون إليها إلا أنه لم يكتب البقاء لاكثرها واعتراها الانقراض وكان لمؤسسيها الذين كثر اتباعهم تأريخ مجيد ومكانة سامية ربما فاقوا في نظر معاصريهم وذوي العلم منهم رؤساء المذاهب الذين وقفت قافلة الفقه عندهم واقتصر استنباط الأحكام عليهم ، ولكن عوامل انتشار مذاهبهم عجزت عن مسaire الظروف فلم يكتب لها البقاء ومحيت من صفحة الوجود ولم يبق لأبناء السنة منها إلا الأربعة .

المالكي . والحنفي . والشافعي . والحنبلي . اما المذاهب التي انقرضت فهي كثيرة ونذكر منها :

- |                        |                                  |
|------------------------|----------------------------------|
| مذهب سفيان الثوري      | المتوفى سنة ١٦١ هـ وسنة ٧٧٧ م ٧٨ |
| مذهب سفيان بن عيينة    | » سنة ١٩٨ هـ وسنة ٨١٣ م - ١٤     |
| مذهب الحسن البصري      | » سنة ١١٠ هـ                     |
| مذهب الاوزاعي          | » سنة ١٥٧ هـ وسنة ٧٧٣ م          |
| مذهب محمد بن جرير      | » سنة ٣١٠ هـ وسنة ٩٢٢ م - ٢٣     |
| مذهب عمر بن عبد العزيز | » سنة ١٠١ هـ وسنة ٧٢٠ م          |
| مذهب الأعمش            | » سنة ١٤٧ هـ وسنة ٧٦٤ م          |
| مذهب الشعبي            | » سنة ١٠٥ هـ وسنة ٧٢٣ م          |
| مذهب اسحق              | » سنة ٢٣٨ هـ                     |
| مذهب الليث             | » سنة ٩٢٠ هـ                     |
| مذهب ابي ثور           | » سنة ٢٤٠ هـ وسنة ٨٥٤ م          |

مذهب داوود الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠ هـ وسنة ٨٣٣ م

ومنهم من جعل في تعدادها مذهب عائشة ، مذهب ابن عمر ، مذهب ابن مسعود ، مذهب ابراهيم النخعي . ولزيادة البيان نذكر طرفاً من حياة بعض اولئك الأئمة ورؤساء المذاهب .

سفيان الثوري

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي المتولد سنة ٦٥-٦٦ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ متوارياً عن السلطان وعدّه ابن قتيبة في عداد الشيعة وهو أحد الأئمة المجتهدين . وله مذهب لم يطل العمل به لقلّة اتباعه وعدم مؤازرة السلطة له إذ كان طريداً يخشى سطوتهم وهم يطلبونه حتى مات مختلفاً منهم وهو أحد رواة الامام الصادق (ع) وخريج مدرسته وكان اماماً من أئمة المسلمين قيل روى عنه عشرون ألفاً ، وكان والده سعيد بن مسروق من محدثي الكوفة وثقه ابن معين وابو حاتم والعجلي . وقد نشأ الثوري في مسقط رأسه الكوفة نشأة صالحة وكان بيته معروفاً له مكانة في محيطه فهو من فقهاء العراق الذين تشد اليهم الرحال في طلب العلم ، وأراد المنصور قتله فلم يتمكن ، ودعي الى القضاء فهرب وبقي مذهبه معمولاً به الى القرن الرابع .

سفيان بن عيينة

أبو محمد سفيان بن عيينة بن ابي عمران الهلالي مولاهم الكوفي كان اماماً عالماً ثبتاً أخذ العلم عن الصادق والزهري وابن دينار ، وابي اسحق وغيرهم ، وروى عنه الشافعي وشعبة بن الحجاج وخلق كثير ، قال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكف منه عن الفتيا ، وثقه العجلي والشافعي وغيرهم ، وقال الشافعي لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز توفي سنة ١٩٨ هـ

وله مذهب يعمل به ولم يطل عمره وانقرض في القرن الرابع لقلّة اتباعه وانصاره  
وعدم ملائمة لسلطان عصره ودفن بمكة .

### الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري كان من التابعين وابوه  
مولى زيد بن ثابت الانصاري وامه خيرة مولاة ام سلمة زوج النبي (ص) نشأ  
بوادي القرى، وكان من اجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بانفخ ماشوه  
خلقه، كان مؤزراً لبني مروان يشد أزرهم وله علاقة وثيقة مع الولاة  
والامراء ويلاقي منهم الاكرام، وكان لهم في ثغر البصرة بقوة الدفاع أعظم من  
الجيوش المدربة في ساحات الحرب حتى قالوا لولا لسان الحسن وسيف الحجاج  
لوانت (١) الدولة الروانية في لحدها واخذت من وكرها وكان مدلساً في حديثه  
كما نص عليه الحفاظ ولم يطل العمل بمذهبه .

### الاوزاعي

عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي امام الشاميين

انتشر مذهبه بالشام كما انتشر مذهب مالك في الحجاز وابو حنيفة في  
العراق وعمل أهل الشام بمذهبه مدة من الزمن وانتشر بالاندلس ثم اندرس مذهبه  
وحل محله مذهب الشافعي عندما عين محمد بن عثمان الشافعي قاضياً على دمشق فحكم

(١) كان الحسن البصري يتفق مع سياسة الدولة الاموية ويروى عن علي (ع)  
فاذا حدث عنه قال قال ابو زينب ( يعني علياً ) مجازاة الدولة التي اقتضت سياستها ان لا يظهر  
اسم علي ونقل عنه انه تكلم في علي فقال له ابان بن عياش : ما هذا الذي يقال عنك انه قلته  
في علي ؟ فقال يا ابن أخي ، احقن دمي من هؤلاء الجبابرة ولولا ذلك لسات في أعشب ،  
ولا شك ان هذا من أظهر موارد التقية وكان له مجلس علم حاشد بالعلماء العظيم منزلته من  
الدولة ، وفي مجلسه نشأت فكرة الاسم والحكم التي كانت أساساً لمذهب الاعترال .

بمذهب الشافعي وهو أول من نشره هناك وبقي مذهب الاوزاعي الى سنة ٣٠٢  
وكانت الاوزاعي شخصية مرموقة في عصره وصفات تؤهله للاتباع ولان يعدم  
العناية من السلطة فقد كان في العهد الأموي محترماً مبعجلاً لانه على شاكتهم ومن  
المؤيدين لدولتهم والمناصرين لهم اتخذته السياسة رمزاً دينياً لاغراضها الخاصة وفي  
العهد العباسي قربه مكانته في الشام ومنزلته عند أهله فيكانوا يستميلونه ويقربون  
محله والمنصور يعظمه ويراسله لانه عرف عنه الانحراف عن آل محمد (ص) كما  
يتضح لنا ذلك من تتبع آرائه وأقواله، وأمامنزلته العلمية لا تسكر في عصره وبعد  
عصره روى ابن القطان عن مالك بن انس انه قال اجتمع عندي أبو حنيفة  
والثوري والاوزاعي فقلت ايهم ارجح؟ قال: الاوزاعي وتوفي سنة ١٥٧ في خلوة  
في الحمام وذلك ان زوجته أوقدت له كانون ختم واغلقت الباب عليه فمات .

ابن جرير

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد غالب الطبري المتولد سنة ٢٢٤  
بامد الطبرستان وتوفي ببغداد في ٢٦ شوال سنة ٢١٠ .

هو من المجتهدين لم يقلد أحداً له مذهب يعمل به واعتنق مذهب جماعه  
منهم أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار قال محمد بن اسحاق  
ابن خزيمة: ما علم تحت أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، وقال الخطيب البغدادي  
كان حافظاً لكتاب الله تعالى عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني فقيهاً بالحكم القرآني  
علماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفاً باقوال الصحابة  
والتابعين فمن بعدهم .

الظاهري

أبو سليمان داوود بن علي بن خلف المعروف بالظاهري ولد بالكوفة سنة

٢٠٢ ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة ٢٧٠ وكان له لون خاص في التشريع لعمله في الظاهر .

استمر مذهب داوود الى منتصف القرن الخامس ثم اضمحل والصحيح انه بقي الى القرن السابع الهجري لأن من اتباعه وأئتمته عبدالحق بن عبدالرحمن الاشيلي المتوفى سنة ٦١٠ ومحمد بن الحسين المشهور بالميورقي المتوفى منتصف القرن السادس ومجد الدين عمرو بن حسن بن علي بن محمد بن فرج المتوفى سنة ٦٢٣ وكان من المحدثين . ومن أئمة هذا المذهب محمد بن حزم - ١ - صاحب الفصل في الملل والنحل وصاحب المحلى على قواعد المذهب الظاهري . ومهما يكن من الأمر فان هذا المذهب قطع شوطا من الزمن بخطى ثقيلة ونراه يسرع في خطاه وينتشر بنطاق واسع عندما تولى المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وأعلن بتمسكه بهذا المذهب واعرض عن مذهب مالك الذي غمر المغرب بانتشاره فعظم المذهب الظاهري وكثر اتباعه وانقطع علم الفروع وخاف الفقهاء سطوة السلطان عندما فرض اعتناق هذا المذهب وامر باحراق كتب مذهب مالك كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادير ابن أبي زيد ومختصر . والتهذيب للبردي .

قال في المعجب ولقد شهدت منها وانا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالاحمال فتوضع وتطلق النار عليها . واستمر المذهب وقد عدّه المقدسي في ( احسن التقاسيم ) خامسا للمذاهب .

١ - هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم المتولد سنة ٤٥٤ والمتوفى سنة ٤٥٧ وكان عظيم الحفظ كثير التصانيف وكان جريء اللسان متسرع الى القتل بمجرد ظنه كبير الوقوع بالعلماء وله كتاب الفصل يعرف به تحامله على المسلمين فانه يطلق لسانه حتى قيل ان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان كان شافعي المذهب قال ابن العربي ثم انه انتسب الى داوود ثم خلع السكك واستقل وزعم انه امام الأئمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع وينسب الى دين الله ما ليس فيه انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٢٣ .

أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن

المتولد سنة ٩٢ والمتوفى يوم الخميس أو الجمعة منتصف شعبان سنة ١٧٥  
بمصر ، ودفن بالقرافة الصغرى . وقبره أحد المزارات هناك وله مكانة علمية  
ومذهب يعمل به وكان يقرب بمالك بن أنس يقول الشافعي الليث أفتقه من مالك  
الا أن أصحابه لم يقوموا به، وكان ابن وهب يقرأ على الشافعي : مسائل الليث فمرت  
به مسألة فقال رجل أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو  
فقال ابن وهب للرجل بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو، والله الذي  
لا إله إلا هو ما رأينا أفتقه من الليث، كان أهل مصر ينتقصون عثمان فنشأ فيهم  
الليث فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا ولم يسعده الحظ بانصار ينشرون مذهبه فيكتب  
له الخلود وقد انقرض لمدة قليلة، يقول الاستاذ أحمد أمين: (لوتعصب المصريون لمن  
نبتغ منهم لاحتفظوا بمذهبه وكانوا اتباعه ولكن زامر الحى لا يطرب . وازهد  
في عالم اهله ) وفي الواقع ان عدم اشتهار مذهبه وانتشاره من عدم امتزاجه بسلاطن  
عصره فقد طلبه المنصور للقضاء فابى وقال إني اضعف عن ذلك ولم يكن من أصحابه  
من يتولاه . فالقضاء هو عامل قومي لخلود المذاهب وبقائها كما يأتي بيانه .

ومما يؤثر عنه انه لقي الرشيد فسأله الرشيد : ما صلاح بلادكم ؟ قال :  
يا أمير المؤمنين صلاح بلادنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي  
الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين .

وقال في النجوم الزاهرة : كان الليث كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير  
من بها في عصره بحيث ان القاضي والنائب من تحت امرته ومشورته، كان الشافعي  
يتأسف على فوات نفسه وقد كتب بعض من غاضه ذلك الى المنصور .



أمير المؤمنين تلاف مصرأ فان أميرها ليث بن سعد  
عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم  
كان تابعيا جليلا روى عن انس بن مالك وغيره وكان اعديل ملوك  
الامويين مر بيان ترجمته عند ذكرنا للملوك عصر الامام الصادق (ع) وامراء  
بلده ، ولا نعلم بالضبط الآخذين بمذهبه والعالمين به ولا نعلم مدة بقائه وربما  
كانت له آراء خاصة اخذها الناس عنه فعد في عداد المذاهب .  
أبو محمد سليمان بن مهران الاعمش مولى بني كاهل من ولد اسد المعروف  
بالاعمش الكوفي كان ثقة عالما وكان أبوه من دنبادند وهي ناحية من رستاق  
الري في الجبال وكان يقارن بالزهرى في الحجاز ورأى انس بن مالك لكننه لم  
يرزق السماع منه ويروي عن أنس ارسالاً أخذه عن أصحاب أنس، وروى عنه  
سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وكان لطيف الخلق مزاح دخل أبو حنيفة يوما  
لعيادته فطول القعود عنده فلما عزم على القيام قال أبو حنيفة ما كآني إلا ثقلت  
عليك فقال والله انك لثقل علي وأنت في بيتك، وعاده أيضا جماعة وأطالوا الجلوس  
عنده فضجر منهم فاخذ وسادته وقام وقال شفى الله مريضكم بالعافية ، ولد سنة ٦٠  
الهجرة وقيل انه ولد يوم مقتل الحسين (ع) وعده ابن قتيبة في كتاب المعارف  
من جملة من حملت به أمه سبعة اشهر وتوفي سنة ١٤٨ أي في السنة التي توفي بها  
الامام الصادق (ع) ولم يكن لمذهبه ظهور وانتشار في المجتمع وانقرض بمدة قليلة  
عمر بن شرحبيل الشعبي أبو عمر الكوفي المتوفى سنة ١٠٥ هـ  
سمع من جماعة من الصحابة وقال أدركت خمسمائة منهم وكان قاضيا لعمر  
ابن عبدالعزيز وكان محدث الكوفة وكان يفتي على ماصح عنده من الاثر وينقبض  
عن الفتوى ان لم يجد نصا ولا يقول برأيه ونسبة المذهب اليه لما صدر عنه من





القوى والاخر يشترطه ذلك والميل به قليل لا  
 هؤلاء بعض رؤساء المذاهب بالاسماء وفي كبرية توفى على الحسين وقصر  
 الخطى على هؤلاء هؤلاء انما يقرب من القادة التي طلبت من وراءها كلف الحقيقة  
 وليس لنا عرض في التعرف عليهم ، ولكن العرض ان تعرف الاسباب  
 التي دعت الى مجوع هذه المذاهب من جهة المودة واتحاد المذاهب الأربعة ،  
 مع العلم ان رؤساء المذاهب الثلاثة بآراء متقاربة وتطبع القول بان الكفر  
 كانوا اعداء من رؤساء المذاهب الأربعة فمدان الثوري اقيده بأسيرو المؤمنين في  
 المحدث وسيد الخفايا وغير ذلك كافة عمدة وأبو بصير وان بين وغيرهم وقال  
 ابن الماركا : كفت عن الفاشح كمن يحول أعضائه وقال القائل : الثوري  
 أصاب الى من ملأه الى ...

**الاستدلال بالهجوم**

جينة وغيره من ...  
 عينة من ...  
 التمدد من الزمن واستمر العمل بمذاهبهم ثم تعرضت ولم يبق لأهل السنة إلا  
 المذاهب الأربعة التي هي المالكي والشافعي والحنبلي ،  
 وقد يتبادر في ذهنك من التوابع انتشار هذه المذاهب ...

كانت دعوة العباسيين قائمة على أساس الانتماء الى النبي (ص) وانهم  
سلالة البيت النبوي فهم أحق بالأمر من أمية خصوم الاسلام وأعداء محمد (ص)  
وانهم بالطبع يقيمون على اطلال تلك الدولة المتهمة بمخالفة الدين دولة ذات صبغة  
دينية يحاولون ان يظهروا الاتصال الوثيق بين الدين والدولة ليكوتوا من  
أحكام الشريعة الاسلامية دستوراً ونظاماً تسير الدولة عليه سيراً سوريا فقرّبوا  
العلماء واتصلوا بهم اتصالاً وثيقاً وآثروا نشر العلم وجعلوا القضاء بيد أهل الرأي  
من أهل العراق حتى ولي ابو يوسف القضاء وهو أقوى عوامل انتشار المذهب  
الحنفي لمسكاة ابي يوسف وسلطته التنفيذية يومذاك فكانت للمذهب الحنفي خطوة  
واسعة في قطع مسافة الشهرة بما لم يسعد به غيره . فابو يوسف (١) هو تلميذ  
ابي حنيفة وقد تربى في نعمته ، وتوليته منصب القضاء استطاع نشر المذهب  
وولي منصب رئاسة القضاء العامة في عهد الرشيد سنة ١٧٠ فلم يقلد ببلاد العراق

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعيد بن حجة الأنصاري  
المتوفى سنة ١٨٢ ببغداد والمدفون في مقابر قریش وهو أول من دعى بقاضي القضاة تولى  
القضاء لثلاث من الخلفاء المهدي وابنه الهادي والرشيد . قال محمد بن جرير الطبري تماماً قوم  
من أهل الحديث حديثه لغلبة الرأي عليه وتفريع الفروع والأحكام مع صفة السلطان .  
وقال عمار بن ابي مالك ما كان في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف لولا ابو يوسف ما ذكر  
ابو حنيفة ولا محمد بن ابي ليلى وهو الذي نشر قولهما . وعن ابن المبارك انه وهاب . وعن  
يزيد بن هارون انه قال لا تحل الرواية عنه كان يعطى أموال اليتامى ويجعل الربح لنفسه .  
وابو يوسف هو الذي عناه الشاعر بقوله :

يا قاتل المسلم بالكافر جرت وما العادل بالجائر  
وستأني ترجمته ببيان ووضوح في موكب القضاة .

وخراسان والشام، ومصر إلامن أشار به القاضي أبو يوسف ١- وذلك لما كانته في الدولة ومنزلته عند الرشيد حتى قال له الرشيد : يا أبا يعقوب لو جاز لي ادخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية الي لكنت حقيقاً به ، ألسنت القائل لأخي وقت كذا : وكذا ؟ وفي وقت كذا : وكذا ؟ -٢- .

يشير بذلك الى ما عزم عليه الهادي من خلع الرشيد واستشارة أبي يوسف في ذلك وجوابه له برد عزمه فكان الرشيد يشكر لأبي يوسف هذه اليد حتى قيل لم يتمكن أحد كتمكن أبي يوسف من الرشيد -٣- وقال بشر المريسي ما اشتمت من مراتب السلطان إلا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها عشية من العشايا -٤- وقال أحمد بن يوسف الكاتب : وبلغ أبو يوسف مع الرشيد مبلغاً لم يبلغه عالم بعلمه ولا محبوب بمرتبته -٥-

وقال ابن عبد البر في الانتقاء ص ٦ : كان أبو يوسف قاض القضاة قضى لثلاثة من الخلفاء ولي القضاء في بعض أيام المهدي ثم للهادي ثم للرشيد وكان الرشيد يكرمه ويحبه وكان عنده حظياً مكيناً لذلك كانت له اليد الطولى في نشر ذكر أبي حنيفة واعلاء شأنه لما اوتي من قوة السلطان وسلطان القوة . كما انا اذا نظرنا الى مقومات المذهب في نفسه نجد ذلك يرجع لجهود أربعة من اصحاب أبي حنيفة فانهم الفوافيه وهدبوا مسائله ، وليس لأبي حنيفة إلا المشاركة في الرأي أحياناً وخالفوه في اكثر المسائل ، كما انهم وسعوا دائرة المذهب في الحيل

١- خطط المقرئ ج ٤ ص ١٤٤

٢- المكافاة لابن الداية ٦٣

٣- نفس المصدر ٦٢ .

٤- نفس المصدر ٦٤ وذكر هناك قصة الجارية .

٥- نفس المصدر - ١١٦ - ١٧٣

الشرعية فاول اولئك نفر هو ابو يوسف القاضي فقد خدم المذهب في قوته وسلطانه وفي تصنيف الكتب وتبويب المسائل ، وقد ادخل الحديث في فقهه ابي حنيفة ، والف كتاب الخراج لهارون الرشيد مستنبطاً من الحديث على مذهب مالك .

والثاني محمد بن الحسن الشيباني مولاهم المتولد (١) سنة ١٣٢ نشأ بالكوفة وعاش تحت ظل الدولة العباسية ، أدرك أبا حنيفة ولم ينتفع منه لحداثة سنه فاتم دراسة المذهب على ابي يوسف وكان ذا فطنة وذكاء ، واصبح المرجع لأهل الرأي في نبوغه وتقدمه والف في المذهب كتباً هي في الحقيقة المرجع الأول فيه ، فان الحنفية ليس بأيديهم إلا كتبه وخرج الى المدينة ولقي مالكاً وقرأ الموطأ عليه ثم رجع الى بلده فطبق مذهب أصحابه على الموطأ مسألة مسألة -٢- ونظم الفقه الحنفي وخالف أبا حنيفة في أكثر مسائله ، والثالث زفر بن الهذيل المتولد سنة ١١٠ كان من أهل الحديث وكان أقيس اصحاب ابي حنيفة : الرابع الحسن بن زياد (٣)

(١) محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ قال فيه أحمد بن حنبل انه صرحى ورد شريك شهادته لذلك وقد وقعت بينه وبين ابي يوسف مناكرة فكان يقول محمد بن الحسن جهماً وقال محمد بن سعد الصوفي سمعت يحيى بن معين يرميه بالكذب وقال : صرة انه جهمى كذاب ، وعن منصور بن خالد سمعت محمداً يقول لا ينظر في كلامنا من يريد الله ، انظر اسان الميزان ج ٥ ص ١٢١ والوفيات ج ٣ ص ٣٢٤ -٢- رسالة الانصاف ص ٨ .

(٣) الحسن بن زياد اللؤلؤى كذبه يحيى بن معين وابو داود ومحمد بن عبد الله بن نعيم ، قال ابن المديني لا يكتب حديثه ، وقال ابو حاتم ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيف متروك ، وقال محمد بن حميد الرازي : ما رأيت اسوء صلاة منه ، وقال الخطيب : ان الحسن ولى القضاء ولم يوفق فكان اذا جاس لا يفهم شيئاً وعن اسحاق بن اسماعيل كنا عند وكيع فقلنا له : السنة مجدبة قال : وكيف لا تجذب وحسن اللؤلؤى قاض ومحمد بن ابي حنيفة قاض .

الاولوي مولى الانصار درس على ابي حنيفة ثم على ابي يوسف وعلى محمد بعده  
وصنف السكتب في مذهب ابي حنيفة ولم تكن كتبه بتلك الدرجة من الاعتبار  
عند الحنفية كما كانت لسكتب محمد بن الحسن . فهؤلاء الأربعة هم دعامة رقي  
المذهب وسعة دائرته ولم ينقل لنا التاريخ عن ابي حنيفة كتابا يتضمن مسائله وفقهه  
وانما دون علم المذهب أصحابه . نعم لأبي حنيفة كتابا يسمى الفقه الاكبر هو  
وريفات قليلة لا يتضمن إلا شيئا من العقائد وقد شرح ووسع واضيفت اليه آراء  
المتعصين له مع ان الاكثرية يذهبون الى نسبة هذين السكتابين الى ابي حنيفة  
البخاري وليس هو ابو حنيفة رئيس المذهب . وبهذا يصبح لا أثر له في  
تدوين أي شيء ، على أن ابا حنيفة لا يفارق فتوى ابراهيم وعبد الرزاق إلا في  
مواضع يسيره . والغرض ان المذهب إنما انتشر وكثرت مسائله إنما هو باعمال  
هؤلاء الأربعة .





## عوامل انتشار المذهب المالكي

كان من نتائج النزاع الذي حدث بين أهل العراق وأهل المدينة أو أهل الحديث وأهل الرأي ظهور شخصية أبي حنيفة في العراق ومالك في الحجاز ، وكانت السلطة تؤيد جانب أبي حنيفة وتشد أزره وتقدم الموالي لتحط من قيمة العرب لأنهم في نظرهم أعداء يتكتمون فلا يأمنون جانبهم من وثبة يوماً ما ، وانهم ليقربونها في غالب الأحيان فهم دائماً في حذر وكان مالك ممن انظم لجانب العلويين وأخذ العلم عن الامام الصادق ، وأفتى بوجوب الخروج مع محمد ، فأهين لذلك ونال الأذى وتعصب له قوم وناصروه وأصبحت له مكانة في المجتمع ، ولحظت السلطة أهمية مكانته فرأت من اللازم أن تجعله تحت عنايتها لتوجد منه شخصية علمية توجه إليه المجتمع طوعاً أو كرهاً ، فأصبح محترماً الى أبعد حدود الاحترام ، ويعطينا الامام الشافعي صورة عن عظيم منزلته ، عندما دخل المدينة يحمل الى واليها كتاباً من والي مكة توصية بالشافعي ، ويطلب منه ايصاله الى مالك قال الشافعي : فابلغت الكتاب الى الوالي فلما ان قرأه قال : يا فتى ان مشي من جوف المدينة الى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي الى باب مالك بن أنس فلست أرى الذلة حتى أقف على بابه ، فقلت اصلح الله الأمير ان رأى يوجه اليه ليحضر ، قال هيئات ليت اني اذا ركبت انا ومن معي وأصابنا من تراب العميق نلنا بعض حاجتنا قال : فواعدته العصر وركبنا جميعاً فوالله لكان كما قال ، فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت اليها جارية سوداء فقالت لها الأمير

قولي لمولانا اني بالباب قال : فدخات فاطمات ثم خرجت فقالت ان مولاي يقرؤك السلام ويقول ان كانت لك مسألة فارفعها في رقعة يخرج اليك الجواب ، وان كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف فقال : قولي له ان معي كتاب والي مكة اليه في حاجة مهمة قال فدخات وخرجت وفي يدها كرسي فوضعتة ثم اذا انا بمالك قد خرج وعليه المهابة فرفع اليه الوالي الكتاب - ١ - .

ونحن إذ نقيس منزلة مالك بين العهدين نجد الفرق بينا قتراه في عهد أحد الولاة مغضوبا عليه يسحب ويجرد من ثيابه ويضرب خمسين سوطاً ويهان ، ونراه في العهد الثاني يتيب الوالي أن يكلمه . فمالك في حاله يعطينا درساً الى معرفة أغراض السياسة مع رجال الامة وان لها الواناً من المعاملة مع الأشخاص الذين تريد أن تستخدمهم بالمغريات ، والغرض ان نجم مالك بزغ بذلك الاق فاصبحت له شخصية مرموقة دون غيره من شيوخه الذين هم أعلم وأفقه كربيعة الرأي (٢) وغيره ، فامتاز بتلك المنزلة واكتسبت شخصيته ابراد العظمة ، وحاول العباسيون ان يجعلوا منه مرجعاً

١- معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٧٥

(٢) ربيعة بن عبد الرحمن بن فروخ التميمي ابو عثمان المدني الفقيه المعروف بربيعة الرأي روى عن أنس والسائب بن يزيد وابن المسيب وعنه سليمان التميمي ويحيى بن سعيد القطان وسعيد واليث وخلق كثير . وكان أبوه فروخ خرج في البعوث الى خراسان أيام بني امية وربيعة حمل في بطن امه فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً ودفع الباب برمح نخرج ربيعة وقال يا عدو الله اتهم على منزلي ، فقال فروخ : يا عدو الله أنت دخلت على حرمي فواثبنا حتى اجتمع الجيران وكثر الضجيج فلعل مالك بن أنس فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار فقال الشيخ هي دارى واما فروخ فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت هذا زوجى وهذا ابني الذي خلفه وانا حامل به فاعتقا جميعاً . قال سوار بن عبد الله : مارأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي قيل ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، وقال مالك ذهبت حلوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي وكانت وفاته في سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية ودفن هناك وقيل سنة ١٣٣ .

عاماً للامة في الفتوى واسكنها محاولة لم تنجح ، وقد أمره المنصور بوضع كتاب يحمل الناس عليه بالقهر فكلمه مالك في ذلك وامتنع فقال المنصور : ضعه فما أحد اليوم أعلم منك ( ١ ) فوضع الموطأ . وهذه السكامة لها مكاتبتها في نظر الاعتبار ، فالمنصور حينما يعلن بان مالكا اعلم الناس ويلزمه بوضع الكتاب تصادق عليه الدولة فيكون نظامها المتبع إذ هي تطلب الالتحاق بقافة الدين وما أبعدها عن ذلك ، فمن يستطيع ان يتخلف عن الاعتراف بمنزلة مالك وانه أعلم الامة ؟ والرشد يأمر عامله على المدينة بان لا يقطع امرأ دون مالك ، وكان الرشد يجلس على الارض امامه لاستماع حديثه (٢) . كيف لا يكون لذلك ظهور وسمعة ومناذي السلطان يهتف أيام الحج ان لا يفتي إلا مالك . فاصبحت له مكانة في المجتمع وهيبة في النفوس وتقرّب الناس اليه بشتى الوسائل والتنفوا حوله وتزاحموا على مجلسه الذي عين له وقتاً خاصاً في يوم معين يزدهم الناس فيه لاستماع الحديث وأخذ الفتيا ، وله كاتب بين يديه يقرأ للناس وليس لأحد أن يدنو منه ولا ينظر في كتابه ولا يستفهمه في شيء ، وبذلك لا يستطيع أحد مناقشته وكان على رأسه سودان يأمرون بأمره . قال اسماعيل الفزاري : دخلت على مالك وسألته ان يحدثني فحدثني اثني عشر حديثاً ثم أمسك ، فقلت : زدني اكرمك الله وكان له سودان قيام على رأسه فأشار اليهم فأخرجوني من داره ( ٣ ) ولا ريب ان هذه المعاملة من الامام مالك تبعثنا على التساؤل لم يرضن على الناس بما ينفعهم من احاديث نبوية وارشادات تربوية ؟ وهذا الوضع منه لاشك انه من الطراز المستغرب . ويحدثنا أبو بكر بن عبدالله الصنعاني قال اتينا مالك بن أنس فحدثنا عن ربيعة

(١) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٨ . (٢) مناقب مالك للزاوي

(٣) الاتقاء ج ٢ ص ٤٢

الرأي فكنا نستزيده فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعه فقلنا : كيف يحظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟ فقال : اما علمتم ان مثقالا من دولة خير من حمل علم ( ١ ) ومهما يكن من أمر فقد اسعده الحظ فكان له شان ومذهبه قبول وليكتابه منزلة حتى قالوا ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك وفي لفظ آخر ما على الارض كتاب هو أقرب الى القرآن من كتاب مالك وكان انتشار مذهبه على ايدي القضاة والملوك وانتشر بالاندلس بسبب حمل ملك الاندلس الناس عليه بالقرن لما بلغه كلام من مالك في مدحه عند ما سئل عن سيرة الملك في الاندلس فذكر له عنها ما اعجبه فقال نسأل الله تعالى ان يزين حرمنا بملككم فلما بلغ قوله الى الملك حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الازاعي . وهذا اقوى عوامل الانتشار ودواعي الظهور والسمعة واقبال الناس عليه اتباعا للسلطان وخضوعا للسلطة بدون تمييز لما هو الأرجح والأولى . ونشر مذهب مالك في افريقيا القاضي سخنون يقول المقريني ولما ولي المعز باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه فرجع أهل افريقيا وأهل الاندلس كلهم الى مذهبه رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا إذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المسند لا يكون إلا لمن تسمى بمذهب مالك فاضطرت العامة الى احكامهم وفتاواهم ففشى هذا المذهب هناك . وبذلك نستدل على ان سيره وانتشاره لم يكن على حسب نظامه الطبيعي وإنما سار على حسب نظام القوة التي خضع الناس لها بدون تبصر كما ان انتشاره بالمغرب الأقصى هو كذلك رغبة لما عند السلطان وخضوعا لما افترضوه على الناس ولم يكن ثبوته مستقلا بروحانيته عن تأثر السلطة

(١) طبقات الفقهاء لابن اسحاق ص ٤٣

التفيلية فان دولة بني تاشفين قامت في الاندلس في القرن الخامس وتولى ثانيهم علي بن يوسف بن تاشفين فعظم امر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده إلا من علم مذهب مالك فنفتت في زمنه كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبت ماسواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث الرسول فلم يكن أحد يعتني بهما كل الاعتناء .

وما ذلك إلا من اختراع السياسة لأمر كان الاصلح للامة أن تتخلى عن التدخل بمثلها اذ من الصعب على الرعية أن تعرف صلاح دينها مادام مفروضاً عليها من قبل سلطان يجبل ذلك ولكنها دواع ومؤثرات انتشر بها مذهب مالك بصورة هائلة كزميله المذهب الحنفي فله اسوة به وإذا ما قصرت خطاه في بعض الاماكن فبمجرد تولي القضاء لما لكي يزداد نشاطه ويشدد اقبال الناس عليه وتمسكهم به لذلك انه لما خمل في المدينة مدة من الزمن فبمجرد ان تولى قضاءها ابن فرحون أظهره بعد نحو له ، فيظهر لنا ان الزمن سار في انتشار هذه المذاهب لا على سبيل الاعتقاد والواقع بل أن في الأمة ضعفاء قلدوا الأقوياء بأهم أمر كان الأجدر استقلالهم بمعرفته وأخذهم من أهله وأنى لهم ذلك وكل سلطة تحاول ان تجعل امورها ذات صبغة دينية وأمر التشريع بيد قضاة صارعتهم الدنيا فصرعتهم إلا من عصم الله وقليل ما هم .

قال ابن حزم : مذهبان انتشرا في مبدء أمرها بالرياسة والسلطان مذهب ابي حنيفة فانه لما ولي ابو يوسف القضاء كان لا يولي قاضياً إلا من أصحابه والمنتسبين اليه والى مذهبه .

والثاني مذهب مالك عندنا في الاندلس فان يحيى بن يحيى (١) كان مكيناً  
عند السلطان مقبولاً في القضاء ، فكان لا يولي قاضياً في أقطار الاندلس إلا بمشورته  
واختياره ولا يسير إلا بصحابه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به  
بلوغ أغراضهم - ٢ - .

وقال شاه ولي الدهلوي : وأي مذهب كان أصحابه مشهورين واسند  
اليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس ودرسوا درساً ظاهراً انتشر  
في أقطار الأرض ، وأي مذهب كان أصحابه خاملين ولم يولوا القضاء والافتاء ،  
ولم يرغب فيهم الناس اندرس مذهبهم بعد حين .

وهذا التعليل قد أجمعت عليه آراء المؤرخين والعلماء وقد مر في مطاوي  
هذا البحث .

(١) هو ابو محمد يحيى بن يحيى الاندلسي ويعرف بابن عيسى سمع مالك بن انس  
وجمع مسأله وكتب سماع بن القاسم عن مالك ثم انصرف الى المدينة ليسمعه من مالك فوجده  
علماً فاقام بالمدينة الى أن توفي مالك وقدم الى الاندلس وخالف مالكا في كثير من المسائل  
قال أحمد بن خالد لم يعط أحد من أهل العلم بالاندلس مند دخلها الاسلام من الخظوة وعظم  
القدر وجمالة الذكر ما اعضيه يحيى بن يحيى توفي سنة ٢٣٣ .

## المذهب الشافعي

كان ظهوره أولاً بمصر وكثر أصحابه بها وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان ودخل شيء منه الى افريقيا والاندلس بعد سنة ٣٠٠ هـ ، وقويت شوكته وعظمت شهرته في عهد الدولة الأيوبية فانهم شافعية وبنوا جهودهم في نصرته ببناء المدارس لفقهاء الشافعية واختصاص القضاء بهم ، وكان الغالب على أهل مصر الشيعة في عهد الفاطميين الذين كانوا يملكون مصر قبله ، وكان المذهب يدرس في الجامع الأزهر وغيره فابطل صلاح الدين درسه فيها واحيا مذهب الشافعي وابي حنيفة ومالك وبنى لهم كثيراً من المدارس ورجب الناس فيها بالأوقاف التي حبسها عليها فرغبوا فيها وأخذوا في تقليدها وهجروا ماعداها من المذاهب . وكان انتشار مذهب الشافعي بعد صلاح الدين أكثر من غيره لاعتناق الملوك الذين تولوا من بعده مذهب الشافعي ، ونجح الشافعي في بدء أمره عند ما قدم مصر وزاحم مذهب مالك حتى تعصب عليه المالكية لأنه كاد ان ينسي الناس مذهب مالك الى ان آل الأمر فقتلوه بسبب التعصب كما يأتي بيانه . وكان سبب نجاحه مؤازرة بني عبد الحكم له فان لهم مكاناً رفيعاً بمصر ومنزلة سامية وجاهاً عظيماً ، وقد وازره ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن اعين بن الليث وكان عالماً عاقلاً متحققاً بمذهب مالك واليه أفضت الرياسة بعد أشهب فلما نزل الشافعي عليه اكرم مثواه وبلغ الغاية في برّه ومات الشافعي في يدته فاعتنق

مذهب الشافعي وكتب كتبه لنفسه مع انه لن يعدم رعاية السلطان هناك فانه دخل  
مصر وهو يحمل من الرشيد كتابا لواليه على مصر يوصيه به ويلزمه بعنايته ووقعت  
بينه وبين المالكية مناوشات كان النجاح له في نهاية الأمر . وكان قدوم  
الشافعي الى مصر في سنة ١٩٨ هـ ويقال انه جاء مع أميرها عبد الله بن العباس  
ابن موسى العباسي فصحبه جماعة من أعيان أهل مصر كبنى عبد الحكم والربيع  
ابن سليمان وابي ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني والبويطي وكتبوا عنه  
ونشروا مذهبه .



## المذهب الحنبلي

ظهر مذهب أحمد ببغداد وهو آخر المذاهب لتأخره زمنياً في الحدوث وكانت خطوة انتشاره خارج بغداد قصيرة جداً ولم ينل شهرة غيره من المذاهب ، وظهر في مصر في القرن السابع بين أفراد معدودين ولكنه انتشر بعد فترة قصيرة عندما تولى القضاء عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الملك الحجازي زاد انتشاره هناك وذلك في سنة ٧٣٨ هـ . قال ابن خلدون : فاما احمد بن حنبل فمقلده قليل لبعده مذهبه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية للحديث .

وعداد أحمد بن حنبل عند القدماء انه من أهل الحديث لا الفقهاء ولذا لم يعد مذهبه في الخلاف بين الفقهاء وكان ابن جرير يقول : انه رجل حديث لا رجل فقه ، وعده المقدسي كذلك من أهل الحديث لا من الفقهاء ، ولم يذكره ابن قتيبة في معارفه في عداد الفقهاء ، واقتصر ابن عبد البر على ذكر مالك والشافعي وأبي حنيفة . والحق أن المذهب الحنبلي أقل المذاهب انتشاراً وقد عدّ متبعوه هذه القلة فخراً . نعم ظهرت عظمته ببغداد إذ كان متبعوه يحتفظون فيما بينهم باتحاد وثيق حيث تكون المصلحة هناك ، وقد أصبحوا في زمن ماولهم قوة استطاعوا بها ان يقلقوا بال الحكومة ، وتظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنهم تستروا بذلك فكانت صولتهم عظيمة ووقعوا في سائر المذاهب

التي تخالفهم ما تشتهيه أنفسهم من التمسك والاذى ، وقضت الحكومة على تلك الحركات الغير منظمة وضيقوا دائرة اتساع دعوتهم ولم ينل المذهب الحنبلي قوة أنصار ورجال دعوة إلا في البلاد النجدية فقد ساعده الزمن وكتب له البقاء على يد محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي وان كان مذهب أحمد وشهرته اندكت الى جانب شهرة الوهابي ومذهبه ولا ينكر ما لابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية من الفضل في انتشار المذهب ونشاطه وهما في الحقيقة ابطال دعوته وعندهم أخذ ابن الوهاب تعاليم مذهبه الجديد .

وبهذه المغريات وعوامل الترغيب التي اتخذها اولئك الامراء وذوي النفوذ والسلطة أخذت هذه المذاهب بين العامة في الصيت والشهرة ما جعلهم متزاحمين على اعتناقها بدون تمييز وحرية في الرأي وضلت حقيقتها غامضة إذ لا يمكن استكشافها . فالخضوع للسلطان أمر لا مفر منه وكان عدم تدخل الحكومة في مثل هذه الامور أعود على الامة وأصلح لدينها وديناها فتدخلها فيه جر الامة الى منافسات وعصبية أعقبتها فتن ذهبت ضحيتها نفوس .

وأدت الى فرقة وتباعد مما كدر صفو الامة ورمأها بالشتات بعد الألفة وبالعداء بعد الأخوة . وعلى هذا المنوال أستطيع أن أسير في التذليل على ما في هذا الالتزام من النقص وقد سارت عليه جماهير من المسلمين بدون دليل ولا برهان ، فوقوف التشريع الاسلامي وانحصاره باقوال الأربعة إنما هو تحجير للفكر وجود للتشريع لأغراض تعود على الطبقة الحاكمة الذين يريدون أن يطبعوا أعمالهم بطابع الدين وماهم من الدين في شيء ، على ان الأئمة الأربعة

أنفسهم لا يعرفون هذا ويفتون بضده، فاقوالهم تدل على عدم الالتزام بقول أحد. هذا مالك بن أنس يقول : « إنما أنا بشر أصيب وأخطئ ، فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة » ويقول أبو حنيفة : « هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي خلافه قبلناه » ويقول الشافعي : « إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الخاطئ » ويقول أحمد : « من ضيق علم الرجل ان يقلد دينه الرجال » وقال : لا تقلد دينك الرجال فانهم لم يسلموا من أن يغلطوا .

فلماذا لا تأخذ الأمة باقوالهم هذه ويخالفونهم الى اتباع شيء كانوا ينهون عنه وهل ذلك إلا لاتباع اولئك القوم الذين ساروا باضطهاد الامة في الطرق الغير المشروعة لرغبات في نفوسهم تعود لصالح أنفسهم وهم مخادعون بما أبدوه للامة من مناصرة العلم والعلماء .

وبهذه العوامل استطاعت المذاهب أن تخطو الى ساحة الزقي واكتسبت قيمتها المعنوية وبقيت موضع عناية الخلفاء والولاة المتعاقبين ، وان عناية السلطة تنكسب الشيء لونا من الاعتبار والعظمة حسب نظام السياسة لا النظام الطبيعي . فعوامل الترغيب وأداة القوة جعلتها تأخذ بالتوسع شيئاً فشيئاً ، ولولا ذلك لما استطاعت على البقاء حتى تصبح قادرة على مزاحمة من سواها ، وبذلك انتشرت في القرن الأول على ايدي القضاة كما مر ذكره . ثم كان بعد هذا ما هو أدهى وأمر فانه في سنة ٦٤٥ هـ أحضر مدرسوا المدرسة المستنصرية الى دار الوزير . فطلب منهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها ، بل يذكروا كلام الشيوخ السابقين تأدباً معهم ، وتبركاً بهم ، فاجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي بالسمع والطاعة . وقال سراج الدين عبدالله الشرمساحي المالكي : ليس لاصحابنا تعليقة ، اما النقطة من مسائل الخلاف

فمدار تبه . وقال شهاب الدين الزنجاني الشافعي وأقضى القضاة عبد الرحمن بن المغناني الحنفي : إن المشايخ كانوا رجالا . ونحن رجال ، فأوصل الوزير ما اجابوا به الى المعتصم ، وكان قد تولى الملك بعد أبيه المستنصر فأحضرهم أمامه ، وطلب منهم جميعاً ان يلتزموا ذكر كلام المشايخ ويحترمواهم ، فأجابوه جميعاً بالسمع والطاعة ورجع مدرسا الشافعية والحنفية عن اعتدادها بانفسهما .

وقال المقرئزي : فلما كانت سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام وعودي من تذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب ، وأفتى فقهاء الأئصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها . ولنضع الى حديث الاستاذ عبد المتعال الصعيد أحد علماء الأزهر في كتابه ميدان الاجتهاد يقول :

« فلما رأى بنو العباس أن وسائلهم في القهر لا تجديهم ، أرادوا أن يأتوا الناس من باب التعليم ، فبتولوا أمره بانفسهم ، ليربوا العلماء على الخضوع لهم . ويمسكوكهم بالمال من أول أمرهم ، وكانت الامة هي التي تتولى أمر التعليم بعيداً عن الحكومة ، كما تتولاه الآن الأمم الراقية في اوربا وامريكا فيقوم في المساجد حراً لا يخضع لحكم ملك أو أمير ، ويتربى العلماء بين جدرانها أحراراً لا يراقبون إلا الله في عملهم ولا يتأثرون بهوى حاكم ، ولا تلين قناتهم لطاغية أو ظالم ، فاراد بنو العباس أن يقضوا على هذا التقليد الكريم ، وبتولوا

بانفسهم أمر التعليم بين المسالمين فأخذوا ينشئون له المدارس بدل المساجد ،  
ويحبسون عليها من الأوقاف الكثيرة ما يرغب العلماء فيها ، ويجعل لهم سلطاناً  
عليهم ، وأخذت الممالك التابعة لهم تأخذ بهذا في سنتهم حتى صار التعليم خاضعاً  
للحكومات بعد أن كان أمره بيد الرعية ، وكان لهذا أثره في نفوس العلماء ،  
فنزّلوا على إرادة الملوك ولم تقو نفوسهم على مخالفتهم في رأيهم ، أو توجيه شيء  
من النصح إليهم ، وكانت المدرسة البيهقية أول ما انشئت من تلك المدارس ، وهي  
منسوبة إلى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٠ ثم انشئت بعدها المدرسة السعيدية بنيسابور ،  
انشأها الأمير نصر بن سبكتكين ، ثم انشئت بعدها النظامية ببغداد أنشأها  
الوزير نظام الملك سنة ٤٥٩ وقد احتفل بافتتاحها احتفالاً عظيماً .

إلى أن يقول في حديثه « ثم جاء صلاح الدين الأيوبي لمصر ، فقام بإنشاء  
المدارس فيها للتعليم ، وانشأ المدرسة الناصرية لتعليم مذهب الشافعي سنة ٥٦٦  
ثم انشأ المدرسة الصلاحية بالقرافة الصغرى سنة ٥٧٢ بجوار الامام الشافعي وجعل  
لناظرها أربعين ديناراً في كل شهر ، ورتب له في كل يوم ستين رطلاً من الخبز  
ورأيتين من ماء النيل ثم انشأ مدرسة أخرى بجوار المشهد الحسيني وجعل دار  
العباس العبيدي مدرسة للحنفية .

وكان صلاح الدين يقصد من هذه المدارس كلها أحياء مذهب أهل السنة  
والقضاء على مذهب الشيعة الفاطميين الذين كانوا يملكون مصر قبله ، ورغب  
الناس فيها بالأوقاف التي حبسها عليها ، فرغبوا فيها وأخذوا في تقليدها وهجروا  
مآعدها من المذاهب .

وقد جاء المستنصر العباسي (١) بعد هذا فانشأ في بغداد المدرسة المستنصرية سنة ٦٢٥ ، وانفق في بنائها أموالاً لا تحصى حتى تم بناؤها سنة ٦٣١ ، فاحتفل بافتتاحها احتفالاً عظيماً حضره بنفسه وحضر معه نائب الوزارة وكذلك الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء وشيوخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء ، واختير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ورتب لها مدرسين ونائبي تدريس وكان المدرسان محي الدين محمد بن يحيى بن فضالان الشافعي ورشيد الدين عمر بن محمد الفرغاني الحنفي ، وكانا نائباً للتدريس جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي وأبا الحسن عليا المغربي ، وجعل لها ستة عشر معيداً . أربعة لكل مذهب ، وجعل ربع القبلة الأيمن للشافعية ، وجعل ربع القبلة الأيسر للحنفية ، وجعل الربع الذي على يمين الداخل للحنابلة ، وجعل الربع الذي على يساره للمالكية ، وقد شرط المستنصر في وقفه عليها ان يكون عدد فقهاءها مائتين وثمانية وأربعين من كل طائفة اثنان وستون بالمشاهدة الوافرة والجرارية الدارة ، واللحم الراتب ، الى غير هذا من وسائل الترغيب في هذه المذاهب .

فقابل الناس على دراستها واهملوا غيرها من المذاهب التي لم يقدر لها مثل هذه الاوقاف المغرية .

(١) هو ابو جعفر منصور بن الظاهر ولد سنة ٥٨٨ ويومع له سنة ٦٢٣ وتوى

## فصل في البحث

ظهر لنا مما سبق أن العامل الأساسي لتكوين الالتزام بمذهب معين ، وعدم الترخص في إستنباط الاحكام الشرعية إنما هو السلطة الموضوعية ، وأن بقاء هذه المذاهب إنما تكون بتلك الوسائل المشجعة ، حتى كثر أنصارها . ولو قدرت عوامل الانتشار لغير المذاهب الأربعة لبقى لها جمهور يقلدها أيضاً ، ولكانت مقبولة عند من ينكرها ، ولكنها عدت رعاية السلطة فحيت من الوجود إذ لا قابلية لها في ذاتها على البقاء بقوتها الذاتية .

وقد فاز المذهب الحنفي بتشجيع أكثر من غيره ، فهو في العصر العباسي ترجع الدولة اليه في مهمات التشريع ، ورأسه القضاء بيد أهل الرأي لم يشاركهم إلا القليل من سائر المذاهب وبعد انقراض الدولة العباسية اعتنق المذهب سلاطين الأتراك عندما أرادوا انطباق اسم الخلافة الاسلامية عليهم ومن شروطها : أن يكون الخليفة قرشياً طبقاً للحديث والحنفية لا يشترطون هذا الشرط وأول من تولى الخلافة الاسلامية من غير قریش السلطان سليم الفاتح وصحح الحنفية هذه الخلافة وحجتهم أن الخليفة يتولى الخلافة بخمسة حقوق (١) حق السيف (٢) حق الانتخاب (٣) حق الوصاية (٤) حماية الحرمين (٥) الاحتفاظ بالامانات وهي الخلفات النبوية المحفوظة في الاستانة وهم يقولون إن الآثار النبوية سلمت من اغتيال التتر في بغداد فحملها الخليفة العباسي الى القاهرة حتى نقلها السلطان سليم الى القسطنطينية في صندوق من الفضة وهي البردة النبوية ، وسنن من أسنان النبي وشعرات من شعره ونعاله ، وبقية من العلم النبوي وإناء من حديد وجبة الامام

أبي حنيفة - ١ - :

وبهذا الشكل سارت عوامل انتشار المذاهب مع السياسة جنباً لجنب إذ الرغبة فيها منوطة بالفضاة ورغبة السلطة حتى كثر التحول من مذهب الى مذهب تقرباً للسلطان وطلباً لرفده وتحول كثير من الشافعية الى الحنفية لأجل الدنيا وذلك أن الامير بلبغا ابن عبد الله الخاصكي الناصري الامير الكبير صاحب النفوذ والصولة كان يتعصب لمذهب ابي حنيفة ، ويعطي لمن تحول اليه العطاء الجزيل ورتب الجامعات الزائدة وحاول في آخر عمره أن يجلس الحنفي فوق الشافعي - ٢ - .

وانتقل أبو البركات الحنفي الى مذهب الحنبلي فأذاه الحنفية فانتقل الى مذهب الشافعي فقال المؤيد التكريتي في هجائه :

ألا مبلغ عني الوزير رسالة	وإن كان لا تجدي اليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل	وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً	ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لاشك صار	الى مالك فافهم لما أنا قائل - ٣ -

وهذا أبو بكر البغدادي الحنبلي تحول شافعيماً لأجل الدنيا وولي القضاء ، وكان ابو المظفر يوسف بن قرظلي سبط ابن الجوزي حنبلياً نقله الملك المعظم الى مذهب أبي حنيفة - ٤ - . وخلاصة القول أن تلك الوسائل المشجعة للمذاهب الأربعة

١- التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٠٩

٢- شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٣

٣- امرأة الجنان ج ٤ ص ٢٤

٤- شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٧



دعت الناس الى الرغبة فيها والاعراض عما سواها ودعت اكثر الفقهاء الذين لهم أهلية الاستنباط أن يجمدوا على تقليد السلف وتعطيل موهبة الاجتهاد .

قال الشيخ أبو زرعة : قلت مرة لشيخنا البلقي ما يقصر بالشيخ تقي الدين بن السبكي عن رتبة الاجتهاد وقد استكمل الآلة وكيف يقلد ؟ ولم أذكره هو استحياء منه ولما اريد أن أرتب على ذلك .

فسكت عني ، ثم قلت : ما عندي ان الامتناع من ذلك إلا للوظائف التي قررت للفقهاء على المذاهب الأربعة وإن من خرج عن ذلك لم ينله شيء وحرم ولاية القضاء ، وامتنع الناس من استفثائه ونسب الى البدعة فتبسم ووافقني .

وأستطيع أن أقول إن هذا هو الصواب والكل يوافق الشيخ على هذا الرأي والإفما هو الداعي لعلق باب الاجتهاد ، وفتحه أعود على الأمة واجمع لشمليها ؟ وهانحن نقدم بين يدي القارىء بعض أقوال العلماء في عدم الدليل على وجوب التقليد وانه نظام جائر .

فاننتقل الى البحث عن الاجتهاد والتقليد مقتصرين على نقل أقوال بعض السلف ومن المعاصرين ممن تحضرنا كلماتهم الآن وفي ذلك تتجلى حقيقة غلق باب الاجتهاد ، ولأبي أمر الزم المسلمون بالجمود .

## بين الاجتهاد والتقليد

إنما أنا بشر أصيب وأخطئ ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة .

الامام مالك بن انس

إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط .

الامام الشافعي

هذا رأي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي غير هذا قبلناه . حرام

على من لم يعرف دليلي ان يفتي بكلامي . الامام ابو حنيفة

من ضيق علم الرجال أن يقلدوا الرجال ، لا تقلد دينك الرجال فانهم لن يساموا من أن يعاطوا ، وقيل له لم لا تضع لاصحابك كتابا في الفقه لأحد كلام مع كلام الله ورسوله ؟ الامام أحمد

لا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو إمام ومن يفعل ذلك

فقد ظل ظلالة مينا وخرج عن دين الله . محي الدين ابن العربي

لم يبلغنا أن أحداً من السلف أمر أحداً أن يتقيد بمذهب معين ولو وقع ذلك منهم لوقعوا في الاثم لتفويتهم العمل بكل حديث لم يأخذ به ذلك المجتهد الذي أمر الخلق باتباعه وحده . والشريعة حقيقة إنما هو مجموع ما بأيدي المجتهدين كلهم لا بيد مجتهد واحد ومن أين جاء الوجوب والأئمة كلهم قد تبرأوا من الأمر باتباعهم وقالوا إذا بلغكم حديث فاعملوا به واضربوا بكلامنا الحائط .

الشعراني

سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية عن رجل تفقه على مذهب من المذاهب وتبصر فيه واشتغل بعده بالحديث فوجد احاديث صحيحة ، لا يعلم لها ناسخاً ولا مخصصاً ولا معارضاً ، وذلك المذهب فيه ما يخالف تلك الأحاديث فهل له العمل بالمذهب ، أو يجب عليه الرجوع الى العمل بالحديث ومخالفة مذهبه ؟ فاجاب بما هذا نصه :

الحمد لله رب العالمين قد ثبت في الكتاب والسنة والاجماع أن الله افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يوجب على هذه الامة طاعة أحد بعينه في كل ما أمر به ونهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان صديق الامة وأفضلها بعد نبيها عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنه يقول : اطيعوني ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله عز وجل فلا طاعة لي عليكم : وانفق كلهم على انه ليس أحد معصوماً في كل ما أمر الله به ونهى عنه إلا رسول الله ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام . وهؤلاء الأئمة الأربع رحمهم الله تعالى أجمعين قد نهوا الناس عن تقليدكم في كل ما يقولون وذلك هو الواجب ، قال الامام أبو حنيفة : هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي خير منه قبلناه ، ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بامام دار الهجرة مالك بن انس وسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضراوات ومسألة الاجناس فاخبر مالك بما دلت عليه السنة في ذلك فقال أبو يوسف : رجعت لقولك يا ابا عبد الله ولو رأي صاحبني ما رأيت لرجع كما رجعت ، ومالك رحمه الله كان يقول : إنما انا بشر أصيب واخطيء فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة أو كلام هذا معناه ، والشافعي رحمه الله كان يقول إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط ، وإذا رأيت

الحجة موضوعة على طريق قولي -١-  
تقي الدين بن تيمية  
ما انحصر فضل الله على بعض خلقه وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على  
من تقدم عصره فقد تجرأ على الله عز وجل ثم على شريعته الموضوعه لكل عباده  
الذين تعبدهم بالكتاب والسنة فاذا كان التعبد بهما مختصاً باهل العصور السابقة  
ولم يبق لهؤلاء المتأخرين إلا التقليد لمن تقدمهم ولا يتمكنون من معرفة كتاب الله  
وسنة رسوله فما الدليل على هذه التفرقة الباطلة والمقالة الزائفة وهل النسخ إلا هذا؟  
سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .  
حسن خان

ليس على الانسان التزام مذهب معين وانه يجوز له العمل بما يخالف ماعمله  
على مذهبه مقلداً فيه غير إمامه مستجمعاً شروطه ، ويعمل بأمرين متضادين في  
حادثتين لا تعلق بواحدة منهما بالأخرى وليس له إبطال عين مافعله بتقليد إمام  
آخر لأن إمضاء الفعل كامضاء القاضي لا ينقض -٢- .

ابن عابدين

إعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلده فيه وفي التقليد إبطال منفعة العقل لانه  
إنما خلق للتدبر ، وقبيح بمن اعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة ،  
واعلم أن عموم اصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما  
قال وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي ان يكون إلى القول لا إلى القائل -٣-

جمال الدين بن الجوزي

إعلم انه لم يكلف الله احداً من عباده بأن يكون حنيفاً أو مالكيّاً

١- جلاء العينين للالوسي ص ١٠٧ .

٢- نفس المصدر .

٣- تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٨١ .

أو شافعيًا ، أو حنبليًا ، بل اوجب عليهم الايمان بما بعث به محمدًا (ص) والعمل  
بشريعته - ١ - .  
عبد العظيم المكي

ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف احدهم على ضعف قول  
إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً وهو مع ذلك مقلد فيه ، ويترك من شهد الكتاب  
والسنة والاقيسة الصحيحة لمذهبهم ، جموداً على تقليد امامه ، بل يتحيل لظاهر  
الكتاب والسنة ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده ولم يزل  
يسألون من اتفق من العلماء الى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين  
فان أحدهم يتبع إمامه مع بُعد مذهبه عن الأدلة . مقلداً فيما قال كأنه نبي ارسل ،  
وهذا نأى عن الحق وبعده عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الألباب - ٢ -

عز الدين عبد السلام

ينبغي لمن اشتغل بالفقه أن لا يقتصر على إمام ويعتقد في كل مسألة صحة  
ما كلن أقرب الى دلالة الكتاب والسنة المحكمة وذلك سهل عليه وليتجنب  
التعصب والنظر في طرائق الخلاف فانها مضیعة للزمان واصفوه مكدره ، فقد صح  
عن الشافعي أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره - ٣ - .

الشيخ أبو شامة

إن قفل باب الاجتهاد معناه الضربة القاضية على حرية الفكر بل على  
الاسلام الذي قلنا إنه جاء للناس كافة ليساير مختلف العصور والشعوب . والآن

٢- رسالة القول السيد ص ٣

٣- رسالة الانصاف .

٤- انظر دائرة المعارف لفرید و جدی ج ٣ ص ٢٤٨

بعد سير الف سنة سار خلالها المسلمون جامدين -١-

محمد علي مؤلف كتاب الدين الاسلامي

وإني أستطيع أن أحكم بعد هذا بأن منع الاجتهاد قد حصل بطرق ظالمة وبوسائل القهر والانغراء بالمال ، ولاشك أن هذه الوسائل لو قدرت بغير المذاهب الأربعة التي نقلها الآن لبق لها جمهور يقلدها أيضاً ولكانت الآن مقبولة عند من ينكرها ، فنحن إذاً في حل من التقييد بهذه المذاهب الأربعة التي فرضت علينا بتلك الوسائل الفاسدة ، وفي حل من العود الى الاجتهاد في أحكام ديننا لأن منعه لم يكن إلا بطريق القهر ، والاسلام لا يرضى إلا بما يحصل بطريق الرضى والشورى بين المسلمين كما قال تعالى في الآية ( ٢٨ ) من سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » -٢- .

عبد المتعال الصعيدي أحد علماء الأزهر

رأى بعض المقلدة لمذهب إمام يزعمون أن إمامهم هو الشريعة بحيث يأنفون أن تنسب الى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم حتى اذا جاءهم من بلغ درجة الاجتهاد وتكلم في المسائل ولم يرتبط إلى إمامهم رموه بالنكير وفوقوا اليه سهام النقد وعدوه من الخارجين عن الجادة والمفارقين للجماعة من غير استدلال منهم بدليل بل بمجرد الاعتبار العامي ، ولقد لقي بقي بن مخلد حين دخل الاندلس آتياً من المشرق من هذا الصنف الأمرين حتى أصاروه مهجور الفناء مهتضم الجانب لأنه جاءهم من العلم ، الى أن يقول وكان هؤلاء المقلدة قد صمموا على مذهب

١- مجلة المسلم .

٢- ميدان الاجتهاد ص ١٤

مالك بحيث أنكروا ما عداه وهذا تحكيم الرجال على الرجال والغلو في محبة المذاهب - ١ - . الشاطبي

بأي نص سد باب الاجتهاد أو أي إمام قال : لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أن يجتهدوا ليفقهوا في الدين ، أو ان يهتدى بهدي القرآن وصحيح الحديث ، أو أن يجد ويجتهد بتوسيع مفهومه ، والاستنتاج على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه ولا ينافي جوهر النص إن الله بعث محمداً رسولاً بلسان قومه العربي ليعلمهم ما يريد إقحامهم ، وليفهموا منه ما يقوله لهم .

ولا ارتياب بأنه لو فسح في أجل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وعاشوا إلى اليوم لداموا مجتهدين مجدين يستنبطون لكل قضية حكماً من القرآن والحديث ، وكلما زاد تعمقهم زادوا فيها وتدقيقاً ، نعم أن اولئك الفحول من الأمة ورجال الأمة اجتهدوا وأحصنوا فجزاهم الله خير الجزاء ، ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم احاطوا بكل أسرار القرآن وتمكنوا من تدوينها في كتبهم - ١ - .

جمال الدين الافغاني

منع الاجتهاد هو سر تأخر المسلمين . وهذا هو الباب المرن الذي عندما قفل تأخر المسلمون بقدر ما تقدم العالم ، فاضحى ما وضعه السابقون لا يمكن ان يغير ويبدل لأنه لا اعتبارات سياسية .

منع الولاة والسلاطين الاجتهاد حتى يحفظوا ملكهم ويطمئنوا الى أنه لن يعارضهم معارض واذا ما عارضهم أحد - لأنه لا تخلو أمة من الامم إلا وفيها المصلح النزيه ، والزعيم الذي لا يخشى في الحق لومة لائم فلن يسمع قوله لأن

١- الاعتصام ج ٣ ص ٢٥٩ .

٢- خاطرات جمال الدين ص ١٧٧ .

باب الاجتهاد قد اغلق. لهذا جمد التشريع الاسلامي الآن ، وما التشريع لإلروح الجماعة وحياة الامة وإني ارجع الفتنة الشعواء ، التي حصلت فى عهد الخليفة عثمان والتي كانت سبباً فى وقف الفتح الاسلامي حيث تحولت فى عهده الحرب الخارجية الى حرب داخلية - ارجع ذلك - الى ان عثمان كان من المحافظين ، وقد شرط ذلك على نفسه ، عند ما وافق عبد الرحمن بن عوف على : « لزوم الاقتداء بالشيخين فى كل ما يعنى دون اجتهاد » عند انتخابه خليفة ولم يوافق الامام على ذلك حينئذ قائلاً : إن الزمن قد تغير فكان سبب تولي عثمان الخلافة هو سبب سقوطه - ١ - .

الدكتور عبد الدائم البقري الانصاري

كم بين دفعتي التاريخ من احزاب سياسية استحوالت الى مذاهب دينية ، رب مغفل أرعن يحقد على اخيه لاختلاف مذهبها اختلافا فى الفروع منشؤه الاجتهاد ، ولا يذكر ان كلمة التوحيد التي تجمعهم واخاه على خطر عظيم ، وان حقه هذا يزيد خطراً .

الاجتهاد مجلبة اليسر ، واليسر من اكبر مقاصد الشارع وأبدع حكم التشريع بالاجتهاد يتلاطم موج الرأي فينفذ جوهر الحقيقة على الساحل ، الحوادث لا تتناهى والعصور محدثات . فاذا جمدنا على ما قيل فما حيلتنا فيما يعرض من ذلك القبيل ؟ سد باب الاجتهاد فقل للقائل به إنك قائل غير ما تفعل - ٢ -

العلامة العبيدي

وقد الفت فى هذا الباب رسائل عدة لكبار العلماء ، وكلهم ينددون فى

١- الفلاسفة السياسية للإسلام ص ٢١

٢- النوادة فى حقل الحياة ص ١٣٦



جمود التشريع على المذاهب الأربعة ويطلبون حل تلك العقدة التي عقدها ولاية أمر لا يطلبون بذلك إلا صلاح الدولة ، وقد أوضح العلماء أسباب هذا الجمود كالعزالي ، والعز بن عبد السلام وغيرهما من الأئمة الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم ، فمنها بالنسبة الى بعضهم :

المباراة والمهارة ، وحب الظهور ، وما يتعلق بذلك ، ومنها المنافع ، والمرافق في القضاء ، والافتاء ، والأوقاف بالنسبة الى آخرين ، ومنها الثقة والاطمئنان بالتربية العلمية على المذهب والاختصار عليه في التعليم والافتاء . ومن طبع الانسان أن ما يعتاد عليه زمناً طويلاً يملك عليه امره ، ويؤثر في نفسه تأثيراً يصرفها عن كل ماعداه ، إلا أصحاب العقول الكبيرة والنفوس العالية الذين تكون الحقيقة ضالتهم والصواب وجهتهم - ١ - .

— ٢ —

أما الذين يحاولون الجمود ويلزمون بالتقليد فانهم عجزوا عن الوصول الى رتبة الاجتهاد واقتنعوا بعناية السلطان على ما هم فيه من النقص ، فلا يروق لهم بلوغ أحد رتبة الاجتهاد ، ونسبوا مدعيه الى الجنون كما ذهب اليه الشيخ داوود النقشبندی ويرى ان مدعي الاجتهاد ضال مبتدع - ٢ - .

ويقول الشيخ أحمد بن عبد الرحيم : في تقسيم طبقات المجتهدين : الطبقة الثالثة من نشأ من المسلمين من رأس المائة الرابعة ويجب على العامي تقليد المجتهد المنتسب لا غير ، « أي لاحد المذاهب الاربعة » لامتناع وجود المستقل من هذا التاريخ حتى اليوم ، ثم اورد على نفسه وأجاب واهم شيء يعتمد عليه في ادلته ،

١- انظر الوحدة الاسلامية للسيد محمد رشيد رضا ص ١١٢

٢- انظر كتاب أشد الجهاد للشيخ داوود النقشبندی .

قوله : انه اجتمعت الامة على ان يعتمدوا على السلف في معرفة الشريعة فلا بد لنا من الرجوع اليهم ، ولا يرجع إلا الى المروي عن السلف بسند صحيح مدون في الكتب المشهورة مع بيان الارجح من دلالتها وتخصيص عمومها أو تقييدها والجمع بين مختلفاتها ، ولا توجد هذه الخصوصيات إلا في المذاهب الأربعة ، وليس مذهب بهذه الصفة إلا الامامية ، والزيدية وهم ( أهل البدعة ) - ١ - لا يجوز الاعتماد على اقوالهم فتعين الأخذ باحد المذاهب الاربعة .

هذا أهم ما عنده من الأدلة. وذهب بعضهم الى القول بعصمة الاربعة مستدلا بعصمة النبي وهم ورثته فهم معصومون من الخطأ واذا كانوا كذلك فيجب الرجوع اليهم فحسب .

ولا حاجة بنا الى اطالة نقل اقوال المانعين للملكة الاجتهاد لعلماء الامة بعد المذاهب الاربعة ، لانها حجج لفضية تبتني على عدم لياقة اى احد بعدهم لهذه الرتبة ، وان مدعيها ضال مضل بل ممن يريد في الارض الفساد ، ويجب إقامة الحد عليه ، ومن ادعى من الامة تلك المنزلة أو كانت له لياقة استنباط الاحكام الشرعية شنعوا عليه ، ورموه بالنكير . فهذا العلامة جلال الدين السيوطي ادعى رتبة الاجتهاد المطلق قام عليه علماء عصره فرموه بالنكير ، ووقعوا فيه ، وكذلك انكروا على كل من ادعى ذلك . والواقع ان في القرون المتأخرة رجالا برهنوا بمؤلفاتهم عن تلك الملكة التي ادعى استحالتها عليهم ، حتى فضلوا بعضهم على رؤساء المذاهب . فهذا ابو حامد احمد بن محمد الاسفرايني فضلوه على الشافعي ، وكثير منهم كانوا بمنزلة من العلم لا يستبعد اتصافهم بتلك الملكة .

كالشيخ عبد العزيز بن سلام المتوفى سنة ٥٧٨

والشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني

المتوفى سنة ٦٢٣ .

واسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ .

ومحمد بن اسحاق صدر الدين القوي المتوفى سنة ٦٧٣ .

وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني المتوفى سنة ٤١٨ .

وناھيك ماللفنل ، وامام الحرمین الجويني ، والصيدلاني ، والسبخي  
والسرخسي ، والجصاص ، والسيوطي من منزلة في العلم وموهبة في استنباط  
الأحكام ولكنهم الجوا من قبل العامة الذين رأوا ادعاء الاجتهاد ضلالة ، بل  
يتلبس مدعيها بتهمة التشيع لأنهم يقولون بذلك -١-

وكان ابو الحسن الداركي أحد المجتهدين في عصره اذا سئل عن فتوى  
يجيب بعد تفكير ، فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي وأبي حنيفة فيقال  
له في ذلك على طريق الإنكار ، فيقول : وياكم روى فلان عن فلان عن  
رسول الله (ص) كذا وكذا ، فلاخذ به أولى من الأخذ بمذهب الشافعي  
ومخالفتها أسهل من مخالفة الحديث .

ولقد لقي بقي بن مخلد من الأذى وشدة الإنكار لدعوى الاجتهاد ما جعله  
يهجور الفناء مهتضم الجانب وكثير من أمثاله ، كابن تيمية وابن قيم  
الجوزية وغيرهم .

ولست أدري ما هذه الاستحالة وعدم الامكان من حصول درجة  
الاجتهاد والحكم على الرجال بالقصور ، والنقص وحصر السكالم على عدد معين  
بدون دليل ؟ ونرى من الخير تعريف الاجتهاد والتقليد عندهم اجمالا لتعرف

مدى تحجير الافكار ووقوف العقل عن ادراك ذلك .  
﴿ الاجتهاد ﴾ : وهو لغة بذل الوسع في ما فيه كلفة مأخوذ ، كما نقل  
ابن ابي زرعة عن الماوردي من جهاد النفس وكدها في طلب المراد ، وفي  
الاصطلاح : على ما في جمع الجوامع استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم ،  
والفقيه والمجتهد لفظان مترادفان وهو البالغ العاقل أي ذو ملكة يدرك بها العلوم ،  
وهذه الملكة العقل . قال ابو اسحاق : ومن كان موصوفاً بالبلادة والعجز عن  
عن التصرف فليس من أهل الاجتهاد ، وفي انكاره للقياس خلاف وان يكون  
عارفاً بالدليل العقلي وهو البراءة الاصلية ، وان يكون عارفاً بلغة العرب وبالغربية  
وعلم النحو اعراباً وتصريفاً ، وباصول الفقه ليقوى على معرفة الادلة وكيفية  
الاستنباط ، وبالبلغة ليمكن من الاستنباط بحيث يميز العبارة الصحيحة من  
الفاسدة . وأن يكون عارفاً بالكتاب والسنة ولا يعتبر العلم بجميعها ولا حفظها ،  
قال العلامة السبكي : المجتهد من هذه العلوم من له ملكة واحاطة بمعظم قواعد  
الشرع ، ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ، ويعتبر على  
ما قيل كونه خبيراً بمواقع الاجتماع كيلا يخرقه والناسخ والمنسوخ ، وأسباب  
النزول وشرط المتواتر والآحاد ، والصحيح والضعيف ، وحال المرويات وسير  
الصحابة ، ولا يشترط فيه الكلام ، وتفاريع الفقه ، والذكورة ، والخرية ،  
وكذا العدالة على الأصح .

هذه هي شروط المجتهد عندهم ، وأنت لو نظرت الى الواقع لم تجد سبباً لمنعه من  
أجل قصور عن ادراكه لمن أراده ، وكم من العلماء من عرفنا عنه تمام المعرفة لهذه  
العلوم وزيادة ولكن المانع شيء آخر .

﴿ والتقليد ﴾ هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله ، قال ابن ابي زرعة في

شرح الجوامع : وقد اختلف العلماء في تقليد المفضل من المجتهدين مع التمكن من تقليد الفاضل على مذاهب ، أحدها وهو المشهور جوازه وقد كانوا يسألون الصحابة مع وجود أفاضلهم ، والثاني : منعه ، وبه قال الامام احمد وابن سريج ، واختاره القاضي حسين وغيره ، والثالث يجوز لمن يعتقده فاضلا ، أو مساويا لغيره فان اعتقده دون غيره امتنع استفتاءؤه ، وكذا اختلفوا في تجوز تقليد الميت على أقوال أحدها : جوازه وبه قال الجمهور ، وعبر عنه الشافعي بقوله : المذاهب لا تموت بموت أربابها ، والثاني : منعه ، أي منع تقليد الميت مطلقاً ، وعزاه الامام الغزالي لاجماع الاصوليين ، واختاره الامام فخر الدين ، الثالث : يجوز مع فقد حي ولا يجوز مع وجوده ، انتهى ملخصاً . وقال الشيخ محي الدين في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات المكية : والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي ولا ميت ، انتهى فتدبر . وقال ابن عابدين الشامي : انه يجوز تقليد المفضل مع وجود الأفضل وبه قالت الحنفية والمالكية والشافعية واكثر الحنابلة ، وعن احمد وطائفة كثيرة من الفقهاء : لا يجوز .



كان النزاع الحاصل بين المسلمين إنما هو نزاع علمي ، واختلاف لا يتعدى حدود القول في النقص لما ينهجه الطرف الآخر ، وسرت الامور على هذا المنوال ولكن حركة الانشقاق تتسع وروح الاختلاف تسري في المجتمع بسرعة لقوة الدافع السياسي الذي يحاول ان لا تتفق الامة على رأي واحد فهو يعمل على احياء العصية « إذ لا حياة للنظام الملكي إلا بها » -١- ومضى عصر أئمة المذاهب بعد ان خدموا الامة ونشروا العلم ووسعوا دائرة الفكر وجاء دور اتباعهم فشغل كل بمذهبه الذي يرتضيه وتأصت روح الحصومة وانحاز كل الى جهة بدون التفات الى ما وراء هذا التحيز من خطر على العلم في ضياع حقيقته وسلب منافعه التي أراد الاسلام ان تسير الامة على ضوء تعاليمه القيمة لا اكتساب الحرية ونيل السعادة ، ولم يصل لهذا الحد وقوف على مذهب ، ولا تحديد من قبل السلطة لواخدمعين لا غير ، نعم كل تلك المذاهب كان يعمل بها بدون مؤاخذة . يقول الشاه ولي الدهلوي -٢-

اعلم ان الناس كانوا في المائة الاولى والثانية غير مجتمعين على التقليد في مذهب واحد بعينه ، بل كان الناس على درجتين : العلماء والعامه ، وكانوا في المسائل الاجماعية التي لا خلاف فيها بين المسلمين أو بين جمهور المجتهدين لا يقلدون إلا صاحب الشرع ، وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغسل واحكام الصلاة ، والزكاة ونحو ذلك من آباؤهم ، أو معلمي بلادهم فيمشون على ذلك ، واذا وقعت

-١- فلسفة السياسة الاسلام ص ٢١ نقلا عن ابن خلدون .

-٢- رسالة الانصاف ص ٨ .

لهم واقعة نادرة استفتوا فيها أي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب، واما العلماء فكانوا على مرتبتين : منهم من امعن في تتبع الكتاب والسنة والآثار حتى حصل له بالقوة القريبة من الفعل ملكة تؤهله لفتيا الناس يجيبهم في الوقائع غالباً بحيث يكون جوابه اكثر مما يتوقف فيه ويخص باسم المجتهد . وهذا الاستعداد يحصل تارة باستفراغ الجهد في جميع الروايات فانه ورد كثير من الاحكام في الأحاديث وكثير منها في آثار الصحابة والتابعين .

ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ، ذهبوا يميناً وشمالاً وحدث فيهم امور منها ، الجدل والخلاف في علم الفقه وتفصيله ، على ما ذكره الغزالي (١) اذ لما انقرض عهد الخلفاء الراشدين أفضت الخلافة الى قوم تولوها بغير استحقاق ، ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام فاضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع أحوالهم ، وكان بقي من العلماء من الطراز الأول ، فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فرأى أهل تلك الأعصار غير العلماء - اقبال الأئمة عليهم مع اعراضهم فاشتروا طالب العلم توصلا الى نيل العز فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا معلولين طالين ، وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم ، إلا من وفقه الله ، وقد كان من قبلهم قد صنف ناس في علم الكلام ، واكثروا القال والقال والايراد والجواب وتمييد طرق الجدل وقع ذلك منهم بموقع من قبل ان كان الصدور والملوك من مالت نفسه الى المناظرة في الفقه من

---

(١) هو محمد بن محمد الغزالي نسبة الى غزاة قرية من قرى طوس ، الملقب حجة الاسلام صاحب كتاب احياء العلوم الذي نال شهرة عظيمة إلا انه أورد فيه خمسمائة حديث مرسل ليس لها طريق ولم يروها أحد ولم يخرجها الحفاظ وله مؤلفات كثيرة ومترانه العلمية أشهر من أن تذكر ولد في سنة ٤٥٠ وتوفي سنة ٥٠٥ ودفن بالطايران في طوس وكان في عداد الشافعية إلا أنه مجتهد .



مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمييد اصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف وهم مستمرين عليه الى الآن . واسنا ندرى ما الذي قدره الله تعالى فيما بمسده من الأعصار؟ اه .

ويعطينا الخطابي (١) في كتابه معالم السنن صورةً عن الخلاف الذي حصل بعد المائة الثالثة بين فقهاء المسلمين ومتبعي المذاهب يقول :

رأيت أهل زماننا انقسموا الى فرقتين . أصحاب حديث وأثر وأهل فقه ونظر ، ووجدت هاتين الفرقتين اخوانا متهاجرين .

أما أهل الحديث والأثر فان الأكثر منهم انما كدهم الروايات وجمع الطرق ، وطالب الغريب والشاذ من الحديث الذي أكثره موضوع أو مقلوب ، لا يراعون المتون ولا يتفهمون المعاني ، وربما عابوا الفقهاء وتناولوهم بالطنن وادعوا عليهم مخالفة السنن .

وأما الطبقة الأخرى وهم أهل الفقه والنظر ، فان أكثرهم لا يعرجون من الحديث إلا على أقله ، ولا يسكادون يميزون صحيحه من سقيمه ، اذا وافق مذاهبهم التي ينتحلونها ورافق آراءهم التي يعتقدونها ، وقد اصطالحوا على مواضع بينهم

(١) هو الشيخ حمد ( بفتح الحاء وسكون الميم ) بن محمد بن الخطاب الخطابي البستي قال السمعاني : كان الخطابي حجة صدوقا رحل الى العراق والحجاز وجال في خراسان وخرج الى ما وراء النهر . وقال السبكي في طبقات الشافعية : كان اماماً في الفقه والحديث واللغة ، وقال الذهبي : كان ثقة من اوعية العلم وقال البهنسي : انه من الأعلام المجتهدين في قواعد الأحكام توفي سنة ٣٨٨ .

في قبول الخبر الضعيف والحديث المنقطع اذا كان ذلك ، قد اشتهر عندهم وتعاورته  
الالسن فيما بينهم من غير تثبت فيه ، أو يقين علم به ، ولو حكى لهم عن واحد  
من رؤساء مذاهبهم وزعماء نحلهم قول يقوله باجتهاده من قبل نفسه طلبوا فيه  
الثقة واستبرؤا له العدة ، فتجد أصحاب مالك لا يعتمدون في مذهبه إلا على ما كان  
من رواية ابن القاسم والشهب . فاذا جاءت رواية عبد الله بن الحكم واضرابه  
لم يكن عندهم طائلا وترى أصحاب أبي حنيفة لا يقبلون من الرواية عنه إلا ما حكاها  
ابو يوسف ومحمد بن الحسن ، فان جاءهم عن الحسن بن زياد اللؤلؤي وذوي  
روايته قول بخلافه لم يقبلوه ولم يعتمدوه .  
وكذلك تجد أصحاب الشافعي ، إنما يعولون في مذهبه على رواية المزني ،  
والربيع بن سليمان المرادي فاذا جاءت رواية خزيمة والجري وأمثالهما لم يلتفتوا  
اليها ، ولم يعتمدوا بها في أقواله . وعلى هذا عادة كل فرقة من العلماء في أحكام  
مذاهب أمتهم وأساتذتهم . فاذا كان هذا دأبهم وكانوا لا يقتنعون في أمر هذه  
الفروع والرواية عن هؤلاء الشيوخ إلا بالوثيقة والتثبت فكيف يجوز لهم أن  
يتساهلوا في الأمر الأهم ، والخطب الأعظم ، وأن يتواكفوا الرواية والنقل عن  
إمام الأئمة ورسول رب العزة (ص) الواجب حكمه ، اللازمة طاعته الذي يجب  
علينا التسليم لحكمه والانقياد لأمره من حيث لا نجد في أنفسنا حرجا مما قضاه  
ولا في صدورنا غلا من شيء أبرمه وأمضاه ، ولكن أقواما عساهم استوعروا  
طريق الحق واستطابوا الدعة في ذلك الخط وأحبوا مجالة النيل فاختصروا طريق  
العلم واقتصروا على تنف وحروف متزعة من معاني اصول الفقه سموها عللا  
وجعلوها شعارا لأنفسهم في الترسيم برسم العلم وأخذوها جنة عند لقاء خصومهم  
ونصبوها ذريعة للخوض والجدال يتناظرون بها ويتلاطمون عليها وعند التصادر

عنها قد حكم الغالب بالحدق والتبريز ، فهو الفقيه المذكور في عصره والرئيس المعظم في بلده ومصره . انتهى باختصار -١-

— ٢ —

هذه بعض كلمات علماء ذلك العصر أوردناها ليتضح للقارىء سير العلم - في تلك الأدوار - والخلاف الذي أدى به الى الارتباك التي أحاطت بمفهومه ، وبلغ الحال الى تطور . ولم أدى بالظن في المعتقدات ونتج من وراء ذلك ثورات دموية ذهبت بكثير من النفوس والاموال بشكل يبعث على الأسف الشديد لما حل بالامة . من التناحر بين المذاهب فاصبحوا أعداء متخاصمين ، وترقى الامر الى الطعن في المعتقدات وعامل بعضهم معاملة الخارجين عن الدين فالخبيلي يقول : « لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية » ويقول أبو حامد الطوسي المتوفى سنة ٥٦٧ : « لو كان لي أمر لوضعت على الخنابلة الجزية » -٢-

وان اسباب تلك الفتن التي حلت بالمسلمين كلها تعود لمسيرة بعض العلماء للدولة ، يشايها ويؤيد وجهة نظرها ، فاخذت عليه العطاء وبذلك أصبح العلم مسياراً للدولة .

ولو استقل العلم عن مؤثرات السياسة في تلك العصور لأرغمت الدولة على الخضوع له واسارت في موكبه وفي ذلك سعادة الامة ، ولكن حملة العلم بمسائرهم لولاة الأمر مع ما هم فيه من الانحراف عن الدين فاصبحوا دعامة تستند اليها سلطتهم الجائرة في أهم الامور مما جعل الناس ينظرون الى الاسلام مسلوب

١- رسالة الانصاف للدهلوي ص ١٧ .

٢- مرآة الجنان ج ٣ ص ٢٠٧ .

القوة العادلة عن تنظيم شؤون العالم : والدين أجل واسمى عن ان يكون مهياً  
الاهواء أو مشاراً لاختلاف الآراء أو مجالاً لتحزب العلماء . وعلى أي حال فقد  
اصطدمت الطوائف اصطداماً عنيفاً وخلقت كثيراً من المشاكل التي هي في نهاية  
التعقيد ولا يمكن حلها مادام علماء الدولة هم المحور لتلك الامور ومنهم تنبعث  
تلك الأفكار التي تتحرك بها شعور العامة فيقع من وراء ذلك حوادث مؤلمة .

ونضع صوراً بين يدي القارئ الكريم من صور التطاحن والتشاجر بين  
المذاهب، مما يدل على كذب دعوى صاحب كتاب التبصير . ليت شعري أخفيت  
عليه تلك الحوادث التي وقعت بين الحنفية والحنابلة وبين الحنابلة والشافعية  
يوم قام خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر، والحنابلة يحرقون مسجداً  
للشافعية بمرور ، وتقع هناك فتنة هائلة ذهب تحت هياجها خلق كثير ، ويعظم  
الأمر والخلاف بين الحنفية والشافعية في نيسابور ، وتقع فتنة مبعثها التعصب  
المذهبي فتحرق الاسواق والمدارس ويكثر القتل في الشافعية فينتصرون بعد  
ذلك على الحنفية ، ويسرفون في أخذ الثار منهم وذلك في سنة ٥٥٤ هـ ومثلها  
تقع بين الشافعية والحنابلة وتضطر السلطة الى التدخل في حسم النزاع بالقوة وذلك  
في سنة ٧١٦ هـ ١- وكثر القتل وحرق المساكن والاسواق في اصهبان منشؤه  
التعصب ٢-

اما في بغداد فان الحنابلة كانوا يخلون بالأمن ويرهجون بغداد ويستظهرون  
بالعميان على الشافعية الذين كانوا يأوون للمساجد ، فاذا مر بهم شافعي المذهب

١- البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧٦ .

٢- مرآة الجنان ج ٣ ص ٢٤٢ .

أغروا به العميان فيضربونه بعصيميم ١- وكان رئيس الخنابلة وزعيمهم الديني الشيخ البرهاري يتولى اثاره الفتنة وذلك في سنة ٣٢٣ . ولما تولى القشيري الوعظ بالمدرسة النظامية عظم ذلك على الخنابلة فخطوا منه ، وكان ينال منهم فوقعت بينهم فتنة ذهبت بكثير من النفوس ٢- واشتد تعصب محب الدين بن محمد الهندي الحنفي المتوفى سنة ٧٨٩ على الشافعية وكان يظهر التدين والنسك ويرى تعصبه عليهم تديناً والدين بريء منه ٣- وتجتمع بقية المذاهب على الخنابلة غضباً على أعمال ابن تيمية ونودي في دمشق وغيرها : من كان على دين ابن تيمية حلّ ماله ودمه ٤- بمعنى انهم كفروا يعاملون معاملة الكافرين ، على ان الشيخ ابي حاتم الحنبلي يقول : « من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم » ٥- فهو يكفّر جميع المسلمين ، وعكسه الشيخ ابو بكر المقرئ الواعظ في جوامع بغداد ذهب الى تكفير الخنابلة اجمع ٦- .

وتكفير الفرق بعضها بعضاً أمر شائع يحز في صدر الحق ويؤلم التاريخ وقعه ويتهرب الاسلام منه .

هذا أبو سهل بن زياد القطان كان من الحفاظ والثقات عندهم يذهب الى تكفير المعتزلة مستدلاً بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الأرض » الآية .

١- ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٩ .

٢- مرآة الجنان ج ٣ ص ٩٧ .

٤- شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٠

٤- مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٤٠

٥- تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٧٥ .

٦- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٣

وهذا الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي المتوفى سنة ٤٧٩ وكان شيخ الشافعية وعالمهم المبرز تعصب الخنابلة عليه فتكلموا فيه وبالغوا في الأذى بالسنتهم فثارت فتنة عظيمة أدت الى ذهاب نفوس من الطرفين، وانتصر السلطان لأبي اسحاق فسجن شيخ الشافعية ١- . وهذا الفقيه ابو منصور المتوفى سنة ٥٦٧ قتل الخنابلة بالسم تعصباً عليه ، قال ابن الجوزي : إن الخنابلة دسوا اليه امرأة جاءت اليه بصحن حلوى وقالت : هذا ياسيدي من غزلي ، فاكل هو وامراته وولده صغير فاصبحوا موتى وكان من علماء الشافعية المبرزين ٢- ، وكذلك ابو الحسن بن فورك قتل مسموماً بواسطة التعصب وابو علي خادم المستنصر كان من أئمة الشافعية في مصر وكان يجلس في حلقة ابن عبد الحكم وينظرهم فسعوا به الى السلطان وقالوا : هذا جاسوس فحبسه سبع سنين اجتمع مشايخ المذاهب في هراة عند الملك الب ارسلان يستغيثون به من الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري الحنبلي بعد أن جعلوا صنما تحت سجاداته ويقولون للملك انه مجسم وانه يترك في محرابه صنما يزعم أن الله على صورته فتفحص الملك ووجد الأمر كذلك ٣- ويحدثنا ابن خلكان ٤- عن الشيخ الآمدي المتوفى سنة ٦٣١ كان أول اشتغاله حنبلي المذهب وأحدر الى بغداد وبقي مدة ثم انتقل الى مذهب الشافعي وعاد الى الديار المصرية وتولى الاعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعي فحسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوا اليه

١- طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٠٩

٢- طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٨٤

٣- تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٥٨

٤- وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١

فساد العقيدة وألحلال الطوية ومذهب الفلاسفة والحكماء وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ووضعوا خطوطهم بما يستباح به دمه ( وفي مصر يأمر القاضي المالكي وهو الحارث بن مسكين باخراج الحنفية والشافعية من المسجد وامر بنزع حصرهم . وكثير من هذا مما يطول ذكره ويعسر استقصاؤه مما انطوت عليه اضلاع التاريخ . ولعل أعظم صورة تتجلى بها روح العصية والخلاف بين الطوائف هي قضية الفغال عند السلطان محمود بن ناصر وذلك انه كان حنفياً وتحول شافعيًا فاحضر علماء الفريقين وطلب من الفغال المروزي أن يصلي ركعتين طبق المذهب الحنفي فصلى الفغال على مذهب الشافعي وكان شافعي المذهب بوضوء وشرائط معتبرة ، ثم صلى على مذهب ابي حنيفة ومايجوزه في الصلاة فصلى ركعتين بتلك الصورة التي ذكروها ونحن نعرض عن ذكرها - ١ -

وهذا الشيخ علي بن الحسن الملقب بسيف الدين المتوفى سنة ٦٣١ كان حنبلياً ثم صار شافعيًا وتعصب عليه فقهاء البلاد وحكموا عليه بالكفر والزندقة - ٢ - وكثير من أمثاله من العلماء الذين قتلوا بسيف التعصب بشهادة رجال ذلك العصر ، ولا يستبعد ان ذلك كله افتراء محض وأن أكثر هؤلاء هم بريئون مما نسب اليهم ، وقد استساغ أعداؤهم شهادة الزور على من يخالفهم تدينًا استفتى بعضهم في شهادة على شافعي زوراً فاجابه المفتي ألسنت تعتقد أن دمه وماله حلال؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك ، فاشهد وادفع فساده عن المسلمين . وهذه الامور التي ابتلي بها الاسلام إنما هي من جنائيات علماء السوء الذين تزلفوا للدولة وتأثروا بسياستها لفتح باب الشحناء والنزاع والتخاصم والبغضاء بين طوائف المسلمين .

١- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٦ والصبقات ج ٤ ص ١٤

٢- مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٤

فتجد الحنابلة يتعصبون على الحنفية والحنفية على الحنابلة . ولو امعنت النظر في طيات التاريخ واستعرضت حوادث الفتن بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض فانك تجد من الوقائع ما يؤلم قلب كل مسلم . يقول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار : ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين ، تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعا لم ياتم من بعده . أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا إيمان -١-

تعددت عوامل التفرقة ، وكثرت طرق الخلاف بين الطوائف وتعصب كل الى جهة ، فاهل الجرح والتعديل أدى بهم التعصب الى الخط مما يخالف مذهبهم وتكلم البعض في البعض ، فكم من مجروح عدلوه ، وعادل جرحوه ، وأعطف عليهم المؤرخين فانهم ربما وضعوا من اناساً ورفعوا اناساً ، إما لتعصب ، أو لجهل ، أو لجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو غير ذلك . يقول السبكي : « والجهل في المؤرخين أكثر منه في الجرح والتعديل ، وكذلك التعصب قل أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك ، وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له فانه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب ، فانه أكثر الوقعة في أهل الدين الذين هم صفوة الخلق ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعية والحنفية ومال فافرط ومدح فزاد في الجسمة . ويقول الحافظ صلاح الدين : إن الحافظ شمس الدين الذهبي



لا شك في دينه وورعه ولسكنه غلب عليه مذهب الاثبات ومنافرة التأويل ،  
والعقلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً -١-

وعلى أي حال فقد مالت الأهواء وأثرت النزعات فنفروا من الحقائق  
ولم يتقبلوها فكاتبوا بما توحيه اليهم أهواؤهم وأغراضهم لا بما تقتضيه الحقيقة من  
حيث هي .

وتأصلت روح العداة ، وتجز كل الى مذهبه وغلوا في أمتهم غلواً  
أخرجهم عن حدود الاتزان ووضعوا في مدحهم ما شاءت رغباتهم بدون قيد  
وشرط ، وتوسعوا في وضع الأحاديث عن النبي بالبشائر بأئمة المذاهب كما أورد  
الحنفية مرسلًا : أن آدم افتخر بي وأنا افتخر برجل من امتي اسمه النعمان ،  
وبصورة أخرى : الأنبياء يفتخرون بي وأنا افتخر بابي حنيفة ، من أحبه فقد  
أحبنى ومن أبغضه فقد أبغضني -٢- .

وتوسعوا في الادعاءات لتصحيح مذهبه ووجوب اتباعه ان عيسى يحكم  
بمذهبه وان الله غفر له ولأهل مذهبه الى يوم القيامة -٣- وانه أعظم معجزة  
للنبي بعد القرآن .

ومن ذلك قولهم إن الله خص أبا حنيفة بالشرعية والكرامة ومن كرامته  
ان الخضر عليه السلام كان يجيء اليه كل يوم وقت الصبح ويتعلم منه أحكام  
الشرعية الى خمس سنين فلما توفي ابو حنيفة دعا الخضر ربه فقال يارب ان كان لي  
عندك منزلة فاذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على عادته حتى اعلم الناس

١- طبقات الشافعية ج ١ ص ١٩٠

٢- الدر المختار في شرح تنوير الأبصار ج ١ ص ٥٢ و٥٤

٣- نفس المصدر .

شرح محمد على الكمال ليحصل لي الطريق ، فاجابه ربه الى ذلك . واتم الخضر  
دراسته على أبي حنيفة وهو في قبره في مدة خمس وعشرين سنة الى آخر ما في هذه  
الاسطورة التي تتلى في مجالس الحنفية في الهند ومساجدهم (١) وقد صنعت في  
عصور التعصب . ولو بعث أبو حنيفة لأقام الحد على هؤلاء المتجربين بالكذب  
والافتراء على مقام الانبياء ولخر صعقاً الى الارض وعقر خده فهو يعرف نفسه  
واكنهم أرادوا أن يحسنوا فاساءوا ويقول شاعرهم لتأييد صحة مذهبه وترجيحه  
على غيره .

غدا مذهب النعمان خير المذاهب      كذا القمر الوضاح خير السكواكب  
مذاهب أهل الفقه عنه تقلصت      واين عن الروسي نسج العناكب  
ويقول الشافعي :

مثل الشافعي في العلماء      مثل البدر في نجوم السماء  
قل لمن قاله بنعمان جهلاً      أيقاس الضياء بالظماء

والمالكية يدعون لامامهم اموراً ، منها انه مكتوب على فخذه بقلم القدرة  
مالك - حجة الله في أرضه ، - ٢ - وانه يحضر الاموات من أصحابه في قبورهم  
وينحي الملكين عن الميت ولا يدعها لاسبابه على أعماله - ٣ - ، ومنها انه القى  
كتابه الموطن في الماء فلم يبتل ويقول شاعر :

إذا ذكروا كتب العلوم في هل      بكتب الموطن من تصانيف مالك  
فشد به كف الصيانة تهدي      فمن حاد عنه هالك في الهواك

١- انظر كتاب الياقوت في الوعظ لابن الفرج على بن الجوزي ص ٤٨

٢- شرح تائبة ابن الفارض للشمس توني

٣- مشارق الأنوار للعدوي ٢٨٨

ويقول الحنبلي :

سبرت شرائع العلماء طراً  
فلم أر كاعتقاد الحنبلي  
فكن من أهله سرراً وجهرأ  
تكن أبداً على النهج السوي

ويقول آخر :

أنا حنبلي ما حبيت وان امت  
فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

والحنابلة يقولون أحمد بن حنبل امامنا فمن لم يرض فهو مبتدع ، فما اكثر  
المبتدعين في نظرهم على هذه القاعدة .

وتقولوا على الشافعي قوله : من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر ، فقل  
له : أطلق عليه اسم الكفر ؟ فقال : نعم ، من أبغض أحمد عاند السنة ، ومن  
عاند السنة قصد الصحابة ومن قصد الصحابة أبغض النبي ( ص ) ومن أبغض  
النبي ( ص ) كفر بالله العظيم . - ١ -

وإني استبعد صدور هذا القول من الشافعي وهو هو في مكانته ولكن  
العلو لا يقف عند حد ولا يتقيد بشرط ، وإلا فماذا لا يسمى من أبغض علياً  
كافراً ؟ مع اننا نراهم يعظمون المتوكل العباسي ويسمونهم بناصر السنة ويجوكون  
له المناقب والفضائل وهو هو في تحامله على علي وبغضه له وتقريبه من عرف بالنصب  
والمداء لعلي كعمر بن فروخ ، وابو السمط وعبد الله بن محمد بن داود وعلي بن  
الجبم وغيرهم من حزبه وأعوانه ، حتى انه كان لا يأنس إلا بتقص علي والخط  
من كرامته ، وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى علياً وأهل بيته فيأخذ ماله ويهدر  
دمه . ولما لم يلتفتوا الى هذا الخطأ فوسموه بانه ناصر السنة وانه من أهل  
الجنة ومن أولياء الله ومحاوريه في حظيرة القدس . وكذلك حزبه النواصب

وسمّوه بالسنة . قال ابن الجوزي في مناقب أحمد : وكان علي بن الجهم من أهل السنة حسن الرأي في أحمد .

فعلى هذا ان كل من كان حسن الرأي في أحمد هو من أهل السنة وان اساء الرأي في جميع المسلمين ونال منهم . قاتل الله الغلو كيف يجيد بصاحبه عن طريق الحق .

وكذلك يقولون : انه ما قام بامر الاسلام أحد بعد رسول الله ما قام به أحمد بن حنبل ولا ابو بكر الصديق مثله ، وان الله جل وعلا كان يزور قبره الى آخر ما هنالك من مناقب مبعثها الجهل والتعصب -١-

ويحدثنا الشيخ عبد الله بن محمد الهروي يقول : قصدت أبا حاتم بن جاموس بالري ، وكان مقدّم أهل السنة وقد أمر السلطان محمود أن كل من دخل الري ان يعرض اعتقاده على الشيخ أبي حاتم ، قال : فلما قربت من الري كان معي رجل في الطريق ، فسألني عن مذهبي ، فقلت : حنبلي ، فقال : مذهب ما سمعت به ، وهذه بدعة وأخذ بثوبي وقال : لا أفارقك حتى تذهب الى الشيخ ابي حاتم ، فذهب بي الى داره فاخبره بذلك ، فقال الشيخ : دعه فيكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم . -٢-

فسأرت أهل المذاهب الاسلامية أجمع في نظر هذا الشيخ كفار وما أعظمها من قسوة في الحكم وما أبعد هذا الشيخ عن الانتساب لمنزلة العلم . ولكن حكم العاطفة العمياء يسلب الرجل رشده ، وللعصية وقعها وطابعها الخاص . وكان القضاء للحنفية لا يشار الخلفاء لهم بذلك . ولما أراد القادر بالله نقله

١- مناقب أحمد لابن الجوزي

٢- تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٧٥

الى الشافعية ، وعين أبا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي بدلا من الاكفائي  
الحنفي قاضي بغداد باشارة أبي حامد الاسفرائني ، وكتب أبو حامد بذلك الى  
السلطان محمود ، وأهل خراسان : ان الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية  
فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزينين ثارت بينهما الفتن ، فاضطر الخليفة الى جمع  
الأشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن ان الاسفرائيني ادخل على  
أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والأمانة ، وكانت على اصول  
الدخل والخيانة ، فلما تبين له أمره ووضح عنده خبت اعتقاده فيما سأل فيه من  
تقليد البارزي الحكم والعدول بامير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية  
وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي وأعاد الأمر الى حقه وأجراه على قديم  
رسمه ، وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز ،  
وتقدم اليهم ان لا يلقوا ابا حامد ولا يقضوا له حقاً ولا يردوا عليه سلاماً ، وخلع  
على ابي محمد الاكفائي وانقطع ابو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه  
والانحراف عنه -٢-

ظهر لنا من هذه القصة عظيم اهتمام الحنفية في منصب القضاء . ويعود  
الأمر لعظيم منزلة القضاة إذ هم همزة الوصل بين البلاط واهل ذلك المذهب  
وتكون لهم تلك الحضوة ونيل الكرامة والعناية والحرمة والاعزاز ما حمل الحنفية  
على اثاره تلك الفتنة عندما أراد الشافعية سلبها منهم والاختصاص بهذه المنزلة  
دونهم وانتهت تلك المشكلة بتنازل الخليفة عن رأيه وعاد الأمن الى نصابه .  
والتزاحم بالمناكب على القضاء هو أقوى عامل لاثارة تلك الفتن وبث روح  
الشغب والفرقة .

وكان القضاة في أغلب الأوقات يثرون الفتن ويوقدون نار الحرب بين الطوائف . كان أحمد بن صاعد الحنفي رئيس نيسابور وقاضيا وكان يلقب بشيخ الاسلام وقد بالغ في تعصبه على بقية المذاهب فاغرى بعضهم ببعض حتى لعنت الخطباء أكثر الطوائف على المنابر - ١ -

وأراد القاضي بكار أن يعمل في جامع بني امية إماماً حنيفياً ، وكان لا يؤم فيه إلا شافعي ، ولا صعد منبره غير شافعي فاراد هذا القاضي أن يشاركهم بإمام على مذهبه فثارت الشافعية وأغلقوا الجامع وعزل القاضي - ٢ -

وأهل من أعظم تلك الفتن التي وقعت بين المذاهب هي فتنة ابن القشيري عندما ورد بغداد سنة ٤٦٩ وجلس في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وكتب إلى الوزير يشكو الحنابلة ويسأله المعونة ، وهجم أصحاب القشيري على زعيم الحنابلة عبد الخالق بن عيسى ووقع قتال بين الطرفين وأغلق اتباع ابن القشيري وهم الشافعية أبواب سوق مدرسة النظام ، وغضب أبو اسحاق الشيرازي وكان فقهائ الشافعية نظام الملك غضباً لتسلط الحنابلة ، واتسعت الفتنة وفكر الخليفة في حل هذه المشكلة واهتدى إلى سعيه في الصلح فجمع القشيري وأصحابه وأبا جعفر الشريف زعيم الحنابلة وأصحابه بمحضر الوزير فقام القشيري رئيس الشافعية والتفت إلى الوزير عندما طلب منه الصلح وقال : أي صلح يكون بيننا؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية ، أو ديناً أو تنازع في ملك . فإما هؤلاء القوم فانهم يزعمون أنا كفار ، ونحن نزعم ان من لا يعقد ما نعقدته كان

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٦١

٢- طبقات الشافعية ج ١ ص ١٧٤

كافراً ، فأى صالح يكون بيننا ؟ -١-

وقد واجه كثير من العلماء وتحملوا بلاء عظيماً عندما يتحولون من مذهب الى مذهب ، فهذا أبو سعد المتوفى سنة ٥٦٢ كان حنفي المذهب وتحول شافعيًا ، وهذا السمعاني لما انتقل من المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي لقي محناً وتعصباً وقامت الحروب على ساق ، واضطرت نيران الفتنة بين الفريقين فكانت تملأ ما بين خراسان والعراق واضطرب أهل مرو لذلك اضطراباً فظيماً وفتحت باب المشاقفة ، وتعلق أهل الرأي باهل الحديث وساروا الى باب السلطان الى آخر ما وصفه السبكي -٢- في الطبقات والشيخ عبد العزيز بن الخزاعي - كان من أكبر المالكية فلما قدم الامام الشافعي بغداد تبعه وقرأ عليه كتبه ونشر علمه ، والشيخ محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٢٦٨ كان على مذهب الامام مالك فلما قدم الشافعي الى مصر انتقل الى مذهبه ثم رجع ، وابو جعفر بن نصر الترمذي سنة ٢٩٥ رأس الشافعية بالعراق كان حنفيًا فلما حج انتقل الى مذهب الشافعي ، وابو جعفر الطحاوي ، كان شافعيًا وتفقه على خاله المزني ثم تحول حنفيًا بعد ذلك ، والخطيب البغدادي الحافظ سنة ٤٩٣ كان حنبليًا ثم صار شافعيًا ، وابن فارس صاحب كتاب المجمل في اللغة ، كان شافعيًا تبعاً لوالده ثم انتقل الى مذهب مالك ، والسيف الآمدي الاصولي المشهور سنة ٦٣١ كان حنبليًا ثم تحول الى مذهب الشافعي ، والشيخ محمد بن الدهان النحوي سنة ٥٩٠ كان حنبليًا ثم انتقل الى مذهب الشافعي ثم تحول حنفيًا حينما طلب الخليفة نحويًا يعلم ولده النحو ثم تحول شافعيًا ، والشيخ تقي الدين بن دقيق كان أولاً مالكيًا ثم تحول الى مذهب الشافعي

١- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج ١ ص ٢٢ باختصار .

٢- طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢ .

وكل هؤلاء امتحنوا وعذبوا من قبل أنصار المذهب الذي يتحولون منه  
وأمثالهم كثيرون ، وقد طغت موجة التعصب حتى أصبح التكتم بالمذهب لازماً .  
يقول أبو بكر محمد بن عبد الباقي المتوفى سنة ٥٣٥ وكان حنبلياً :

احفظ لسانك لا تبسح بثلاثة      سن ومال ما استطعت ومذهب  
فعلی الثلاثة تبدلی بثلاثة      بمكفر ومجاسد ومكذب

ويعطينا الزمخشري صورة واضحة من صور الخلاف وشدة التلاحن بين  
المذاهب وطعن البعض على البعض بقوله :

إذا سئلوا عن مذهبي لم أبح به      وأكتمه كما أنه لي أسلم  
فإن حنفياً قلت قالوا بأنتي      أبيع الطلى وهو الشراب المحرم  
وإن شافعيّاً قلت قالوا بأنتي      أبيع نكاح البنت والبنت تحرم  
وإن مالكيّاً قلت قالوا بأنتي      أبيع لهم أكل الكلاب وهمهم  
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه      يقولون تيس ليس بدري ويفهم -١-

— ٤ —

هذا عرض موجز لحركات التعصب الطائفي الذي تسترت به السلطة  
الخاصة من وراء تلك الحوادث لتوقع الفرقة في صفوف المسلمين فتصل الى غاياتها ،  
ويشق علينا ذكر أمثال هذه الحوادث المؤلمة وقد ذكرنا بعضها استطراداً في  
البحث لظهار حقيقة يلزمنا اظهارها نصرة للحق ، رداً للباطل وتكديماً لما يدعيه  
البعض كالاسفرائي وغيره من اتفاق المذاهب وعدم حصول أي خلاف بينهم  
ولم يحصل بينهم شقاق وتلاحن ولم يكفر بعضهم بعضاً ، مستدلين بذلك على صحة



مبادئهم وبطلان مذهب الشيعة وفساد عقائدهم بحصول الخلاف فيما بينهم وتكفير بعضهم بعضا ، ونحن لا نستغرب من الاسفرائني هذه الدعوة الباطلة فكم له في كتابه من غرائب وافتعالات على سائر فرق المسلمين بدین دليل بل هو تقول بالباطل ورجم في الغيب ، واليك قوله :

الفصل الثاني من هذا الباب في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة ، والجماعة

في العاقبة .

منها ان أهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضا وليس بينهم خلاف يوجب التبيري والتكفير فهم إذاً أهل الجماعة . قأمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » قال المفسرون أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيما بينهم تكفير وتبيري يكفر بعضهم بعضا . كما ذكرنا من الخوارج والروافض والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فاقتروا عن تكفير بعضهم بعضا ، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضا ، حتى قالت اليهود : « ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء »

أخفي على الاسفرائني تلك الحوادث التي مر ذكرها فيذهب الى هذا الرأي ؟ أم نسي محنة القول بخاق القرآن ، وما حدث من ورائها من تكفير البعض لبعض ؟ فقد ذهب احمد بن حنبل الى تكفير من يقول بخلق القرآن ، ويقول أبو عبد الله محمد بن يحيى الدهلي المتوفى سنة ٢٥٥ : من زعم ان القرآن مخلوق فقد كفر ، وبانت منه امراته ، فان تاب وإلا ضربت عنقه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ومن وقف وقال لا أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكافر ، ومن زعم ان لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، على ان أحمد بن

حبل لم يقبل توبة التائب ، وكان لا يشيع جنازة من يقول بخلق القرآن ، ولم يصل على أحد منهم ، وكان يرتب عليهم احكام الكفار ، وشاع التكفير حتى عند النساء . يحدثنا الخطيب : ان امرأة تقدمت الى قاضي الشريعة عبد الله بن محمد الحنفي ، فقالت : إن زوجي لا يقول بمقالة أمير المؤمنين في القرآن ، ففرق بيني وبينه - ١ - ، نعم واتسع الخلاف بين المسلمين ، من تكفير البعض لبعض ، فطائفة تقول : ان من قال القرآن غير مخلوق فهو كافر ، وعليه ابن ابي داود وجماعته ، حتى ان الواثق استنك من الروم أربعة آلاف من الاسارى ، ولكنه اشترط ان من قال القرآن مخلوق يخلص من الأسر ، ويعطى دينارين - ٢ - . ومن امتنع عن ذلك فترك في الأسر ولا يفك ، بمعنى انه رتب آثار الكفر على من لم يقل بخلق القرآن ، ولما قدم أحمد بن نصر اليه قال له الواثق ما تقول في القرآن؟ - وكان أحمد ممن يذهب الى أن القرآن غير مخلوق - فقال كلام الله وأصر على رأيه غير متعلم ، فقال بعض الحاضرين : هو حلال الدم ، وقال ابن ابي داود : هو شيخ محتل لعل به عاهة أو تغير عقله ، يؤخر أمره ويستتاب ، فقال الواثق ما أراه إلا داعياً للكفرة ، ثم دعى بالصمصامة فقال : إذا قت اليه فلا يقوم أحد معي فاني احتسب خطاي الى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعرفه ، ثم أمر بالنطع فاجلس عليه وهو مقيد ، وأمر ان يشد رأسه بحبل ، وأمرهم ان يمدوه ، ومشى اليه برجله وضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد - ٣ - .

وبهذا القدر نكتفي ولا نطيل في البحث فهو واسع لمن أراد ان يتبع ، ولكن من الأسف الشديد ، ان ناشر كتاب التبصير والمعلق عليه قصرت خطاه

١- تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٧٤

٢- طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٢ وتاريخ يعقوبي ج ٣ ص ١٩٤

٣- شذرات الذهب ج ٢ ص ٦٧

عن الوصول لتلك الحقائق فلم ينبه على خطأ رأي المؤلف كما نبه على أخطاء ارتكبها المؤلف في حق الحنفية كما هو براها وعذرنا شارح الكتاب الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري عن هذا الاعراض ، ولكن ما بال الدكتور محمد محمود الخضيرى الذي قدم للكتاب وشكر الناشر على ذلك والدكتور هو استاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية ، وكلية اصول الدين بالأزهر ؟ وبالطبع انه يتجرد عن العاطفة ويحرر نفسه عن عبودية التقليد واسكنه مرغم على ذلك فماذا يصنع ؟

اما الحوادث التي جرت بين السنة والشيعة فكثيرة لا يسعنا ذكرها الآن ونشير الى بعضها إتماماً للغرض ، ان أسباب الثورات التي تقوم بين السنة والشيعة هي اقامة ذكرى الطف وذكرى يوم الغدير ببغداد ، ولا نستطيع ان نعرف الأسباب التي من أجلها تتحرك شعور السنة عندما ينظرون الى الشيعة يقومون بهذه الذكريات ، فان كان الانكار منهم للدين من حيث ان هذه الامور هي بدعة في نظرهم ، ولا يمكنهم السكوت عنها إذ النياحة على الميت محرمة عندهم فلماذا نراهم ينكرون شيئاً ويفعلونه أ كان من جهتهم مباح وعلى غيرهم محضور ؟

لماذا نراهم ينكرون تعظيم يوم الحسين (ع) واعادة ذكرى يوم الطف وما لقيه بطل المسلمين وقائدهم الأعلى الى ساحات التحرر من عبودية المستبدين ومن ضحى بنفسه لاعلاء كلمة الحق ونشر لواء الدعوة الاسلامية على حزب المشركين والمتألمين للقضاء على دين محى تلك المبادئ الفاسدة .

ونراهم يقيمون النياحة على مصعب بن الزبير مقابلة له بالحسين (ع) ،

وأقاموا مهرجان يوم الغار في قبال مهرجان يوم الغدير ، ثم نراهم يقومون بمراسيم الحزن والأسى لرجال منهم لم تقم الشيعة بالبعض من ذلك واليك البعض منها :  
يموت ابو الفتح اسماعيل بن السلطان محمود سنة ٥٦٧ فتقام عليه المآتم ويناح عليه نوح الشكلا ويكثر البكاء في الطرق ، وتفرش بالرماد اظهاراً للحزن ، وتعظيماً للمصاب -١-

ويموت ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ فتحضر جنازته خمسون الف امرأة ينحن عليه ، ومثتا الف رجل يرفعون أصواتهم بالتكبير مزيجاً بالبكاء والعويل ، ولما غسل جمع ماء غسله فشر به تبركاً به ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به تبركاً ، ودفع بالطاقيّة التي على رأسه خمس مائة درهم ، والخيط الذي في رقبتة فيه الزئبق لدفع القمل دفع فيه مائة وخمسون ديناراً ، وسارت جنازته بين الضجيج والبكاء ، والمنادي امامه ينادي هكذا تكون جناز أهل السنة ، ولما وضع على المغتسل دخل الرجال عليه يقبلونه وينوحون عليه ، ثم اذن للنساء ففعلن مثل ذلك -٢- واقيمت عليه المآتم ودامت النياحة ، وراثه خلق كثير منهم شمس الدين الذهبي وغيره -٣- .

ويموت أحمد بن السلطان ملك شاه سنة ٤٨١ فمكث الناس ينوحون عليه سبعة أيام ولم يركب أحد فرساً والنساء ينحن عليه في الاسواق ، وسود أهل البلاد أبوابهم .

ويموت شيخ الحرمين فتطوف تلامذته في الشوارع ينوحون عليه نوح

١- شذرات الذهب ج ٦ ص ١١٢

٢- تاريخ بن كثير ج ١٤ ص ١٣٨

٣- العقود الدرية من مناقب ابن تيمية ص ٣٩٩

النساء وكسروا المحابر وأقاموا النياحة عليه سنة ١-  
وأبو عمر الحنبلي المتوفى سنة ٦٠٧ يعظم عليه البكاء والعيول يتناوحن عليه  
رجالاً ونساءً ، وغسل في المسجد ونشف ماء غسله بنجر النساء ، وعمائم الرجال  
للتبرك طبعاً ويتساقون الى تمزيق كفته يتبركون به ، وكادت تبدو عورته ، لولا  
محافظة الدولة على كرامته فدفعت الناس عنه بالسيف ، قال ابن العباد : ولولا الدولة  
لما وصل من كفته الى قبره شيء ٢-

وتخرج النساء يوم وفاة المسترشد العباسي سنة ٥٢٩ ينحن عليه ويلطن  
وهن منشرات الشعور ينشدن المراثي في الطرقات ، اما الرجال فشاركوهن بالنياحة  
وزادوا بان شقوا الثياب عليه ٣-

ونحن اذا نظرنا الى أسباب تلك المؤاخذات التي تؤاخذ بها الشيعة  
واستوجبت حدوث تلك الحوادث ، نجد الأسباب تعود الى متابعة أراض السلطنة ،  
حتى تحكم العداة للشيعة وأصبح الابتعاد عن تهمة التشيع ، أمر لازم حتى  
حرموا التشبه بهم .

ذكر الزرقاني في المواهب اللدنية في صفة عمّة النبي (ص) على رواية  
علي في اسدالها على منكبهِ حين عممه رسول الله (ص) ثم ذكر قول الحافظ العراقي :  
ان ذلك اصبح شعار كثير من فقهاء الامامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم .  
في هذا الشيخ يفتي بجرمة التشبه بالشيعة في اتخاذ العمّة التي كان رسول الله يلبسها  
هذا شاهد من آلاف الشواهد التي عامل بها رجال اولئك العصر شيعة آل محمد

١- طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٥٩

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠

٣- تاريخ دول الاسلام للذهبي ج ١ ص ١٨٢

ولا غرابة فان تهمة التشيع تدعو لسخط الدولة ، وهل وراء ذلك إلا ازهاق  
الارواح ، ونهب الأموال أو السجن أو التبديد ؟ لذلك التجأ الاكثر الى التظاهر  
في الوقعة بهم فادى الأمر الى التباعد عنهم والحذر من تهمة التشيع حتى في  
الرؤيا ، يحدثنا الخطيب البغدادي : ان رجلاً رأى علياً ( ع ) في المنام فلم يجسر  
على الدنو منه فسأله صاحبه فقال : اخشى ان قربت اليه أسأله ان اتهم بالتشيع .  
هكذا أرادت السلطة الجائرة ، تفريق كلمة المسلمين ، وايقاد نار العدا  
فيما بينهم ، لغايات تعود لمصالحهم الخاصة ، ورغبات في نفوسهم ، لا تنال مع الوحدة  
والاتحاد ، وتبادل الثقة والاحاء .

وكان في الأمة رجال يدعون الى الحق ، وينبهونهم على هذه الأخطاء ،  
ولكن جهودهم لم تثمر كثير فائدة ، لأن الفوضى تحمكت في المجتمع ، ودبت  
روح الاختلاف في النفوس ، وطفت موجة التعصب ، حتى كانت عاقبة ذلك  
الجيل ان ساط عليهم أعداء لا يعرفون الرحمة ، فالبسوهم الذل ، وحكوا فيهم  
السيف ، وسقوا من دمائهم الأرض ، وأقاموا من رؤوسهم تلالاً ، فتمكن من  
قلوب المسلمين الرعب ، وسلبت منهم تلك القوة والشجاعة ، والتفاني في سبيل  
نشر كلمة التوحيد ، يوم ساروا تحت راية الاسلام ، وهم يستمينون بالحياة ،  
ويستقبلون الموت ، ويتمنون الشهادة ، حتى أخضعوا جبابرة الأرض ودانت لهم  
البلاد ، واذا بهم بعد تلك العزة ، يستولي عليهم الذل ، ويدخل في قلوبهم الرعب ،  
ولا يدافعون عن أنفسهم ، فكان الرجل الواحد من التتر يقتل جماعة من المسلمين  
الواحد بعد الآخر ، ودخلت امرأة داراً وقتلت جماعة من أهلها ، ولم يدفعوها  
عن أنفسهم ودخل واحد منهم دربا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً  
حتى أفناهم ، ولم تمد اليه يد بسوء وأخذ رجل من التتر رجلاً من المسلمين ولم يجد

ما يقتله فيه ، فقال له : ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح ، فوضع رأسه وبقى نائماً حتى جاء التتري وقتله - ١ -

وهذا ما يذهب بنفس المسلم حميرات ويميث قلبه أسفاً وحزناً ، وهانحن اليوم امام تيار المبادئ الفاسدة ، والآراء الهدامة ، والعقائد السخيفة ، وان خطرهما على المسلمين لاعظم خطر يخاف عاقبته ، ونخشى مغيبته فاذا لم يتهجوا في مكائحتها لتفهيم التعاليم الاسلامية والقيام بتطبيقها عملياً ، ويتحدوا لابعاد المتدخلين بين صفوف المسلمين ، لهم المجتمع الاسلامي ، وتشويه تعاليمه الدينية والأخلاقية ، واستبداله بتعاليم اباحية ، ولا يتم ذلك إلا باتحاد الكلمة وفهم الاسلام فهما صحيحاً ، وان تستسقى تعاليمه من ينبوعه الذي أراد الله ان نأخذ عنده منه وتتبع قول الحق ، وأمة الصديق :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

## المذاهب

### انتشارها في الأقطار الاسلامية

ونود الإشارة الى انتشار المذاهب في الأقاليم الاسلامية في القرن الرابع سواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية ، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وجبر وصعدة شيعة . والغالب على صنعاء أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم ، وفي نواحي نجد واليمن مذهب سفيان . وفي العراق الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ، وبه مالكية وأشعرية ، وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فانها سنة ، وأكثر أهل البصرة قدرية و ( شيعة ) و ثم حنابلة ، وببغداد غالبية يفرطون بحب معاوية ، وهنا يحدثنا المقدسي عن دخوله جامع واسط واستماعه لقصاص يقص على الناس حديثاً عن النبي ( ص ) : ان الله يذني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ثم يجلوه على الخلائق كالعروس ، قال المقدسي فقلت له بماذا ؟ بمحاربتة علياً ؟ رضي الله عنه كذبت يا ضال ، فصاح القصاص خذوا هذا الرافضي ، فاقبل الناس علي ، فعرفني بهض الكتبة ففكر كرمه عني .

اقليم اقور وهو اليوم شمال العراق - أي الموصل ونواحيها - مذهبهم سنة وجماعة ، إلا عانها فانها كثيرة المعتزلة ، ولا ترى في الرأي غير مذهب ابي حنيفة والشافعي ، وفيها حنابلة وجلبية للشيعة ، و اقليم الشام مذهبهم مستقيمة أهل جماعة وسنة ، وأهل طبرية ونصف نابلس وأكثر عمان شيعة ولا ترى فيه مالكية



والعمل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث .

اقليم مصر على مذهب أهل الشام ، غير ان اكثر فقهاءهم مالكيون ،  
ألا ترى انهم يصلون قدام الامام ويربون الكلاب ؟ واعلا القصة صنفا شيعية  
وسائر المذاهب في الفسطاط موجودة ظاهرة .

واقليم المغرب : فالمذاهب على ثلاثة أقسام ، واما في الاندلس فمذهب  
مالك ، وقرائة نافع ، وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله ، وموطأ مالك ، فان  
ظهوروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وان عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوها ربما  
قتلوه ، وبسائر المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي إلا مذهب أبي حنيفة  
ومالك ، وأصحاب مالك يكرهون الشافعي ، يقولون أخذ العلم عن مالك ثم خالفه .  
واقليم جانب خراسان للشيعية والمعتزلة والغلبة لأصحاب أبي حنيفة إلا في  
كورة الساش فانهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبد الله السرخسي .

واقليم الرحاب مذاهبيهم مستقيمة ، إلا أن أهل الحديث حنابلة ، والغالب  
بدييل مذهب أبي حنيفة .

واقليم الجبال اما بالري فمذاهبيهم مختلفة ، فالغلبة للحنفية وهم نجارية ،  
وبالري حنابلة كثيرة ، وأهل قم شيعية ، وفي الدينور جلبة لمذهب سفيان الثوري  
اقليم خوزستان مذاهبيهم مختلفة ، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق  
حنابلة ونصف الأهواز شيعية ، وبه من أصحاب أبي حنيفة كثير ولهم فقهاء  
وبالأهواز مالكيون .

اقليم فارس ، العمل فيه على أصحاب الحديث ، وأصحاب ابي حنيفة ،  
ولداودية دروس ومجالس وغلبة . ويتقلدون القضاء والأعمال .

أقليم كerman المذاهب الغالبة للشافعي .  
أقليم السند : مذاهبيهم أكثرها أصحاب حديث . ورأيت القاضي  
أبا محمد المنصور داوديا اماما في مذهبه . وأهل الملتان « شيعة يبيعون في الاذان  
ويثنون في الاقامة » ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب ابي حنيفة ، وليس  
بهم مالكية ، ولا معتزلة ، ولا عمل للجنابلة - ١ -

## انتشار المذهب المالكي في الجزائر

في العصر الحاضر \*

المغرب الأقصى يغلب عليه الآن المذهب المالكي . وعلى الجزائر وتونس أيضاً .

« طرابلس » المذهب المالكي بكثرة . والحنفي بقلة . وهم من بقايا الاسر التركية ، وأكثرهم في تونس ومنهم افراد بيت الامارة بها ، ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفي مشاركا للقضاء المالكي ، وأما سائر أعمالها : فقضاها مالكية ، وفي الحاضرة كبير المقتنين الحنفي ويلقب بشيخ الاسلام وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع ، والمالكي وله المقام الثاني ، وقد تساهلوا الآن في تلقيبه بشيخ الاسلام أيضاً . ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفي فان من السنن المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرسي جامع الزيتونة حنفي ، والنصف الآخر مالكية . وإنما امتاز الحنفي بذلك لكونه مذهب الاسرة المالكية .

« مصر » : الشافعي والمالكي ويغلب الأول في الريف والثاني في الصعيد والسودان ، ويكثر الحنفي وهو مذهب الدولة والمتبع في الفتوى والقضاء والحنبلي قليل بل نادر .

« الشام » : الحنفي يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية ، والربع الآخر حنابلة .

\* انظر ما كتبه أحمد تيمور باشا في كتاب نظارة تاريخيه ص ٤٢

« فلسطين » : يغلب على مذاهب أهل السنة فيه الشافعي ، ويليه الحنبلي فالحنفي ، فلما لكي .

« العراق » : يغلب الحنفي فيه على مذاهب أهل السنة ويليه الشافعي وبه مالكية وحنابلة .

« الترك » : العثمانيون والالبان وسكان بلاد البلقان المذهب الحنفي .

« الأكراد » : المذهب الشافعي وهو الغالب على بلادارمينية لأن مساهمها من أصل تركماني أو كردي ، والسنينيون من أهل فارس أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية .

« الأفغان » : المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي بقلة .

« تركستان الغربية » : التي منها بخاري المذهب الحنفي ، وأما تركستان الشرقية فكان الغالب عليها الشافعي ، ثم تغلب الحنفي بمسعى العلماء الواردين عليها من بخاري القفقاز وما والاها الحنفي وفيهم شافعية .

« الهند » : الحنفي والشافعي بقلة ، وفيها مذاهب أخرى .

« الهند الصينية » : شافعية وكذلك مساهموا استرالية ، وفي البرازيل من امريكاني نحو ٢٥ الف مسلم حنفية .

« امريكا » : فيها من المسلمين عدد ينوف على ١٤٠ الفاً وهم مختلفو

المذاهب .

« الحجاز » : الشافعي والحنبلي وفيه حنفية ومالكية في المدن وأهل

عسير شافعية .

« اليمن » : السنينيون فيها وفي عدن ، وحضرموت شافعية ، وقد يوجد



## انشاء المدارس

### لترويج المذاهب الأربعة

كانت بغداد في العهد العباسي ربوعاً عامرة انشئت فيها دور للعلم ، وبنيت مدارس لتعلم الفقه الاسلامي على المذاهب الأربعة ، واجريت على طلاب العلم منهم نفقات طائلة، وقد انفق نظام الملك عليهم في كل سنة ما يبلغ ستمائة الف دينار ، وكان ابو الحسن علي بن محمد وزير المقتدر العباسي يقوم بنفقات خمسة آلاف طالب منهم ، وبذلك اصبحت بغداد دار هجرة يؤمها طلاب العلم من كل ناحية و صوب وأهم تلك المدارس هي :

- ١ : النظامية : التي انشأها نظام الملك الطوسي على شاطئ دجلة سنة ٤٥٧ وبنى حولها اسواقا وجعلها وقفاً عليها مع كثير من الضياع والخانات والحمامات .
- ٢ : التاجية : وقد بنيت سنة ٤٨٢ بناها تاج الدين ابو الغنائم المتولي لتدبير دولة ملك شاه بعد نظام الملك .
- ٣ : التتوشية : التي بناها خمار تكين خادم تتش بن ألب ارسلان بن داود بن سلاجوق ، وهي خاصة لاصحاب ابي حنيفة فقط .
- ٤ : باب الازج بنيت لثقة الدولة ابي الحسن علي بن محمد القزويني .
- ٥ : مدرسة ابن دينار : بنيت لأبي حكيم ابراهيم بن دينار البغدادي الفقيه الشافعي .

٦ : مدرسة زيرك أو مدرسة سوق العميد : خاصة للحنفية .

٧ : المدرسة الشرايية : انشأها شرف الدين اقبال الشراي سنة ٦٢٨

على عهد المستنصر بسوق العجم .

٨ : المدرسة البشيرية : أنشئت بالجانب الغربي من بغداد وقد أمرت  
ببنائها حظية المستعصم وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة ، ووقفت عليها  
أوقافاً كثيرة .

ولكن أهم تلك المدارس هي المستنصرية التي مرت الإشارة إليها في  
الابحاث السابقة وقد وصفها السيوطي -١- وابن بطوطة في رحلته وابن الفوطي -٢-  
وغيرهم . وكانت تعد هذه المدرسة كالجامعة لتخريج العلماء على المذاهب الأربعة  
في ذلك العصر .

أما في مصر فكان مجموع المدارس التي أنشئت للمذاهب الأربعة لا يقل  
عددها عن تسعين مدرسة واليك ذكر البعض منها :

١ : المدرسة الفارسية : أنشأها شرف الدين بن صاعد سنة ٦٣٦ وهي  
خاصة للشافعية .

٢ : المدرسة القطبية : أنشئت سنة ٥٧٠ أنشأها الأمير قطب الدين  
خسرو وهي للشافعية .

٣ : المدرسة السيوفية : أنشئت سنة ٥٧٢ وهي للحنفية أنشأها الملك  
الناصر صلاح الدين أيوب وأوقف على مستحقها ٣٢ خانة .

٤ : المدرسة الفاضلية أنشأها القاضي الفاضل عبدالرحيم سنة ٥٨٠، وجعلها  
لفقهاء الشافعية والمالكية .

٥ : مدرسة المحلى أنشأها برهان الدين ابراهيم بن علي المحلى .

١- تاريخ الخلفاء ص ١٨٥ ط بولاق .

٢- الحوادث الجامعة ص ٥٣ .

- ٦ : المدرسة الفارقانية انشئت سنة ٦٧٦ وهي للشافعية والحنفية .  
٧ : المدرسة الشريفة : انشأها أحد امراء مصر في الدولة الايوبية سنة ٦١٢ وهي للشافعية .  
٨ : المدرسة الصالحية : أنشأها الملك نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ للفقهاء الأربعة .  
٩ : المدرسة الكاملية : انشأها السلطان ناصر الدين محمد بن الملك العادل للشافعية .  
١٠ : المدرسة الظاهرية : للشافعية والحنفية .  
١١ : المدرسة القطبية : انشئت في القرن السابع بوصية من الست عصمة الدين مونس خاتون -١- .

ولا يسعنا ذكر بقية المدارس التي في سائر الاقطار الاسلامية والغرض الاشارة الى عظيم تشجيع الدولة والامراء لروح العلم وبثه في تلك العصور ونشره طبقاً للمذاهب الأربعة فقط ليلتزم الناس التمسك بها دون غيرها :

---

١- انظر الحفظ للمقرئ ج ٤ من ص ١٩١ الى ٢٦٢



هو مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا  
 وهو أقدم المذاهب نشأ وأقواها عملا ، يستند لعلمه من البصيرة الإسلامية  
 النافذة ، والقرآن الكريم وسنة نبيه ، وقد حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 وبسنة الذين أتوا بعده ، وإرشادهم ، وحملهم على الصلوة ، وقام بشؤونهم  
 جميعا كما يأتي بيانه ، والخصامة بالانتماء الصادق للاتباع التي من لا ذكره  
 حصول تلك القوة السعيدة بين شجرة الكرم لا يورثها وطولها العدة العديدة  
 ومنها البيع الجليل للامام الصادق (ع) وهو ما يفسر في جميع كتب الأئمة  
 الإلهية ، ونشره في

## المذهب الجعفري نشأته وعوامل انتشاره

ومن أهل البيت ، وكثرت الفجرة التي نسبت للمذهب إليه في عهد الزعماء  
 وأما يمكن المذهب الجعفري كإثر المذاهب الإسلامية في تطور نشأته وعوامل  
 انتشاره في أمطار استقلاله عن قوميات البلاد وموازاة الحياة ، والتمتع بوسائل  
 الحياة اصطناع الزمن واختيار الفئات التي تكلف في طريق نشره ،  
 ولولا بعض من القسمة في مبادئه وقوة روحية في تواليه ، وعناية قبل  
 كل شيء من الخالق الحكيم راحة هذا الحق المتعوس ، انقضت عليه السلطات  
 بما دونها القضاء عليه ، فممكن نسبيا القتل ونسبه النجاح ،  
 وقد اتضح لنا بالبحث عن المذاهب الإسلامية ودراساتها الظروف التي  
 تكوّن فيها والعوامل الرئيسية لنشر البعض وحول البعض الآخر ، فمما هو

- ٦ : الدرر النادرة الثالث سنة ١٧٦ وهي ثمانية والخمسة
- ٧ : الدرر الشرقية : أنشأها أحمد إسماعيل مصر في الدولة الأيوبية سنة ١١٧٢ وهي ثمانية
- ٨ : الدرر الصليبية : أنشأها الملك نجم الدين أيوب سنة ١٢٣٩
- ٩ : الدرر الكلاسيكية : أنشأها السلطان ناصر الدين محمد بن الملك المعظم ثمانية
- ١٠ : الدرر الشعرية الثمانية والخمسة
- ١١ : الدرر العلمية : أنشأت في القرن السابع ومائة من بيت عصبة الدين مائة شون

ولا يسجد  
 إلا لله  
 لا شئنا إلا الله وحده  
 لا شئنا إلا الله وحده

سنة ١١١١

هو مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو أقدم المذاهب نشأة وأقواها عاملا ، يستمد تعاليمه من ينبوع الاسلامي الفياض . القرآن الكريم وسنة نبيه ، وقد غرس النبي صلى الله عليه وآله بذرته ووجه الناس اليه بتعاليمه وارشاداته وعمل به عهد الصحابة ، وقام بنشره جماعة منهم كما يأتي بيانه ، واختصاصه بالامام الصادق للاسباب التي مر ذكرها عند حصول تلك الفترة السعيدة بين شيخوخة الدولة الاموية وطفولة الدولة العباسية ، وفيها اتسع المجال للامام الصادق (ع) وهو امام عصره فتوسع في بث الأحكام الإلهية ، ونشر التعاليم النبوية التي استقاها عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عند رفع تلك الرقابة التي جعلها الامويون للحيلولة بين الامة وبين أهل البيت ، فاشتهر في ذلك العصر ذكر جعفر بن محمد وازدهم طلاب العلم على أبواب مدرسته ، وكثرت الهجرة اليها فنسب المذهب اليه في عهد ازدهار العلم ولم يكن المذهب الجعفري كسائر المذاهب الاسلامية في تطور نشأته وعوامل انتشاره بل امتاز باستقلاله عن مقومات المادة ومؤازرة السلطة ، واستطاع بمؤهلاته الذاتية اخضاع الزمن واجتياز العقبات التي تقف في طريق نشره .

ولولا فيض من القدسية في مبادئه ، وقوة روحية في تعاليمه ، وعناية قبل كل شيء من الخالق الحكيم رحمة بهذا الخلق المتعوس ، لقضت عليه السلطات بمحاولتها القضاء عليه ، فكان نصيبها الفشل ونصيبه النجاح .

وقد اتضح لنا بالبحث عن المذاهب الاسلامية ودراساتنا للظروف التي تكونت فيها والعوامل الرئيسية لنشر البعض وجمول البعض الآخر ، انما هو

لتدخل السلطة التنفيذية فقد أخذت على عاتقها نشر من ترتضيه منها ومعارضة المذهب الذي لا يروق لها نشره وكانت الأسباب التي أدت الى محو تلك المذاهب البائدة بعد شهرتها بين المسلمين هي عدم المؤازرة والترغيب من قبل الدولة .  
أما مذهب أهل البيت فقد وقفت السلطات في مقابلته على ممر الأدوار والعصور وكان لكل دولة غايات تعمل على تحقيقها في مقابلة أهل البيت ، والوقوف في طريق انتشار مذهبهم في البلاد الاسلامية ، أما الدولة الأموية فكانت مدفوعة للمعارضة في أمور ثلاثة :

١ - العداوة للبيت النبوي عداوة ذاتياً متأصلاً ، توارثته الأبناء عن الآباء ولم يغير الاسلام من وجهة نظرهم هذه أي شيء بل يزداد حقدهم كلما زاد انتشار الاسلام بالصورة التي أرغمتهم على الدخول فيه استسلاماً لا إسلاماً .  
٢ - ان مذهب أهل البيت بانتشاره في عهدهم وعدم معارضتهم له ، معناه الضربة القاضية على الدولة للتفاوت العظيم بين سياسة أهل البيت وسياسة الأمويين .

٣ - انهم بدون شك لا يجهلون أنفسهم ومؤهلاتها للخلافة الاسلامية ، ويعرفون الأمة واتجاه أنظارها لآل محمد صلى الله عليه وآله ولا توجد أي نسبة بين الأمويين وبين أهل البيت فاذا تركوا الامور تسير بمجرهاها الطبيعي كان بالطبع أن يتأخر فوز الأمويين بالخلافة ( حتى يلج الجمل في سم الخياط ) وهم يعلمون هذا فاتخذوا تلك التدابير لنجاح أمرهم وشاء الله أن يمتحن الخلق ويبتليهم ولا راد لمشيئته .

اما العباسيون ، فكانوا يشاركون الأمويين في النقطة الأخيرة لانهم لم يكونوا في بادئ الأمر أعداء لهذا البيت ، بل هم أنصارهم والمتألمين لما ينالهم

من الأذى، ولكنهم كانوا يخافون على زوال ملكهم ، عندما تشتد قوة الدعوة لأهل البيت وينتشر مذهبهم في الأقطار الإسلامية ، رغم تلك العوامل التي تقف ضده من الدولتين الأموية والعباسية .

— ٢ —

لم يبق معاوية في كنانة حقه سها إلا ورعى فيه أهل البيت فكان يستعمل شتى الوسائل في مقابلتهم ويستميل الناس بكل حيلة لتحويلهم عنهم ، فكانت أيامه موجة بلاء على الشيعة إذ استعمل معهم أقسى ما يتصور من الشدة والفوضى ، وعاقب المنظمين لجانب علي حتى دعت نفسه إلى تتبع النساء العربيات اللاتي قن بدورهن بالانتصار لأهل البيت ، والغضب على الأمويين فسجن من سجن وقتل من قتل منهم ، واحضر من تمكن على احضارها بمجلسه في الشام .

ولقيت الشيعة في عهده اضطهاداً ، وكانوا في كل آونة يترقبون في عهده الموت أو السجن . هكذا حاول معاوية ان يقضي على مذهب أهل البيت ولكن جهوده أفضت إلى عكس المقصود فكما ازداد في سخطه ازداد الناس تمسكاً بأهل البيت لعلمهم بأنه لا يدعو إلا للباطل وأهل البيت على الحق .

فانتشر مذهب أهل البيت في عاصمة الأمويين في عهد معاوية وازداد انتشاره على مر العصور ، وان أول من نشر المذهب في الديار الشامية هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري فقد قام بدوره في نشر تعاليم الإسلام ، وازهار الانكار على معاوية ، وكاد أن ينتصر لولا استغاثة معاوية بعثمان فاجابه لما طلبه من اخراج أبي ذر ليصفو له الجوف فكان نصيبه التباعد عن دار الهجرة ، وموته وحيداً بالرعدة .

ولم يقض معاوية على تلك الحركة الاصلاحية التي قام بها أبو ذر بل  
توسعت بصورة أرغمته على اثاره العصبية بين القبائل وبث روح التفرقة بين  
الناس وبذل كل ما في وسعه في مقابلة علي وانصاره كما تقدم . وتقف الكوفة  
التي هي أهم مراكز الاسلام ويعترف الأمويون بخطورها على الدولة موقف المعارضة  
والانكار للاوضاع الشاذة التي ارتكبها ولاة الأمر ، ويتراأسهم الصحابي الجليل  
حجر بن عدي وخلص أصحابه ، فقاموا يطالبون بالحق وينتصرون للعدل  
ويتألمون لهجر تعاليم الاسلام والخروج على نظامه المقدس وينبهون الأمويين على  
تلك الأخطاء التي ارتكبوها ، المخالفة لاحكام الاسلام بصورة واضحة بما لا مجال  
للمدفاع عنهم ، فكان موقف الدولة موقف تريث وتأنيب واستعمال طرق الافئاع  
لزعماء هذا الحزب عسى أن يتحولوا عن هذا الرأي ، ويسالموا معاوية ويكونوا  
في جملة المؤيدين لسياسته . ولكن الأمر يزداد شدة وتوتر العلاقات ويكثر  
الناقمون عندما أعلن الوالي على المنبر الزام الناس بالبراءة من علي وشمته وهم يرون  
أن علي بن أبي طالب هو بطل الاسلام وناسر دعوته وانه أقرب الناس إلى  
رسول الله صلى الله عليه وآله وأقرب الناس اليه .

ولما ولي زياد الكوفة استقر رأيه ورأى معاوية على الوقيعة بهم فزوروا  
شهوداً - وما أكثرهم في ذلك العهد - من الذين استخدمهم معاوية بصلاته فشهدوا  
على حجر (١) وأصحابه بما يستطيعون ان يردوا بعض الانكار عنهم فكانت

(١) حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن الأدرج كان من فضلاء الصحابة ومن  
شعبة علي (ع) وحضر معه حروبه وكان على كنده يوم صفين ، وعلى الميسرة يوم النهروان ،  
جاء زياد بأمر معاوية في اثني عشر رجلاً موثقين في الحديد فقتل معاوية ستة منهم حجر واستحيا  
ستة وأوصى حجر من حضر من أهله أن لا تطلقوا عنى حديداً ولا تغسلوا عنى دماً فأتى ملائق  
معاوية غداً على الجادة ، وكان قتله في مرج عذراء سنة احدى وخمسين هـ انظر الاستيعاب  
ج ١ ص ٣٥٨ بهامش الاصابة .

خاتمة مطاف حياتهم في مرج عذراء بتلك الصورة المؤلمة .

ولقيت الأمة في سبيل الانتصار للحق والانضمام لجانب أهل البيت وهم أهله ، أنواع العذاب . أما أهل البيت أنفسهم فكانوا في الدور الاموي - دور الارهاب والظلم - يلاقون المصائب ، وينظرون الى الامة أسرعت بخطاها وراء تلك الفئة الباغية التي لا تريد إلا محو الدين ، والقضاء على نواميسه المقدسة ، طمعاً في دنياهم ، ورغبة في نائلهم ، وتزلف الناس اليهم ، بالعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله ، وتطوع آخرون لنصرتهم بضرب الأحاديث المسكوبة على صاحب الرسالة ، استجابة لاقتراح معاوية ، واتباعاً لاوامره التي أصدرها بلاطه الجائر ، فكانت هناك مجموعة أحاديث كلفت بيت مال المسلمين مئات الآلاف من الدنانير ، وقليل ما يبذلون ، فإن اولئك الدجالون يبيعون عليهم دينهم ، وانهم يريدون ان يجعلوا من الفارة جملاً ، ويحاولون ادخال الأسد في البيضة ، يريدون أن يجعلوا من وليد بيت الشرك ، ورضيع ثدي الفجور ، شخصية تعترف الامة بانها شخصية روحانية طاهرة مطهرة ، تمنحه الامة ثقتها ، وتنقاد له بدافع العقيدة وهذا أمر لا يكون . انهم يريدون أن يجعلوا معاوية حق ورائة النبي صلى الله عليه وآله وتولي سلطانه ، وهو عدوه الألد ، انهم يريدون ان يجعلوا من أبي سفيان شخصية اسلامية تتفانى في نصره الدين وهو هو لا يجبل أحد حاله ، ويريدون أن يلبسوا هنداً ثوب الطهر والعفاف ، لتصبح رمزاً للفضيلة ، ومثالاً للعفة اذاً :

لمن الصبي بجانب البطحاء      في الترب ملقى غير ذي مهد ؟

ومن هذا وذلك فان قبول مثل هذه الامور تحتاج الى قوة تسيطر على

العقل وتفقدته التمييز وتطفيء شعلته ، ولا يستبعد ما للمال من عوامل مؤثرة ، فهي في الواقع أقوى من عامل السيف ، ولذلك أصبحت تلك المفتريات لها أثرها ، وطابعها الخاص ، وإذا بماعوية تحاك له أحاديث المدح ، وإذا به ( أمين هذه الامة ) وهو الخائن بعينه وأمير المؤمنين ، وما ذاق طعم الايمان ، وما دخل الاسلام قلبه ( وما كان اسلامه اسلام الجنان بل اسلام الشفة واللسان ) ويصبح خصماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى عدّ ذلك من أعظم مصائبه فقال : ( انزاني الدهر حتى قيل علي ومعاوية ) وابو سفيان مع صراحته بالكفر ، ووسمه بالنفاق ، وجهره بما لا يشك عاقل بأنه كافر ، أصبح بمقتضى تلك الأوضاع المقلوبة مسلماً أصحابياً له مكانته ومناقبه .

وأبو طالب مع بذله الجهد في دعوة الحق ، وتفانيه بالدفاع عن محمد صلى الله عليه وآله بدافع العقيدة لا العاطفة وموجات الحق ، تردد اناشيده وترسمها على لوحة الخلود :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا  
وساند النبي صلى الله عليه وآله في دعوته وبذل أقصى جهده في حمايته ،  
وأعز الله جانبه فيه ، وألجم أعداءه عن مقابلته ، كيف يصبح كافراً ولا ينطق  
بشهادة أن لا إله إلا الله ، وتذهب أتعابه سدى وتسنداليه كلمة الكفر ؟ وما ذلك  
إلا رغبة لنوال من لا رغبة له إلا أن ينال من علي عليه السلام ويحاول ان يخمل  
ذكره ، ولا ترضى نفس ابن ابي سفيان ان تكون لعلي تلك السلسلة الطاهرة التي لم  
تنجسها الجاهلية بارجاسها وهو الرسول الأعظم رخيصاً رحماً ، ورضيعاً ابن .  
ومعاوية يعلم نفسه من هو وابن من ، فتمكن بمكره وخدعه ، وجلب  
ما استطاع بخيله ورجله في تركيز هذه الفسكرة ، وما ذنب ابي طالب ولم



يبقى في كنانته سهما إلا رماد في نصرته الدين ، ولكن علياً هو منبع تلك  
المؤاخذات المكذوبة على أبي طالب ، وما ذنب علي إلا أنه على الحق ومعاوية  
على الباطل ، فعداة معاوية لعلي ( عداوة جوهرية يستحيل تحويلها . هي عداوة  
الشر للخير والخبيث للطيب والباطل للحق والسكران للايمان ) .

نشأ مذهب أهل البيت وتكوّن في عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله  
فهو أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام يوم غرس دوحه شريعته الغراء  
جنباً الى جنب وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها ( ص ) يتعاهدها بالسقي والعناية  
حتى تثبت ونمت في حياته ثم اثمرت بعد وفاته حيث كان يتعاهدها أهل بيته  
وخائص أصحابه ، وقد قام كل بما يجب عليه من رعايتها وتحمل ما تحمل من  
نكبات واضطهاد في سبيل حفظها ، وقاوم تلك السطوات التي كانت تحاول القضاء  
عليها لمحو ذكر آل محمد ( ص ) ، وقد وقفوا امام تلك التيارات وقفة اخلاص  
وايمان وثبات على مبدأ الحق ، ولم يأبهوا يوماً ما بسلطة أو سياسة ، ومررت تلك  
الأدوار العصبية المظلمة ولم يزل ذلك الغرس ثابت الجذور نامي الفروع يسقي من  
ماء غير آسن ، حتى أفرعت دوحته وامتدت أغصانه وأينع ثمره بحفيد النبي  
الكريم ووارث علمه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

كان الامام الصادق ( ع ) مشغولاً في تلك الفترة المارة الذكر بث العلوم  
ونشر المعارف الاسلامية ، وقد هيأت له الظروف المواتية ما أمكنه بها أن  
ينشر رسالته في عصر لم يتبياً لامام قبله أو بعده مثلها ، فاقبل الناس على مدرسته  
وازدحموا على أبوابها ينتهلون من علومه ويقتبسون من أنوار معارفه حتى كثر

تلاميذه والمتمون الى مدرسته فكان عددهم أربعة آلاف ، وكثير التأليف في عصره ودون فقه أهل البيت وحديثهم بصورة واسعة حتى أحصي مادونوه في عصره فكان أربعائة مؤلف لاربعمائة مؤلف ممن سمعوا الحديث منه ، فدونوه وعرفت بالاصول الاربعائة (١)

وبالجملة فان الغرض هو بيان ان مذهب أهل البيت لم يكن حادثاً بل أقدم المذاهب نشأة وأثبتهم أساساً وأحقهم دعوة .

وإني لأعجب - وأيم الحق - ممن يتصف بالعلم والمعرفة ويشتهر بالاطلاع الواسع بتدوين تاريخ الحوادث ، ان يجهل هذه الحقائق وتعميه العصبية عن عن الاهتداء لطريق الصواب فيظلم الحقيقة غير منصف ، ويغير الواقع لاغراضه ورغباته النفسية أو تقليده لاسلافه دونما ترو أو بصيرة وقد شذ كثير عن الواقع بتحميلهم على آل البيت ومحاولتهم اطفاء نورهم الساطع بحجاب يشف عما وراءه .

وإني لأعجب كل العجب من رجل اشتهر في التاريخ وأوتن على نقل الحوادث كابن خلدون ، بنسبة مذهب أهل البيت الى الشذوذ حيث يقول في مقدمته :

« وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها ، وفقه انفردوا به ، ونوه على مذاهبهم ، في تناول بعض الصحابة بالقدح » -٢- « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » .

ولم يكن رأي هذا الرجل المشهور في ابتدائه رأياً من عند نفسه أقنعته التجربة ، وأيده العلم بالصحة ولكنه كان من وحي نزعة التعصب الطائفي ، هبط

(١) سيأتي بيان هذه الاصول عند ذكر تدوين الفقه الجعفري .

٢- انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٤ .

عليه شيطانها فصدع به ، اداء لأمانة التبليغ فما كان أعظمه من جرم ، وما اشقى الأمة بالافتناع به ، وقد طبعت مقدمته عدة مرات فلم يلتفت أحد الى التنبيه على هذا الخطأ الفاحش. (١)

ولقد خضع ابن خلدون لمؤثرات العاطفة خضوع العبد لسيدته الجائر وهذه الكلمة هي التي بعثتنا على خوض غمرات البحث والتعرف على المذاهب ، وعوامل انتشارها ، وأسرار نجاح المذاهب الأربعة وأسباب خلودها دون غيرها من مذاهب المسلمين ، فاتضح لنا ان ذلك مستنداً الى دواعي السلطة ، واغراء المادة ، التي من أجلها نسي ابن خلدون نفسه ، فخرى قامه بظلم الحق والحقيقة ، ولا يستبعد ذلك من انسان تربيع على دست قضاء دولة لا ترغب في اظهار فضل آل محمد (ص) اسوة باخواتها التي سارت على ذلك من قبل فهو عبد لسלטانه ، وأسير لسيطانه ، والوقت آمن من صرفه بنقاشه ، وستعرف شخصية ابن خلدون عندما يمر بك ، وكب القضاة. ورأي ابن خلدون هذا لا ينبعث إلا عن جبل ، أو عقل أعمى لا يبصر الحقائق ، فان لم يقتنع هذا المؤرخ الشهير بالقرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في اختصاص آل محمد بمؤهلات تلزم الأمة باتباعهم ، فليقتنع بشهادة التأريخ الذي اشتهر هو به ، إذا جعل القرآن وراء ظهره ، وضرب باحاديث الرسول عرض الجدار ، فيجد هناك مواقف آل محمد في الدفاع عن الاسلام ، وتفانيهم في نشر تعاليمه ، ومحاربة ذوي العقائد الفاسدة ، وقيامهم بتعليم الأمة مستمدين من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بما لا مجال للشك في ذلك ، واسكنه لم يقتنع بكل شيء للعقيدة الارتكازية التي ورثها من الآباء والأمهات ، ولأثر البيئة الاجتماعية ، والاطلاع الدنية . حور الآراء ونقل الحوادث عن غير

(١) وقد رد عليه سيدنا شرف الدين في فصوله المهمة فراجع .

طريق الواقع ، وصيها في قالب رغباته ورغباتهم ، وتساهل في إبداء الحقيقة ، وجعلها في طيات الحفاء والسكتمان .

## في أدوار التاريخ

كانت سيطرة الطبقة الحاكمة تلجىء المفكرين على كبت الشعور وتلجم الألسن عن قول الحق ومن التجأ الى المعارضة فقد عرّض بنفسه الى السخط وجملها هدفاً للنقمة ، وبذلك ضاعت أكثر الحقائق وأثرت تلك السيطرة على سير المسلمين وتقدمهم لعدم الحرية في الرأي والعقيدة كما قرره نظام الاسلام ، ولولا ذلك لما حدثت تلك الحوادث التي أخرت المسلمين ، فقد كان اولئك القوم يلتجئون دائماً الى خلق مشكلات يفرقون بها كلمة الامة ويثيرون الشحناء ويشغلون الافكار لاستخدام الاكثر لمصالحهم الذاتية وقد أجهدوا أنفسهم بربط العقائد في دستورهم الذي يتمشى مع رغباتهم ، وان أهم مشكلة في تاريخ الاسلام هي مشكلة الخلافة أو الاعتقاد بالامامة بانه منصب إلهي كالنبوة . فكما ان الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كمنص من الله عليه فكذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه فالنبي ( ص ) . يبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبي ( ص ) .

وبدون شك أن تلك المنزلة لم تحصل إلا لعلي وولده والامامة متسلسلة في اثني عشر اماماً كما نص النبي ( ص ) على ذلك . ومن المعلوم ان الشيعة لا ترى تلك الخلافة الإلهية لغير علي وبنيه ، ولا يسعنا التعرض لبحث الامامة واسكننا

زريد الاشارة بهذه العجالة الى الادوار التاريخية التي سار فيها شيعة آل محمد (ص) في المحافظة على وصاية النبي (ص) من التمسك بالكتاب والعترة .  
وقد قام أصحاب محمد (ص) في نشر تلك الدعوة في الصدر الأول وتحملوا ما تحملوا في سبيل ذلك ، ومن ذكر الدور الاموي وما لقي فيه آل محمد (ص) وشيعتهم من الاضطهاد والمحنة فلا نتعرض للبيان باكثر من ذلك .  
ويجدر بنا الاقتصار على ذكر العصور والادوار المتأخرة عن ذلك العهد .

— ١ —

كان من نتائج تلك الحركة الفكرية الواسعة النطاق والنهضة العلمية التي ازدهرت في عصر الامام الصادق (ع) هو انتشار مذهب أهل البيت في الأقطار الاسلامية .

وكانت الدولة العباسية في طفولتها تعارض حركة انتشار المذهب من وراء الستار إذ ليس في امكانها التظاهر في المعارضة لأنهم في حاجة ملحة لاستمالة أعيان أهل البيت والاستعانة بزعماء الشيعة لتثبيت أركان الدولة .  
ولم يكن هناك شهرة لأحد سوى الامام الصادق (ع) والتاريخ يدلنا بوضوح على ذلك .

أما مالك بن أنس فقد كان في حياة الامام كأحد رجال المدينة ولم ينتشر ذكره إلا في سنة ٤٨ وهي سنة وفاة الامام الصادق ، وكان ضربه بالسياط واهانتة في سنة ١٤٦ أي قبل وفاة الامام الصادق بأقل من سنتين ، وبعد سنة ١٤٨ وجه المنصور نظره نحو مالك وبرز بتلك العبقرية وأمره أن يضع كتابا يحمل الناس عليه ويوزع نسخا في الامصار ولا يكون غيره .

وكان غرض المنصور في ذلك معارضة انتشار مذهب أهل البيت لأنه  
يشقل عليه تخليد ذكر جعفر بن محمد ﴿ع﴾ وقيام ولده الامام موسى بن جعفر  
بعده والتفاف الناس حوله حتى لقبوه بالعالم وهو هو في زهده وورعه وعلمه ،  
ولم يغيب عن مالك مغزى هذا التكليف فاجابه : يا أمير المؤمنين لاتفعل ، أما  
هذا الصقع فقد كفيته ، وأما الشام ففيه الرجل الذي علمته يعني الاوزاعي ،  
وأما أهل العراق فهم أهل العراق . فكان المنصور يشد أزر الاوزاعي ويراسله  
ويلحظ ماله كما ويواصله حتى ازدحم الناس على باب داره التي أصبحت كأبواب  
دور الملوك ، وبذل جهده بالانتصار الى أهل الرأي يأمل من وراء ذلك كله  
القضاء على مبادئ أهل البيت . ولما اشتد جانب الدولة وقوي ساعدها أظهر  
ما كان يضمه فاعان مقاومة أهل البيت ومعارضة انتشار مذهبهم وشدّد  
النكير على أهله .

وكان المنصور يأمل بالامام ابي حنيفة عندما رعاه بعنايته ونصره وقدّمه  
على كثير من الفقهاء ان يوجد منه شخصية علمية تقف امام تيار مذهب جعفر بن  
محمد ﴿ع﴾ ولكنه قد خاب امه . فهذا الامام ابو حنيفة يصرح للملأ بأنه  
ما رأى أعلم من جعفر بن محمد (ع) وانه أعلم الامة -١- وسأله رجل يوماً عن  
رجل وقف ماله للامام فمن يكون المستحق ؟ فاجاب أبو حنيفة : المستحق هو  
جعفر الصادق لأنه هو الامام الحق -٢- .

وذهبت تلك المحاولات بالفشل ولم يزل المذهب يتسع في الاقطار وينتشر  
في العواصم وكثرت اتباعه رغم تلك المحاولات والخطط التي خطها المنصور ومن

١- جامع أسانيد ابي حنيفة ج ١ ص ٢٢٢

٢- تاريخ العلويين مجد امين غالب ص ١٤٠

بعده المهدي والهادي والرشيدي ، وقد بذل الرشيدي كل ما في وسعه من توجيه انظار الناس عن آل محمد وأظهر تعظيم مالك بن انس فكان يجلس بين يديه تأدبا يتعلم منه العلم ويأمر أولاده وخواصه باحترامه ويقرب الفقهاء وينظر الى الشافعي نظر عطف وحنان لأنه قرشي ، وأرسله الى مصر صحبة الوالي وأمره باحترامه وإكرامه وتقريب أصحابه واعطاه سهم ذي القربى .

وإذا به يعامل اهل البيت بتلك الشدة والقسوة ، من تتبع انصارهم ، والقضاء على من اتهمه في موالاتهم ، حتى ثقل عليه ان يكون علياً رابع الخلفاء ، فحاول ان ينفي ذلك ويعاقب من يثبت به ، قال ابو معاوية : دخلت على هارون الرشيدي فقال لي يا ابا معاوية : هممت انه من اثبت خلافة علي فعلت به وفعلت ، قال : فسكت فقال لي : تكلم قلت ان اذنت لي تكلمت قال : تكلم ، فقالت : يا امير المؤمنين ، قالت تيم منا خليفة رسول الله ، وقالت عدي : منا خليفة خليفة رسول الله ، وقالت بنو امية : منا خليفة الخلفاء ، فابن حظكم يا بني هاشم من الخلافة ؟ والله ما حظكم إلا ابن أبي طالب - ١ - وبهذا استطاع ابو معاوية ان يصرف الرشيدي عن رأيه .

واستعمل في معاملة اهل البيت مالا يستعمله احد وفيه صباية من الانسانية ، سجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام وهو عالم عصره ، ومن له السلطة الروحية ، وضيق عليه حتى قتله بالسم ، وتتبع بقية اهل البيت وشيعتهم ، وطلبهم تحت كل حجر ومدر ، وكان بحكم السياسة العمياء التي لا تعرف إلا غايتها ، ولا تفرق بين الحق والباطل ، ولا ترى سوى السيطرة على الناس فحسب ، باي طريق وبأي نوع كان ، فحمل الناس على العدا لآل محمد ، وحاول قلع بذرة حبهم التي

غرسها الرسول ، وسقاها بماء غديره العذب ، تلك البندرة الطيبة التي اينعت فثمرت  
وجنى ثمرها رجال العلم ، وصلاحه الامه ، رغم تلك المحاولات والجهود الجبارة التي  
بذلها العباسيون يطلبون من وراء ذلك استقرار ملكهم بالوراثة الشرعية ،  
بادعائهم دون آل علي .

دخل شريك القاضي على المهدي . فقال له المهدي ما ينبغي ان تقلد الحكم  
بين المسلمين ، قال : ولم ؟ قال : لخلافك على الجماعة . وقولك بالامامة . فقال :  
اما قولك بخلافك على الجماعة ، فعن الجماعة اخذت ديني . فكيف اخالفهم وهم  
اصلي في ديني ؟ واما قولك بالامامة ، ما اعرف الا كتاب الله وسنة رسوله .  
واما قولك : مثلك ما يقلد في الحكم فهذا شيء انتم فعلتموه ، فان كان خطأ  
فاستغفروا الله منه : وان كان صوابا فامسكوا عليه ، قال ما تقول في علي بن  
ابي طالب ؟ قال : ما قال فيه جدك العباس وعبد الله ، قال : وما قالا فيه ؟ قال :  
فاما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المسلمين  
يسألونه عما ينزل من النوازل ، وما احتاج هو الى احد حتى لحق بالله ، واما  
عبد الله فانه كان يضرب بين يديه بسيفين . وكان في حروبه سيفاً منيعاً  
وقائداً مطاعاً ، فلو كانت امامته على جور ، كان اول من يقعد عنها ابوك لعلمه  
وفقهه في احكام الله ، فسكت المهدي ولم يمض بعد هذا المجلس الا قليلا حتى  
عزل شريكاً .

تغلب المذهب الجعفري على سائر الاقطار الاسلامية ، فقد كان له في  
بغداد من القوة والنشاط ما استطاع ان يقاوم الدولة التي كانت تنظم في اغلب



الأحيان الى جانب خصوم الشيعة ، وكان فيهم من كثرة العدد وعدة القوة ما جعلهم يستطيعون اقامة الشعائر الدينية بدون خفاء وتكتم ، وكانت الدولة تعد هذا التظاهر تهديداً لها وخطراً عليها . وفي أيام المأمون كانت الغلبة للمذهب الجعفري في جميع الاقطار بل امتدت دعوة التشيع الى رجال الدولة أنفسهم فكان منهم الوزراء والامراء ، وقواد الجيش والكتاب ، ورؤساء الدواوين ، الامر الذي دعا المأمون ان يلجىء الى التظاهر في التشيع والميل الى العلويين ، لأنه خشى على زوال ملكه فدعا الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى البيعة ، وتنازل له عن العرش ، ولكن الامام رد هذه الدعوة .

وقبل ولاية العهد بعد أخذ ورد ، واكثر المأمون عقد المجالس للمناظرة في الامامة وقد نجح بما دبره في سياسته ودهائه ، إذ استمال قلوب الشيعة وامن ثورة العلويين المتوقعة .

وفي ايام المعتصم التجأ الشيعة الى التكتّم نوعاً ما ، ونراهم يخرجون على الدولة بعدة كالة ، وقوة لم تستطع الدولة لمعارضتهم ، وذلك عندما استخرجوا جنازة الامام الجواد عليه السلام عندما حاول دفنه سرّاً ، ولا يسمح لأحد في تشييعه ، والسكن الشيعة خرجوا بذلك الموكب المهيب ، والسيوف على عواتقهم ، فشيّعوا جنازة الامام رغم معارضة السلطة .

واشدد الأمر وعظمت المحنة في ايام المتوكل العباسي فكان بغض علي وشيعته يأكل قلبه كما تأكل النار يابس الخطب ، وكان لا يذوق طعم الراحة ولعلي ذكر في الوجود ولشيعته مجتمع زاهر بالعلم محتفظ بكرامته ، مستقل بمواهبه منفصل عن الدولة ، وتتبع العلويين وحط من كرامة أهل البيت ولم يسمح لأي احد ان يذكرهم بخير . ولما حدث نصر بن علي الجهضمي بحديث عن النبي (ص)

انه اخذ بيد الحسن والحسين وقال : ( من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة ) ، فامر المتوكل بضربه الف سوط الى ان كلفه جعفر بن عبد الواحد بان نصره لم يكن شيعياً وانما هو من اهل السنة ، فضرب خمسمائة سوط وعفي عن الباقي -١-

يحدثنا المقرئزي : ان يزيد بن عبد الله امير مصر ، امر بضرب جندي تاديباً لشيء صدر منه ، وكان عقابه خفيفاً ، وعندما احس الجندي بالأم الضرب ، اقسم على الامير بحق الحسن والحسين ان يعفوه عنه ، فامر الامير بضربه ثلاثين سوطاً جزاءً لهذا القسم ، وكتب الى المتوكل في بغداد يخبره بخبر الجندي فورد الكتاب على يزيد يأمره بضربه مائة سوط وحمل الى بغداد -٢- . ولو يدري لأي حال انتهت حاله ولعل النطع والسيوف كانت خاتمة المطاف .

وامر بضرب احمد بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم الف سوط ، لاتهمه بسب الشيخين حتى مات . قال في الحضارة الامية نقلاً عن المنتظم : وكانت الحكومة اذا ارادت ان تعاقب شيعياً لمذهبه لم تذكر اسم علي بل يجعل سبب العقوبة انه شتم ابا بكر وعمر -٣-

وما اكثر من عوقب بهذه المادة بدون تطبيق . ولكن انصار المتوكل وحزبه الذين يرون البغض لعلي وشيعته تقربهم اليه زلفاً . نالوا بذلك اربهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة .

والغرض ان المتوكل اشتد في العداة لاهل البيت والنيل منهم .

١- الخطيب ج ٢ ص ٢٨١ .

٢- الخطيب ج ٤ ص ١٥٣ .

٣- سيأتي زيادة بيان في هذا الموضوع .

واستقدم ابا الحسن الهادي عليه السلام من المدينة الى سامراء في سنة ٢٣٦ وعامله  
بالشدة والأذى وتوصل المنجرفون عن آل علي الى اساءة الامام الهادي فسعوا به  
الى المتوكل وأخبروه ان في منزله سلاحا وكتباً من شيعته فهجموا عليه داره ليلاً  
ولم يعثروا على أي شيء من ذلك وما زال الامام الهادي مقياً في سامراء الى أن  
مات مسموماً سنة ٢٥٤ وكانت مدة اقامته فيها ١٨ سنة .

— ٣ —

مرت الأدوار ، وتعاقبت السنين ، والشيعية يلاقون الأذى ويخوضون  
غمار الحروب ويواجهون المضاعف ويتجرعون من ولادة الأمر ضرور الحن ،  
كل ذلك في سبيل نصره آل محمد ( ص ) ونشر مذهبهم على وجه البسيطة  
ومادفعهم الى تحمل ذلك إلا حبيهم لآل محمد ( ص ) وامثالهم لأوامره صلى الله  
عليه وآله في المحافظة عليهم ووصاياه المتكررة في اتباعهم . ولقد بذل الشيعة كما  
في وسعهم لنصرة أهل البيت الذين عنهم يأخذون معالم دينهم ، وكانوا في هذه  
الادوار يتصلون بمدرسة أهل البيت مهاكفهم الأمر ، فلا يقعد بهم خوف ظالم  
ولا تحول دونهم ودون الاتصال بهم تلك الارهابيات التي اتخذها اعداء آل محمد (ص).  
وسيلة لفصل الأمة عنهم ، فهم من زمان علي ( ع ) الى زمان الامام الحسن العسكري  
يأخذون عنهم معالم الدين الى ان وقعت الغيبة الصغرى . وسيأتي بيان ذلك عند  
ذكرنا للنهضة العلمية عند الشيعة بعد عصر الأئمة ( ع ) وكان الامام العسكري  
قد جلبه المتوكل مع أبيه علي الهادي الى سامراء ، وما زال مع أبيه الى ان التحق  
أبوه بالرفيق الأعلى وبقي مدة إمامته القصيرة في سامراء ست سنين في زكده  
وأذى ، وانفرد بعد أبيه بما يقصده به العباسيون من الاساءة والغضب من مقامه

والتضييق عليه والسجن الى ان اغتاله المعتمد العباسي بالسهم ، وقبض في سامراء  
لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٦٠ ودفن مع أبيه في دارها حيث قبرها الآن ،  
وكان عمره الشريف ثمان وعشرين سنة .

وفي ذلك العهد كان مذهب أهل البيت ينتشر في البلاد الاسلامية  
وأصبحت قم من عواصم العلم للشيعة وفيها من الرواة عن أهل البيت عدد  
كثير ، ومن المؤلفين في الحديث والفقه وفنون العلم جم غفير ، وكذلك الكوفة  
وبغداد والمدائن وسامراء والشام عاصمة الامويين كما سيأتي بيانه .

وإن تمسك الشيعة بمذهب أهل البيت، لا لتحزب أو تعصب ، ولا لظن  
في مذاهب المسلمين أو حط في كرامة أحد من أئمة المذاهب والسكن الأدلة  
الشرعية أخذت باعناقهم، لوجوب الأخذ بمذهب أهل البيت لحكم الأدلة القاطعة  
وتعبداً بسنة سيد النبيين ( ص ) . ولو وجدوا طريقاً للأخذ عن غيرهم لاتبعوه ،  
ولم يتحملوا المحن في سبيل اتباعهم والسكن لا طريق الى ذلك بل وجدوا الحق  
معهم والحق أحق أن يتبع ، ولأنهم عليهم السلام كانوا يمثلون الرسول ( ص )  
في خلقه وهديه وورعه وزهده . فهم عدل القرآن متكاتفين معه يمثلون أوامره  
ويسارعون الى تنفيذه ، واطلعوا على أسرار أحكامه ودقائق أطواره والقرآن  
قد اشاد بفضائلهم .

ولقد بذلوا جهدهم في تعاليم الناس، وبذلوا لهم النصيح ليرشدوهم الى طرق  
السعادة ، وقد نشروا العلم والعدل وقاوموا الجهل والظلم ، وليس هذا مجرد فرض  
وانما هو أمر واقع وحقيقة ظاهرة لا يمكن انكارها ، ووجد الناس فيهم أئمة  
هدى « لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وهم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام  
بهم عاد الحق الى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه عقولوا الدين عقل وعاية ورعاية

لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاه قليل .  
وهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومببط الوحي ولم تسمح الادلة  
بمخالفتهم والأخذ عن غيرهم .  
وقد صرح النبي صلى الله عليه وآله بوجود اتباعهم والتمسك بهم في  
مواطن عديدة .

أخرج الطبراني في مسنده بالاسناد الى ابن عباس قال قال : رسول الله  
صلى الله عليه وآله : « من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنه عدن  
غرسها ربي فليتول علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد باهل بيتي من بعدي  
فانهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل لكذابين بنضاهم من  
امتي القاطعين صاتي لا اناهم الله شفاعي » - ١ -

وقال صلى الله عليه وآله : « في كل خلف من امتي عدول من أهل  
بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين ،  
ألا وإن أمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون » - ٢ -

وقال صلى الله عليه وآله : « فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم » .  
وقال صلى الله عليه وآله : « اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من  
الجسد ومكان العينين من الرأس ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين » - ٣ -

وقال صلى الله عليه وآله : « اوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن  
أبي طالب فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني

١- أخرجه أحمد في مسنده .

٢- أخرجه ابن حجر في صواعقه .

٣- أخرجه جماعة من الحفاظ عن أبي ذر الغفاري .

ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله .

وقال صلى الله عليه وآله : « اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن ابي طالب فان ولايته ولايتي وولايتي وولاية الله » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال : قال رسول الله ( ص ) : ما أنزل الله آية وفيها « يا أيها الذين آمنوا » إلا وعلي رأسها وأميرها . وأخرج عن حذيفة قال : قالوا : يا رسول الله ألا تستخلف علياً ؟ قال : إن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم - ١ - وأخرج بطريق آخر عنه صلى الله عليه وآله : إن تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلمين ، تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء ، وأخرج النسائي في الخصاص من طريق عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ما تريدون من علي ؟ إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي - ٢ - وأخرج أيضاً من طريق أم سلمة قالت : سمعت رسول الله يقول : من سب علياً فقد سبني - ٣ - وأخرج عن حبشي بن جنادة السلوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي مني وأنا منه فلا يؤذي عني إلا أنا أو علي .

وأخرج الحاكم من طريق أبي ذر عن النبي انه قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني » .

١- ج ١ ص ٦٤

٢- انظر الخصاص ص ٣٢ ط مصر

٣- نفس المصدر ص ٢٤ .

وأخرج أيضاً من طريق أبي ثابت مولى أبي ذر عن أم سلمة عن النبي (ص) انه قال : « علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » -١-

وعن ابن عباس قال كنا نتحدث ان اقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة : قال : قال عمر بن الخطاب : لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لاين تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن اعطي حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله (ص) وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحل فيه ما يحل له .

وأخرج الحاكم أيضاً قال : كنا مع رسول الله فانقطعت نعله فتخلف علي يخفضها فمشى قليلاً ثم قال : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر قال أبو بكر : أنا هو ؟ قال : لا ، قال عمر : أنا هو ؟ قال : لا ، ولكن خاصف النعل يعني علياً فاتيناه وبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه سمعه من رسول الله (ص) -٢-

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : فإين تذهبون وأني تؤفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فإين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فانزلوهم منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاشي . أيها الناس خذوها من خاتم النبيين إنه يموت من مات منا وليس بميت ، ويلى من يلى منا وليس ببال ، فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تسكرون ، واعذروا من لاحجة لكم عليه وانا هو ، ألم أعمل

١- انظر المستدرک ج ٢ ص ١٢٢

٢- نفس المصدر وهذه الأحاديث طرق كثيرة ذكرها الحفاظ أعرضنا عن ذكرها

فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر ، وركزت فيكم راية الايمان ؟  
وقال عليه السلام : انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم  
فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى ، فان لبدوا فالبدوا ، وان نهضوا  
فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا .  
وأخرج الحاكم عن الكنعاني قال سمعت ابا ذر يقول وهو آخذ بياب  
الكعبة : من عرفني فقد عرفني ومن انكرني فانا ابو ذر . سمعت رسول الله يقول  
مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تأخر عنها غرق .  
فالأخذ عن أهل البيت بموجب هذه النصوص وغيرها التي لا يسعنا  
حصرها لازم شرعاً والرجوع لغيرهم لا يحصل معه صحة العمل .  
ونحن مع احترامنا للمذاهب الأربعة ، لا نستطيع أن نتخطى أوامر  
الرسول في اتباع آله ووجوب الأخذ عنهم ولنا بحديث الثقلين ، وحديث الغدير  
وآية التطهير ، وآية الموالاة (١) كفاية لبراءة الذمة وصحة العمل بمذاهبهم (ع)  
ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من أهل البيت أو تمكنا من تحصيل نية القرية  
في مقام العمل على مذهب غيرهم لاتبعناه ، على انه لا دليل للجهور في رجحان  
شيء من مذاهبهم فضلاً عن وجوبها .

كيف وأئمة المذاهب أنفسهم قد أخذوا عن أهل البيت ، وجعلوا ذلك  
فخراً لهم وسبباً لنجاتهم فهذا الامام ابو حنيفة كان يأخذ باقوال علي ، حتى جعلوا

---

(١) أخرج الطبراني في الاوسط عن عمار بن ياسر قال وقف على علي سائل وهو  
راكم في تلوع فاعطاه خاتمه فنزلت « إنما وايسكم الله ورسوله والمؤمنون » الآية وأخرج  
السيوطي عن ابن عباس انها نزلت في علي وابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله  
وأخرج أيضاً عن علي (ع) وأخرج ابن جرير مثله ولهذا شواهد كثيرة لا يمكن انكارها .



ذلك من مرجحات مذهبه على غيره من المذاهب لقول النبي صلى الله عليه وآله :  
« انا مدينة العلم وعلي بابها » (١) ذكر ذلك المقدسي في أحسن التقاسيم ، وكان  
ابو حنيفة يفتخر بالاخذ عن الصادق ( ع ) ويقول : « لولا السنتان  
لهلك نعمان » .

ونرى مالك بن انس هو أحد تلاميذ الصادق ، وعنه أخذ الشافعي واخذ  
أحمد بن حنبل عنه وكان الشافعي لا يروي إلا عن علي لذلك أتموه بالتشيع  
فافتخر بذلك قائلاً :

أنا الشيعي في ديني وأصلي بمكة ثم داري عسقاية  
باطيب مولد وأعز فخر وأحسن مذهب يسمو البرية -٢-  
ورماه يحيى بن معين بالرفض وقال طالعت كتابه في السير فوجدته لم  
يذكر إلا علي بن ابي طالب وقد أظهر الشافعي ذلك في قوله :

يارا كبا قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض  
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض  
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي -٣-

وكذلك الامام أحمد كان يفضل علياً على الصحابة ، وسئل يوماً عن أفضل  
أصحاب رسول الله ﷺ فقال ابو بكر ثم عمر ثم عثمان قيل فعلي ؟ قال : سألتهموني  
عن اصحابه وعلي نفس محمد الى غير ذلك مما يطول ذكره ، على اننا نجد اهل  
المذاهب متفرقين كل يذهب الى رجحان مذهبه وبطلان غيره ، ويقدم كل فريق أدلة

(١) لهذا الحديث طرق كثيرة يتجاوز عددها المائة .

-٢- مناقب الشافعي للفخر الرازي ص ٥١ .

-٣- نفس المصدر .

للغلبة على الآخر ولسنا بصدد البحث عن ذلك ولسكن الغرض ان اخذ الشيعة عن أهل البيت انما هو لدلالة الكتاب والسنة ولا يرون صحة الأخذ باصول الدين وفروعه إلا عنهم ، فهم سفن النجاة وأمان الامة وباب حطة من دخله كان من الآمنين ، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، واحد الثقيلين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من ضل عن أحدهما .

وقد أشرنا للاسباب التي دعت لمقاومة مذهبهم من قبل ذوي النفوذ والسلطة باوهم حاولوا تركيزها بدون اقامة دليل شرعي ، ولا برهان عقلي . وقد سرت تلك الامور المرجحة يتلقفها السذج فم عن فم ويتوارثها جيل عن جيل كقضية مسلمة ، والحق انها شبه وأوهم تناقلتها الالسن وساعدها الظروف والأحوال فصعب هجرها .

ومع هذا كله فان تلك المحاولات لم تقف موقف النجاح فقد انتشر المذهب بصورة واسعة النطاق كما سيأتي بيانه .

وهنا أمر آخر لا بد من توضيحه : هو ان تلك المعارضات التي اجهد الساسة انفسهم في تركيزها ، ووازرهم على ذلك مرتزقة باعوا ضمائرهم بالجس الثمن ، إنما كانت بعيدة كل البعد عن الواقع ، ولا تجد من اولئك المتشدقين بدم الشيعة والخط من كرامة اهل البيت من اقام دليلاً منطقياً يستطيع أن يؤيد قوله ، وإنما هم يتحمسون ويهرجون ، والحقيقة بعيدة عنهم ، والدين يتبرأ مما قالوا ونسبوا الى الشيعة اموراً كثيرة ، لا يسعنا عرضها الآن ، حتى انهم نسبوه الى القول بالوهية الائمة ، وهذا نهاية الحق وغاية الجنون ، وان الاعتدال في القول خير من التهور ، ومن اعتدل فكره اعتدل قوله .

من اين أخذوا ذلك عن الشيعة وبأي دليل يثبتونه . نعم حملهم بغض

الشيعة والتحامل على أهل البيت بأن يجملوا فرق الغلاة عليهم وحاولوا ربط عقائدهم بعقائد الشيعة ، مع الفرق البين وعدم امكان الارتباط ، ولكنهم ظاموا الحقيقة ، وتجرأوا على مقام أهل البيت بنسبة الغلاة الى اتباعهم وهنا يلزمنا التعرض لذكر موقف الأئمة من التبري من هذه النسبة ومعاملة الشيعة لتلك الفرق .

\* \* \*

إن أعظم شيء على الشيعة هو حمل تلك الفرق عليهم وانضمامها اليهم عندما ازرتهم السياسة وسهلت لهم الطرق ليصلوا الى غايات في نفوسهم من تحطيم الشيعة والخط من كرامة أهل البيت إذ كانوا لا يستطيعون أن يناووا من عقائدهم أو ينقصوهم بشيء والأمر واضح كل الوضوح من أن مذهب أهل البيت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتعاليمهم هي المحور الذي يدور عليها نظام الاسلام .

فكان دخول الغلاة في صفوف الشيعة حركة سياسية أوجدتها عوامل من جهة والفتك بالاسلام من جهة اخرى ، لأن دخول الغلاة في الاسلام كان انتصاراً لبادئهم إذ لم يجدوا طريقاً للانتقام منه والتشفي من أهله وعجزوا عن مقابله بالقوة وجهاً لوجه وانهمزوا أمام قوم وطأوا أرضهم بأقدام لا تتأخر خطوة الى الوراء أما الموت أو الفتح . فاذلوا عزيزهم وأسروا ذراريهم وأخذوا منهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

وقد عاجل أهل البيت هذه المشكلة الخطرة وعرفوا الدوافع التي دعت هؤلاء الكفرة الى الانتحاق بصفوف الشيعة واتضح لهم غايات خصومهم الذين يريدون أن يوقعوا بهم المكروه فكان أهل البيت عليهم السلام يعلنون للملأ

البراءة من الغلاة وجاهروا في لعنهم وامروا شيعتهم بالتبري منهم والابتعاد عنهم ، وتلقى الشيعة تلك الأوامر الشريفة بالقبول والامثال فاعلنوا البراءة وملاؤوا كتبهم من التبري منهم ، وافتوا بجرمة مخالطتهم واجمعوا على نجاستهم وعدم جواز تغسيل ودفن موتاهم وتحريم اعطائهم الزكاة ، ولم يجوزوا للغالي ان يتزوج المسلمة ولا المسلم ان يتزوج الغالية ولم يرثهم من المسلمين وهم لا يرثون منهم .

وكان الامام الصادق عليه السلام يلعن المغيرة بن سعيد ويصرح بكذبه وكفره ولعن ابا الخطاب واصحابه وجميع الدعاة لتلك الدعوة الفاسدة . وكان هذا الاعلان من الامام الصادق (ع) قد اوقف سريان دائها القاتل ولم يبق من تلك الفرق إلا الاسم في التاريخ وبادت بمدة قصيرة .

وقال عليه السلام ، لمرآزم : قل للغالية توبوا الى الله فانكم فساق كفار مشركون . وقال له : اذا قدمت السكوفة فات بشار الشعيري وقل له يقول لك جعفر بن محمد : يا كافر يا فاسق انا بريء منك . قال مرآزم : فلما قدمت السكوفة قلت له يقول لك جعفر بن محمد : يا كافر يا فاسق يا مشرك انا بريء منك ، قال بشار : وقد ذكرني سيدي قلت : نعم ذكرك بهذا ، قال جزاك الله خيراً .

ولما دخل بشار الشعيري على ابي عبد الله الصادق قال له : اخرج عني لعنك الله والله لا يظلني واياك سقف ابدا ، فلما خرج قال عليه السلام : ويله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد انه شيطان بن شيطان خرج ليغوي اصحابي وشيعتي فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب اني عبد الله وابن امته ضمتني الاصاب والأرحام ، واني لميت ومبعوث ثم مسؤول .

وكتب الامام الحسن العسكري عليه السلام ابتداء منه الى احد مواليه :  
يني أبرء الى الله من ابن نصير الفهري وابن باب القمي فأبرأ منهما ، واني محذرك

وجميع مواليّ ومخبرك اني الغنم لعنة الله ، يزعم ابن بابا اني بعثته نبيا وانه باب ،  
ويله لعنه الله سخر منه الشيطان فاغواه فلعن الله من قبل منه يا محمد إن قدرت أن  
تشدخ رأسه فافعل .

وقال الامام الصادق عليه السلام: لعن الله عبد الله بن سبأ انه ادعى الربوبية  
في أمير المؤمنين عليه السلام وكان والله امير المؤمنين قد عبد الله طائعا ، والويل  
لمن كذب علينا اني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي لقد  
ادعى أمراً عظيماً ماله لعنه الله ، كان علي والله عبد الله صالحاً مانال الكرامة من  
الله إلا بطاعته لله ولرسوله وما نال رسول الله الكرامة من الله إلا بطاعته لله .

وقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام يوماً لاصحابه : لعن الله المغيرة بن  
سعيد ، لعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها الشعر والشعبذة والخاريق ،  
ان المغيرة كذب على ابي ، وان قوما كذبوا علي ما لهم ! اذاقهم الله حر الحديد ،  
فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما تقدر على ضر ولا نفع إلا بقدرته ،  
ان رحمتنا فبرحمته وان عذبتنا فبذنوبنا ، ولعن الله من قال فينا : ما لا نقول في أنفسنا ،  
ولعن الله من أزلنا عن العبودية لله الذي خلقنا واليه ما بنا ومعادنا ويده نواصينا .  
وقال عليه السلام : ان ابا منصور كان رسول ابليس : لعن الله ابا منصور  
قالها ثلاثاً .

وقال عليه السلام : إنا اهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب  
علينا عند الناس يريد ان يسقط صدقنا بكذبه علينا ، ثم ذكر المغيرة وبزيع  
والسري و ابا الخطاب ، ومعمرو و بشار الاشعري و حمزة اليزدي و صائد النهدي ،  
فقال : لعنهم الله اجمع وكفانا مؤنة كل كذاب .

وعن حمويه قال : كنت جالسا عند ابي عبد الله وميسرة عنده فقال له

ميسرة : جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون الى هذا الموضع فانقطعت اخبارهم  
وأثارهم وفنيت آجالهم ، قال عليه السلام : ومن هم قلت ابو الخطاب واصحابه ،  
فقال عليه السلام وكان متسكماً ورفع بنظره الى السماء : على ابي الخطاب لعنة الله  
والملائكة والناس اجمعين ، فاشهد بالله انه كافر فاسق مشرك وانه يحشر مع  
فرعون في اشد العذاب وذكر عنده اصحاب ابي الخطاب والغلاة فقال عليه السلام :  
لا تقاعدوهم ، ولا تواركوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تصافوهم ولا توارثوهم وقال  
عليه السلام : ان من الغلاة من يكذب حتى ان الشيطان يحتاج الى كذبه .  
وقال عليه السلام : ان قوماً يزعمون اني لهم امام والله ما انا لهم امام ،  
ما لهم لعنهم الله ! أقول كذا ويقولون كذا ، انما انا امام من اطاعني ومن قال باننا  
انبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله - ١ -

هؤلاء هم الغلاة الذين حاول خصوم آل محمد الحاقهم بالشيعة لغاية الحط  
من كرامة المبدء وليظروهم للملأ بابشع المظاهر وأشنعها ، ويعلموا للعالم ان الشيعة  
يعتقدون في الأئمة الألوهية ، فلا يصالح عدوم من المسلمين فتراق بذلك دماؤهم  
وتنهب أموالهم ، وكم حدثنا التاريخ عن تلك الفضايع السود ومن أراد ان يعرف  
موقف الشيعة من طوائف الغلاة فاليرجع الى كتاب روض الجنان للشهيد الثاني  
المتوفى سنة ٩٩٦ ، ونهج المقال للمرزا محمد الاستربادي المتوفى سنة ١٠٢٦ والانتصار  
للسيد المرتضى سنة ٤٣٦ ، والتهذيب للشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ ، والسرائر  
لابن ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ والمتهى ، ونهاية الأحكام ، والتذكرة والقواعد ،  
والتبصرة للعلامة الخلي المتوفى سنة ٧٢٦ والبحار للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١١١  
والدروس للشهيد الأول المتوفى سنة ٧٨٦ ، وجامع المقاصد للشيخ علي السركي

المتوفى سنة ٩٤٠ والشرايع والمعتبر والنافع للمحقق ابي القاسم الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦ والجواهر للشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٢٦٦ وغيرها من آلاف الكتب الفقهية التي تنص باجماع على كفر الغلاة ونجاستهم وبعدهم عن الدين ولا رابطة بينهم وبين الشيعة .

كما ان كتب الرجال طائفة بدمهم والتبري منهم ومن معتقداتهم ، ويلعنونهم بلغة واحدة ، وأخف عبارة تقولها كتب الشيعة في حق عبد الله بن سبأ ، ويكتفون عن ترجمة حاله عند ذكره في حرف العين هكذا : عبد الله بن سبأ العن من ان يذكر فاملنا بابناء المستقبل ان لا يركنوا الى الأوهام والباطيل وان يطلبوا الحقيقة فالعلم يطالب منهم اداء رسالته والحق يدعوهم الى مؤازرته فقد آن ان تباط عن العيون نظارات التعصب التي منعها رؤية الحق وبرزت الواقع معكوساً إذ هي كعدسة المصور فليعتدل الكتاب عن هذه السيرة الملتوية وليغيروا خططهم ولغتهم في معاملة الشيعة ولا يلتفتوا لأوضاع تلك العصور المظلمة التي جنت على الاسلام جنابة لا تغفر ، وملاؤا القلوب بالاحقاد والضعائن ونسبوا مبدأ التشيع الى عبد الله بن سبأ اليهودي وطعنوا بذلك على اصحاب محمد صلى الله عليه وآله الذين عرفوا بتشيعهم لعلي ويتجاوز عددهم المآت وغيرهم ممن تنكتم جرياً للظروف ومتابعة الأحوال على ان كلمات اللغويين والمفسرين قد اجمعت على ان معنى الشيعة هي الموالاتة لعلي إذ أصبح علماء في ذلك .

اما عبد الله بن سبأ ، ذلك اليهودي الذي دخل في صفوف المسلمين لبث روح الفرقة فقد تبرأت الشيعة منه ، إن كان له وجود في الوجود ، وإلا فهو في الواقع اسطورة وضعها خصوم الشيعة ، كما ذهب اليه اكثر رجال الفكر من العصر الحاضر وفي طليعتهم معالي الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى

واليك ما يقوله الاستاذ كرد علي في خطط الشام في كلمته حول الشيعة  
ونسبة عبد الله بن سبأ اليهم :

عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله  
عليه وآله مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين  
والإيتمام لعلي بن ابي طالب والموالاة له ، ومثل ابي سعيد الخدري الذي يقول  
أمر الناس بمحس فعلوا باربع وتركوا واحدة ولما سئل عن الاربعة ، قال : الصلاة  
والزكاة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية  
علي بن ابي طالب قيل له : وإنما المفروضة معين ، قال : نعم هي مفروضة معين ،  
ومثل ابي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذو الشهادتين وخزيمة  
ابن ثابت وابي ايوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد  
ابن عباد .

واما ما ذهب اليه بعض الكتّاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة  
عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن  
علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علماءهم  
في الطعن فيه بلا خلاف بينهم فيه علم مبلغ هذا القول من الصواب ، ولا ريب في أن  
أول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد المتشيع له انتهى . - ١ -

ويقول الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله :

اما الشيعة الامامية فيبرأون من تلك الفرق براءة التحريم على أن تلك  
الفرق لا تقول بمقالة النصارى بل خلاصة مقاتلتهم بل ضلالتهم : ان الامام هو الله  
سبحانه ظهوراً واتحاداً أو نحو ذلك مما يقول به كثير من متصوفة الاسلام



ومشاهير مشائخ الطرق . وقد ينقل عن الحلاج والسيكياتي والرفاعي والبدوي وأمثالهم من السكيات - وان شئت فسمها كما يقولون شطحات - ما يدل بظاهره على ان لهم منزلة فوق الربوبية ، وان لهم مقاما زائداً عن الالوهية ( لو كان ثمة موضع لمزيد ) وقريب من ذلك ما يقول به أرباب وحدة الوجود أو الموجود . أما الشيعة الامامية وأعني بهم جمهرة العراق ويران وملايين المساميين في الهند ومئات الالوف في سوريا والافغان فان جميع تلك الطائفة من حيث كونها شيعة يبرؤن من تلك المقالات ويعدونها من أشبع الكفر والضلالات وليس دينهم إلا التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق أو ملاسبة لهم في صفة من صفات النقص والامكان والتغيير والحدوث وما ينافي وجوب الوجود والقدم والأزلية الى غير ذلك من التنزيه والتقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الحكمة والكلام من مختصرة أو مطولة .

ولا حاجة بنا الى اطالة البحث عن فرق الغلاة وبراءة أهل البيت منهم وحكم الشيعة بتكفيرهم وبهذا القدر كفاية .

واستطيع الجزم بان هذه الامور لم تخف على اولئك القوم الذين أصبحوا يتجهمون على الشيعة بالطعن في عقائدهم ، إذ نسبوا هذه المقالات الفاسدة التي يقول بها الغلاة اليهم . نعم انهم يعرفون الامر ولكن الحق مر لا يمكن ان تتقبله أذواقهم ، ولقد أعجزهم الأمر عن مؤاخذه الشيعة والطعن في عقائدهم عندما وجدوا طرق المؤاخذات امامهم مغلقة فلا يستطيعون منها النفوذ الى مقاصدهم فالتجأوا الى هذه الخرافات والأباطيل التي لا تثبت أمام التدقيق والتحقيق كيف يستطيعون مؤاخذه الشيعة ومنهم صحابة الرسول والتابعين لهم باحسان كابي ذر الغفاري وعمار بن ياسر ، وجارية بن قدامه ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ،

وحذيفة بن اليان ، وسلمان الفارسي ، وصعصعة بن صوحان ، والمقداد  
الكندي ، وغيرهم .

ولعمري انهم ارادوا الطعن على اصحاب محمد (ص) فسلكوا لذلك  
طريق الطعن على التشيع . واليك عبارة أحد كتاب العصر عند ذكره لعبد الله  
ابن سبأ ونسبة ظهور التشيع اليه ، يقول : ان هذا الشيطان هو عبد الله بن سبأ  
من يهود صنعاء ، وكان يبث دعوته بخت وتدرج ودهاء ، واستكثر اتباعه  
بآخرين من البلاء الصالحين المتشددين في الدين المنتطعين في العبادة الى أن  
يقول : وعنا بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل وأعيان المدن الذين اشترك  
آباؤهم في الجهاد والفتح فاستجاب له من بلاء الصالحين وأهل الغلو من المنتطعين  
جماعات كان على رأسهم في الفسطاط الفاقعي بن حرب العكي وعبد الرحمن بن  
عديس البلوي ، وكنانة بن بشر بن عتاب وعبد الله بن زيد بن ورقاء الخزاعي  
وعمر بن الحمق الخزاعي ، وعروة بن النباع الليثي وقتير السكوني . وكان على  
رأس من استغواهم ابن سبأ في الكوفة عمرو بن الأصم وزيد بن صوحان العبدي  
والاشتر بن مالك بن الحارث النخعي وزيد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم .  
ومن البصرة حرقوص بن زهير السعدي وحكيم بن جبلة العبدي  
وذريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش .  
اما المدينة فلم يندفع في هذا الأمر من أهلها إلا ثلاثة نفر . محمد بن ابي بكر  
ومحمد بن حذيفة وعمار بن ياسر - ١ -

هكذا يقول ونبرأ الى الله مما يقول ليت شعري أي جرأة أعظم من  
هذه الجرأة على أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ووصفهم بهذه الصفة بأنهم

مخدوعين بدعوة ذلك الشيطان واستجابوا لما جاء به هذا اليهودي وهم خريجوا  
مدرسة محمد ( ص ) واتباع الحق ولكن الشيطان استغوى هذا الكاتب فجاء  
بهذا الافك العظيم إذ نسب أصحاب محمد ( ص ) الى اتباع ابن سبأ في أضاليله  
وأخذهم بأباطيله وما هو باول من افترى على الامة ، وأمثاله كثير من دعاة الفرقة  
ومحبي الفتنة .

« ومن الناس من يجادل بغير علم ويتبع كل شيطان مريد

كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير »

## من فقه المذاهب

يقول المقدسي في أحسن التقاسيم : اعلم ان الناس قد عدلوا عن مذهب أبي حنيفة في أربع ، صلاة العيدين إلا بزبيد ، وصدقة النخيل ، وتوجيه الميت عند الموت ، والتزام الاضحية .

وعدلوا عن مذهب مالك في أربع ، الصلاة قدام الامام إلا بالمغرب ويوم الجمعة بمصر ، وفي أكل لحوم السكلاب إلا بمدينة نينين بالمغرب تباع جهراً وتطرح في عرائس مصر ويثرب سرآء ، وفي الخروج من الصلاة بتسليمة واحدة .

وعدلوا عن مذهب الشافعي في أربع : الجهر بالبسملة إلا بالمشرق في مساجد أصحابه وكذلك القنوت بالنجر وفي احتضار النية في تكبيرة الافتتاح وفي ترك القنوت في الوتر .

وعدلوا عن مذهب داود في أربع تزويج ما فوق الاربع واعطاء الاثني النصف ، ولا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، وفي مسألة العول .

وعدلوا عن أصحاب الحديث في أربع المتعة في الحج والمسح على العمامة وترك التيمم في الرمل وانتفاء الوضوء في القهقهة .

وعدلوا عن مذهب الشيعة في أربع ، المتعة ووقوع طلاق الثلاث واحدة والمسح على الرجلين والحيعة في الأذان .

وتلك المسائل التي عدلوا فيها عن المذاهب موجودة في كتب الفقهاء ، ولا حاجة بنا الى التعرض لذكرها لأننا قد أفردنا بحثاً خاصاً بالفقه وسيأتي ،

نعم الشيء المهم هو النظر في هذه المسائل التي يقول بعدول الناس عنها في المذهب الجعفري فهل هي بدعة فتركها الناس أم انها من المسائل المقررة في أحكام الاسلام ؟

## ١ - المتعة

اما عدولهم عن متعة النساء فانما هو عدول عما شرعه الله ورسوله للمسلمين وعمل به أصحابه من بعده مدة خلافة ابي بكر وشطراً من خلافة عمر وهم مستمرين على العمل بها حتى نهى عنها بقوله « متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وانا نهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ومتعة النساء » فإباحة المتعة مقطوع به على عهد النبي (ص) وادعاء النسخ لذلك الحكم لا يثبت .

وكان ابن عباس حبر الأمة يأمر الناس بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها فذكر ذلك جابر فقال : على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال : ان الله كان يحل لرسوله ماشاء بما شاء فأتوا الحج والعمرة وابقوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجته بالحجارة .

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه عن ابي نضرة قال : كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال : إن ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله ، ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما .

وقد ذهب الى القول بها جماعة من أصحاب النبي (ص) كأمر المؤمنين علي عليه السلام كما روي عنه انه قال : لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زني إلا شقي . ومنهم عبد الله بن عباس وكان يقول ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله

بها امة محمد (ص) لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج الى الزنا الاشقي .  
ومنهم عبد الله بن عمر ، أخرج الامام أحمد في مسنده من حديث  
عبد الله بن عمر قال : سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء فقال : والله ما كنا  
على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مساخين .

ومنهم عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزوا مع رسول الله (ص) وليس  
لنا شيء فقلنا الا نستخصي ؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننتكح المرأة  
بالثوب الى أجل . ثم قرأ عبد الله « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا مليات  
ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » -١-

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع انه قال كنا  
في جيش فاتانا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انه قد أذن لكم ان تستمتعوا  
فاستمعوا -٢- .

وعلى أي حال فان تشريع زواج المتعة بشروطه المعتبرة فيه قد اتفق عليه  
السنة والشيعنة ودل عليه القرآن الكريم « فما استمتعتم به منهن فاتوهن  
اجورهن فريضة » .

وعلى هذا الاتفاق ساروا على القول بها في عهد النبي صلى الله عليه وآله  
وأيام ابي بكر وشرط آمن عهد عمر الى ان نهى عنها كما مر فافترقوا عند هذا الحد  
فالشيعنة أخذوا بحليلتها ولم يتركوا قول رسول الله لقول عمر .

وقد ذهب لتحليل المتعة جماعة من الصحابة ، غير ابن عباس ، منهم جابر  
ابن عبد الله ، ومعاوية ، وعمرو بن حريث ، واسماء بنت ابي بكر ، وابو سعيد

١- صحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٩ .

٢- أخرجه البخاري ج ٣ ص ١٥٠

وسلمة ابنا امية بن خلف وغيرهم .

وقال بها من التابعين ، طاووس ، وعطاء ، وسعيد بن جبر ، وسائر

فقهاء مكة - ١ -

## ٢ - الطلاق

اتفقت الامامية على أن طلاق الثلاث واحدة ، فلو طلقها ثلاثا بدون مراجعة لم تحرم عليه ، ويجوز له مراجعتها ولا تحتاج الى محلل ، نعم الطلاق المحرم الذي لا تحل المطلقة بعده لمطلقها إلا بالمحلل الشرعي ، إنما هو لو طلقها ثم راجعها ، وهكذا ثلاثا حرمت عليه في الطلاق الثالث وهو المسبوق برجتين مسبوقتين بطالقين وحينئذ لا تحل المطلقة بعد لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ، وبه جاء التمزيل « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان » الى قوله عز وجل « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » الآية .

وقد خالف الاكثر من علماء السنة ، فجعلوا قول الزوج لزوجته : أنت طالق ثلاثا يوجب تحريرها ولا تحل إلا بالمحلل ، وقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يعد طلاق الثلاث واحدة ، وكذلك في أيام ابي بكر وشطراً من عهد عمر بن الخطاب .

أخرج مسلم في صحيحه بسند عن ابن عباس أنه كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وابي بكر وسنتين من عهد عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم

فيه اناة : فلو أمضيناه عليهم ، فامضاه . -١-

وأخرج عن أبي الصهباء انه قال لابن عباس : أتعلم انما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وآله وآبي بكر وثلاث من امارة عمر فقال ابن عباس : نعم -٢-

واخبر رسول الله ( ص ) عن رجل طلق امرأته ثلاث تطاليقات جميعاً فقام صلى الله عليه وآله غضبان ثم قال : أيلعب في كتاب الله وانا بين أظهركم -٣- وعن ابن عباس ان ركانة طلق زوجته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله رسول الله ( ص ) : كيف طلقتها ؟ قال : ثلاثاً . قال ( ص ) : في مجلس واحد ؟ قال : نعم قال ( ص ) : انما تلك واحدة فارجعها ان شئت . -٤- قال الشوكاني : وقع الخلاف في الثلاث اذا وقعت في وقت واحد ، هل يقع جميعها ويتبع الطلاق أم لا ؟ ثم ذكر القائلين بالوقوع : وهم أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم ثم قال : وذهب بعض من أهل العلم : لا يتبع بل يقع واحدة فقط ، وحكى ذلك عن أبي موسى ، ورواية عن علي ( ع ) ، وابن عباس ، وطاووس ، وعطاء ، ورجاء ، والهادي والقاسم ، والباقر . الى آخره .

والحاصل انه لا خلاف عند المسلمين بوقوع الطلاق الثلاث واحدة ، في عهد النبي وآبي بكر وشطراً من امارة عمر وبعد ذلك الزم عمر الناس بوقوع مثل هذا الطلاق اجتهاداً منه ، وعند هذه النقطة تفرق الشيعة عن السنة ، والشيعة

١- صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٣

٢- نفس المصدر .

٣- نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٢٢٦

٤- نفس المصدر .



يأخذون بقول النبي ويتبعون ما شرعه ولا يلتزمون بتنفيذ اجتهاد عمر وتركه تلك النصوص الدينية المقدسة من الكتاب والسنة فقد دعت مصلحة رآها ولكن المصلحة عندنا هي اتباع الرسول امثالاً لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

### ٣ - المسح على الرجلين

لقد كان المسح على الرجلين مشروعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه الجمهور عن معلى بن عطاء عن أبيه عن ادريس بن ابي اويس الثقفي انه رأى رسول الله (ص) توضأ ومسح على قدميه . وأخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر انه قال : تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فادركنا وقد حضرت الصلاة ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فننادى : « ويل للاعقاب من النار » .

قال القرطبي : وهذا الأثر وإن كانت العادة قد جرت بالاحتجاج به في منع المسح فهو أدل على جوازه منه في منعه ، لأن الوعيد إنما تعلق فيه بترك التعميم لا بنوع الطهارة بل سكت عن نوعها ، وذلك دليل على جوازه ، ووجوب المسح هو أيضاً مروى عن بعض الصحابة والتابعين .

والغرض أن أهل السنة اختلفوا في فرض الرجلين ، فقال قوم : فرضها المسح ، وقال آخرون : فرضها الغسل وذهب بعضهم الى التخيير بين المسح والغسل ، كما هو مذهب ابن جرير وداود الظاهري وغيرها .

أما الشيعة فاتفقوا على وجوب المسح لدلالة الآية الكريمة وهو قوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بالنصب عطفاً على موضع رؤوسكم كما هو

المعروف باللغة العربية وهو كالعطف على المحل ، وقرأ غيرهم بالخفض على المجاورة ، وهو شاذ في اللغة ورد في مواضع لا يلحق بها غيرها ولا يقاس عليها سواها ، ولا يجوز حمل كتاب الله على الشذوذ الذي ليس بمعهود ولا مألوف ، والأعراب بالمجاورة إنما يكون عند من اجازته ، عند فقدان حرف العطف .

وقد صح في صفة وضوء النبي ( ص ) من طريق أهل البيت انه غسل وجهه وذراعيه ثم مسح رأسه وقدميه ، وصح عن ابن عباس انه قال : ما أجد في كتاب الله إلا غسلتين ومسحتين .

## ٤ - الاذان

إن كلمة « حي على خير العمل » - كانت على عهد النبي ( ص ) - جزء من الأذان ومن الإقامة ، ولكنهم ادعوا نسخها بعد ذلك ، والصحيح انها كانت على عهد النبي ( ص ) وابي بكر وشطراً من عهد عمر واسكنه نهي عنها كما نهى عن متعة النساء ، - ١ - ولقد ابدلوا مكانها كلمة الصلاة خير من النوم ، كما يروي مالك بن أنس في موطأه : ان المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نائماً فقال : الصلاة خير من النوم ، فامر عمر أن يجعلها في نداء الصبح ، قال الزرقاني في شرح الموطأ : هذا البلاغ أخرجه الداقني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر انه قال لمؤذنه : اذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل : الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم .

ولا وزن لما جاء عن محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي أن النبي ( ص ) استشار الناس لما ينبتهم الى الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ،

١ - انظر الفصول المهمة لسيدنا الحجة شرف الدين .

ثم ذكروا الناقد فذكره من أجل النصارى فأرى النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب فطرق الأنصارى رسول الله ليلاً، فامر رسول الله (ص) بلالاً فأذن به .

أما رجل هذه الرواية وهو محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي كذاب لا يصح أخذ الأحاديث عنه وقد نص على ذلك يحيى بن معين ، وضعفه أبو زرعة ، وانكر عليه ابن عدي أحاديثه ، وقال يحيى : هو رجل سوء فلا يلتفت الى ما يرويه في تشريع الأذان على الرؤيا ، وقد ذكر الناس رؤيا عبد الله بن زيد في تشريع الأذان فلما سمع الحسين بن علي (ع) غضب وقال : الوحي ينزل على الرسول ويزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد والأذان وجه دينكم ، ولقد سمعت ابي علي بن ابي طالب عليه السلام يقول : أهبط الله ملكاً عرج برسول الله (ص) الى السماء الى ان قال : وبعث الله ملكاً لم ير في السماء قبل ذلك الوقت فأذن وأقام وذكر كيفية الأذان ثم قال جبرئيل للنبي (ص) : يا محمد هكذا أذن للصلاة ، وقد أجمعت الامامية على كون الأذان من الأحكام التي نزل بها الوحي من الله لا يرجع ذلك الى رؤيا كما يقولون وكلمة « حي على خير العمل » جزء من الأذان وقول : « الصلاة خير من النوم » إنما هو من اجتهادات الخليفة عمر ، وقد صح عن ابنه عبد الله انه كان يقول في اذانه : « حي على خير العمل » وكذلك امامة بن سهل بن حنيف كما ذكره في المحلى وكان أهل البيت يأتون بها لثبوتها وعدم دليل على نسخها وأذّن بها الحسين بن علي صاحب ﴿ فنج ﴾ (١)

(١) ظهر الحسين بن علي بن الحسن السبط بالمدينة المنورة وكان معه جماعة من الظالمين وحاربه عامل العباسيين فهزمه الحسين وبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله لعرضى من آل محمد [ ص ] وأرسل له العباسيون جيشاً فقتل يوم التزوية بفتح ومما هو جدر-

وعلى ذلك استمرت الشيعة في اتباع أهل البيت عليهم السلام وعدم الرجوع لغيرهم  
وكان ذلك شعارهم في جميع الأدوار .

والغرض أن هذه الأمور التي يقول عنها المقدسي بعدول الناس فيها عن  
مذهب أهل البيت لم تكن من الأمور المبتدعة بل هي مقررة في الاسلام .  
والواقع الذي لا يمكن انكاره أن أكثر الناس يعرفون مذهب أهل  
البيت وما فيه من مميزات ومؤهلات .

وقد أوضحنا الأسباب التي اقتضت صرف الناس عنه ومع هذا فقد انتشر  
المذهب في الاقطار الاسلامية بصورة واسعة وسيمضي مذهب أهل البيت في طريق  
النشور والتقدم كلما اتسعت دائرة الفكر وازدهر العلم وتجلت الحقيقة .  
وقد انتشر في القرون الاولى في مصر والمغرب والجزيرة العربية ويران  
والسند وغيرها - ١ - .

---

— بالذکر ان موسى بن عيسى العباسی أرسل رجلا الى عسكر الحسين حتى يراه ويخبره عنه فمضى  
الرجل ورجع وقال له ما أظن القوم إلا منصورون فقال وكيف ذلك يا بن الفاعلة ؟ قال الرجل  
لأنى ما رأيت فيهم إلا مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف أو معيداً للسلاح ، فضرب موسى  
يداً على يد وبكى ثم قال : هم والله أكرم خلق الله ، وأحق بما في أيدينا منا ، واسكن  
الملك عقيم . لو ان صاحب هذا القبر يعنى النبي [ ص ] نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف .  
١- انظر أحسن التقاسيم للمقدسى .

## انتشار المذهب الجعفري

### الحجاز

لا ريب ان أول ظهور الشيعة كان في بلد الحجاز وهو أول أرض بذرت فيه بذرة التشيع . وفي المدينة المنورة في القرن الرابع انتشر بصورة ظاهرة وقد عظم ذلك على ابن حزم وأمثاله الذين يسوؤهم انتشار مذهب أهل البيت فوصف المدينة المنورة بما لا يليق بها لوجود الشيعة فيها - ١ -

### الشام

ظهر مذهب التشيع في القرن الأول وكان أبو ذر الغفاري هو الذي نشر المذهب هناك ولا يزال في قرية الصر فند بين صيدا وصور مقام معروف باسم أبي ذر اتخذ مسجداً معموراً .

وهم اليوم عدد كثير اشتركوا في ادارة البلاد وشغلوا مناصب مهمة في حكومة سوريا ومنهم التجار والأطباء ولهم مركز مهم هناك وتقام عندهم ما تتم عزاء على الحسين (ع) علناً في عاصمة الأمويين ويحضرها كثير من أهل السنة، والخطيب يفتح بمخازي معاوية ويزيد وبني امية مستنبطاً ذلك من التاريخ الصحيح .

ويقول ابن جبير في رحلته في وصف المذاهب المتغلبة على الشام في

١- انظر النبذ في اصول الفتنة الظاهري لابن حزم

القرن السادس: ان الشيعة اكثر من السنين وقد عموا البلاد بمذهبهم .  
ويقول كرد علي : وفي دمشق يرجع عنهم « أي الشيعة » الى القرن  
الأول للهجرة وفي اكناف حوران وهم مهاجرة جبل عامل وفي شمال لبنان والمن  
والبترون وهم مهاجرة بعلبك ولا يقل عدد الشيعة في الشام من الامامية عن  
مئتي الف نسمة .

### جبل عامل

وهو البلد الواقع بين صفد جنوبا ونهر الادلى شمالا وغور الحوله وماوالاها  
الى ارض البقاع شرقا والبحر المتوسط غربا -١- وكان بدء التشيع في جبل عامل  
بفضل الجهود التي بذها المجاهد في الله أبوذر الغفاري رضي الله عنه وانتشر بسبب  
دعوته وكانت حركة العلم واسعة حتى اليوم فالتشيع في لبنان منتشر بكثرة  
ويسير بكل نظام وهدوء ، محفوظ الحقوق مرعي الجانب ولهم جامعة في النجف  
الاشرف تخرج منها عدد كثير من أبطال العلم وحملة دعوة الاصلاح ومنهم  
المجاهدون والمجاهدون في نصرة الدين وجمع كلمة المسلمين .

### حمص

يقول الاستاذ كرد علي : ان فيها قرى للشيعة خاصة وفي نفس المدينة  
جماعات ظاهرة ومستترة وفي أعمال اذلب قرى الغوغة ونبل وغيرها وكلها شيعة  
وفيها الى اليوم السادة بنو زهرة نقباء الأشراف في مدينة حلب وكل هؤلاء من

بقايا زمن الحمدانيين ومن فلول شيعة حلب يوم تشتت شملهم (١)

## حلب

غلب مذهب التشيع في حلب بصورة ظاهرة ولهم قوة استطاعوا أن يمنعوا سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب عن بناء المدرسة الزجاجية وذلك في سنة ٥١٧ هـ .

## أفريقيا

سرى التشيع في أفريقيا بانتشار عظيم ، الى ان قاومته السلطة ، يوم كان امير افريقيا المعز بن باديس ، فانه فك في الشيعة فتكا ذريعاً وذلك في عام ٤٠٧ فقد أوقع بهم وقية عظيمة ، ونسبوا ذلك الى سب الشيخين وهي المادة التي يطبقها الولاة على من يريدون الفك به من أي الفرق كان ، وذلك ان المعز بن باديس (٢) مر على جماعة من الشيعة في القيروان وقد سأل عنهم ، فلما أحس الناس من المعز الميل عنهم انصرفت العامة من فورها الى مجتمعات الشيعة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتوجه العسكر للنهب ، وشجعهم عامل القيروان فقتل منهم خلق كثير واحرقوا بالنار ونهبت دورهم وتبعوهم في جميع افريقيا ، واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحصرهم العامة وضيقوا عليهم ، فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ،

(١) يشير بذلك الى السكرنة التي أصابت الشيعة عندما أفتى الشيخ نوح الحنفي في كفر الشيعة واستباحة دماهم تابوا أو لم يكونوا فقتل بسبب هذه الفتوى أربعون ألفاً من الشيعة وانتهت أمواهم وأخرج الباقون الى القرى انظر الفصول المهمة للحجة المجاهد شرف الدين تاجد الفتوى نصاً

٢- تقدم بيان انتصار المعز باديس الى مذهب مالك وحمل الناس عليه قهراً

ولجأ منهم بالمدينة الى الجامع فقتلوا كلهم -١- ، وهذه إحدى النكبات الفظيعة التي لاقاها التشيع في حياته وما أكثرها ومع ذلك فان التشيع اليوم منتشر في افريقيا ويقدر عددهم بمليون ونصف .

## جاوة

وفيها عدد كثير من الشيعة يقدر بمليون نسمة وللعلوين هناك اليد الطولى في نشر المذهب وكان منهم العلامة السيد محمد السيد عقيل صاحب المؤلفات القيمة كالتصانيف الكافية والعتب الجميل وتقوية الايمان والقول الفصل وكان يقيم في سنغافورا من توابع الهند وكانت لهم اندية ادبية تربط أوامر بعضهم مع بعض.

## مصر

لقد انتشر التشيع في مصر عند انتشار الاسلام هناك وذلك بواسطة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين شهدوا فتح مصر وهم المقداد بن الأسود الكندي وأبو ذر الغفاري وأبو رافع وأبو ايوب الانصاري فهؤلاء هم دعاة التشيع وانصاره ولما دخلها عمار بن ياسر أيام عثمان دعا الى التشيع ونمت روحه حتى اصبحت البلاد كلها الى جانب علي وأجمعوا على مقاومة عثمان . ثم دخلها بعد ذلك قيس بن سعد والياً فركز دعائم التشيع هناك وخفق لوائه وكثرت جنوده لكن بدخول عمر بن العاص تأخر سير تلك الحركة الى ان زال ملك الامويين فاضهر المصريون ما انطوت عليه قلوبهم من الولاء لعلي (ع) ولا زال التشيع يظهر في مصر ويخفي حسب العوامل التي تدعو الى خفائه وظهوره وهو اليوم منتشر هناك وفيه فئة كثيرة .



## الهند

ظهر التشيع هناك وانتشر بسبب الروابط المتصلة بين العرب والهنود وقد اعتنق مذهب التشيع جماعة كبيرة من الوثنيين بمساعي المرشدين الذين دخلوا بلاد الهند من الشيعة ومنهم جماعة كثيرة باقون الى اليوم ولهم امارات في جميع الأقطار الهندية ولا يخلو بلد منهم وهناك بلد تختص بهم وأخرى يكتوون الاكثرية بها واليك أسماء البعض منها لكتنهور وهي المركز الوحيد للشيعة في الهند وعاصمة مملكة اوده الفانية ومنبع علمائها قديماً وتعد اليوم من اكبر البلاد العلمية وفيها مدارس عربية أهمها الجامعة السلطانية ومنها مدرسة الواعظين وهي تختص بالتبليغ والمدرسة الناظرية وقد أسسها العلامة السيد أبو الحسن كما أسس الجامعة السلطانية وفي لكتنهور الشيء الكثير من آثار الشيعة كالمساجد والحسينيات . ومن البلدان جانبور، بتن آباد، مظفر آباد، لاهور، بنجاب، انظر ص ٢٥٨ من تاريخ الشيعة وان عدد الشيعة في الهند اليوم خمس وثلاثون مليوناً أو أكثر

## القطيف والاحساء وقطر

أما القطيف وقرانها فهم شيعة خاصة . وأما الاحساء وقاعدتها هنوف فالشيعة فيها يشاطرون غيرهم كما ان في قطر يوجد كثير من الشيعة ولا يزال من هذه البلاد في النجف الأشرف مهاجرون لتحصيل علم أهل البيت انظر ص ٣٦٤ منه .

## الافغان

انتشر التشيع في الافغان من زمن بعيد ويقدر عددهم اليوم بعشر ملايين

## أميركا

هاجر كثير من الشيعة الى أميركا من السوريين وجبل عامل للتجارة والزراعة من قبل نصف قرن وبنوف عددهم اليوم على خمسين الفا وهم ذوو شأن وعزة هناك يقيمون شعائر الاسلام علناً وقد بنوا مسجداً فخماً في الولايات المتحدة وفي أميركا من الشيعة قوم من الفرس والهنود وقليل من العراقيين .

## الصين

دخل مذهب التشيع الى الصين منذ القرن الرابع ويقدر عددهم اليوم باحد عشر مليوناً .

## روسيا

كان للشيعة في البلاد الروسية حرية واسعة في الشعائر الدينية كبلاد بخارى والقوقاس وكانوا قبل الحرب العالمية عام ١٢٣٢ يتواردون بكثرة لزيارة المشاهد المقدسة وينفدون مهاجرين لطلب العلم والى اليوم منهم جماعة في النجف حالت دون وصولهم لأوطانهم ودون الصلات لهم في بلادهم هذه السلطة الحاضرة ويقدر عددهم بعشرة ملايين (١)

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث على المصادر التالية : مجازس المؤمنين للفاضل نورالله التستري وأحسن القاسم المقدسي وخصط الشام الأستاذ كرد علي ومع الشيعة الإمامية للشيخ محمد جواد مغنية وتاريخ الشيعة للعلامة الجليل شيخنا الشيخ محمد حسين المظفر وهو كتاب فريد في بيان أدوار الشيعة في التاريخ لا يستغنى الباحث عنه

## العراق

اما العراق فقد انتشر به مذهب أهل البيت في الصدر الأول وقام بذلك أصحاب الرسول في الكوفة والمدائن والبصرة وعرفت الكوفة بانها علوية النزعة وقام رجال الدعوة في الدفاع عن أهل البيت وتحملوا في عهد معاوية ما تحملوا كما مر بيان ذلك وفي المدائن كان سلمان الفارسي وحذيفة اليمان قد نشرا دعوة التشيع هناك وكذلك البصرة وغيرها من مدن العراق من الشمال الى الجنوب وانتشر التشيع فيها بصورة ظاهرة والعراق اليوم معروف بتشييعه لأهل البيت وولائهم للعترة الطاهرة .

## ايران

كانت قم وحدها في القرن الأول شيعية وكان سير التشيع في ايران ثقیل الخطا وهم شيعة بني العباس وفيهم من يذهب الى تقديس الامويين ومناصرتهم كما أن في خراسان نواصب وغلاة في معاوية يدعون نبوته ولكن مذهب أهل البيت انتشر في بلاد ايران بصورة تدريجية على ممر الأديوار حتى أصبحت ايران اليوم كلها شيعة حكومة وشعباً وقامت بخدمة المذهب ونشر ما أثر أهل البيت وعمارة مراقيهم .

## تصفية الحساب

— ١ —

يطالعنا التاريخ بجوادث مؤلمة ونزاع بين طوائف المسلمين عامة وبين الشيعة والسنة بصورة خاصة ، فاذا أردنا ان نبحث عن الأسباب التي أدت الى حدوث تلك المنازعات نجد لها سياسية قبل أن تكون دينية ، وقد اتضح لنا في الابحاث السابقة أن تدخل اولي النفوذ والسطوة هو الذي جر الامة الى تلك المنازعات وأوقعهم في ورطة الاختلاف ونشوء تلك المعارك التي اضطرت ناراها وتنوعت أسبابها بصورة ظاهرية ، ويعود ذلك الى سبب رئيسي واحد وهو عامل السياسة .

فذهبت آلاف من النفوس ، واتسعت بذلك شقة الخلاف ، وفتحت باب الظنون والاتهامات، ولا يتعلق لنا غرض لذكر الخلاف بين جميع طوائف المسلمين بعضهم بعضا ، فتلك امور جرت لأسباب كونتها الظروف بدون التفات الى ما وراء ذلك من خطر يهدد كيان الأمة ، ويقضي على وحدتها التي هي أقوى جهاز تستطيع به الانتصار على خصمهم الذي وقف لهم يتحين فرص الوتبة للتشفي منهم ، وقد مررت الاشارة الى ذلك .

وحيث كان مبحثنا عن المذهب الجعفري وعوامل انتشاره ، فنحن لا نتعرض إلا الى الاشارة لأسباب الخلاف المتكون بين السنة والشيعة ، وقد

مرت عليهما قرون وقرون ولم تسعد الامة يوماً ما برفع سوء التفاهم وازالة تلك  
الخواجز التي تقف بينها وبين وحدتها التي أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالمحافظة  
عليها ، وعالج الدين الاسلامي مشاكل الخلاف بينها بادق صورة .

فنحن نرى أن هذا الخلاف القائم بين الطائفتين يتكون من عاملين

رئيسيين هما :

١ — الخلاف في الخلافة الاسلامية ومن هو المتأهل لهذه المنزلة ؟ وهي  
الولاية العامة والرئاسة المطلقة وهي لا تحصل إلا لمن خصه الله بالسجل ، وخصه  
من شوائب النقص في الأقوال والأفعال ، ونزعه عن الظلم للرعية ، حتى يقيم  
الحدود و ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) والشيعية لا يرون تحقيق تلك الشروط  
وحصول هاتيك الصفات إلا في من اختاره الله وأمر نبيه بالنص عليه .

٢ — عوامل السلطة فان الطبقة التي سيطرت على نظام الحكم رأت من  
نفسها عدم انطباق تلك الشروط عليها والشيعية لا يرون قيمة لسلطان لا يلتزم  
بالشرع ولا يتنزه عن الظلم ولا يتورع عن المحارم ، وليس له قابلية تحمل أعباء  
الخلافة الاسلامية وإن هؤلاء الذين تربعوا على دست الحكم يريدون أن يكسبوا  
ثقة الامة ويركزون أنفسهم للاستناد بالسلطين الروحية والزمنية فينالوا الثقة  
التامة ويصبحوا امراء المسلمين بحق مع عدم انطباق ما يؤهلهم لذلك فهم اذا يرون  
الشيعية حزبا معارضا ، وعقيدتهم لا تتمشي مع أغراضهم فكانوا لا يعارضون  
العقائد مادامت لا تعارض سياستهم وأغراضهم الخاصة . والناس في ذلك  
العصر يسيرون في حرية العقيدة وحرية العبادة بامن تحت ظلال السلطة وأمام  
القانون، اما اذا كانت العقيدة مخالفة لأرأيهم أو أن لها دخل في سياسة الدولة ،  
فلا يسمح القانون باظهارها ولا تقعد السلطة عن مقاومتها ، ومن الواضح ان عقائد

الشيعة تخالف دستور الحكومة في أغلب الأشياء ومن هذا التجأ القانون الى عدم المساواة في العقائد من جهة والى مساواتها من جهة أخرى ، فلذا ترى مواقف الحكومة مختلفة اختلافاً كلياً ، وتقف في أكثر حالاتها موقف الحيرة خوفاً من انتشار العقائد التي لها أثرها عند المفكرين فتصبح الأقلية أكتثرية ، ولا يمكنها الوقوف أمام جارف الانكار، فهي تلجىء ، أبدأ الى خلق مشكلات تفرق بها كلمة الامة لتثير الشحنة وتشتغل الأفكار وعلى هذا الأساس حاولوا ابراز الشيعة في ذلك المجتمع بصورة تدعو الى مقاومتهم من كل الجهات وفصلهم عن المجتمع الاسلامي بالطعن في عقائدهم مرة وبالخروج على الجماعة مرة أخرى .

فوجهوا اليهم التهم ، وتقولوا الأقاويل التي لا ربط لها بالواقع ولا علاقة بينها وبين الحق وإنما هي اتهامات كاذبة واقتراء محض ، تمكنت من قلوب السذج فاصبحت كالأمر الواقع لكثرة العوامل التي دعت الى تركيز تلك المفتريات في أذهان الناس ، وأنت اذا نظرت بعين البصيرة تجد تلك المؤاخذات والاتهامات التي رميت بها الشيعة غير محدودة بحد ، بل هي تتسع باتساع غرض السلطة الحاكمة التي لعبت دورها في مقابلة الشيعة على مر أدوار التاريخ .

سارت الأمور على ذلك الشكل الذي قضى على حرية التفكير في فهم الأمور ، وأن لا يكون إلا ما تراه السلطة لا غير .

يدخل الامام مالك بن أنس على أبي جعفر المنصور ، فيوجه اليه سؤالاً :  
من أفضل الناس بعد رسول الله ( ص ) ؟ وهنا يقف مالك موقف الحيرة عندما يريد أن يعبر عن رأيه الصحيح ، فربما يخالف رأي المنصور فيكون عرضة

للنقمة ، كما انتقم منه من قبل لمخالفته في فتوى طلاق المكره .  
ولكنه درس نفسية المنصور وعرف نواياه ، فاجابه : أبو بكر ، وعمر ،  
فقال المنصور : أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين . وبالطبع ان رأيه محترم والرعية  
تابعة له فلا يمكن لأحد مخالفته ومن ذهب الى غير هذا فأنما يعرض نفسه للسخط  
ويصبح في قائمة المتهمين لمعارضة الدولة وناهيك ما وراء ذلك من بلاء ومحن  
ويمكننا ان نعتبر مسألة التفضيل بين الخلفاء أما كانت بهذا الشكل الختعي لامن  
حيث الواقع والإلو ترك الأمر بدون تدخل للسلطة فيه لما كانت المسألة من  
المسائل المشككة التي ابتليت بها الامة حتى أصبح القائل بافضلية علي على الشيخين:  
مبتدعاً ، زائفاً عن الحق سيء المذهب ، رافضي خبيث ، الى ما هنالك من التعابير  
التي اتخذها المتزلفون لرضا السلطة .

وإذا رجعنا للواقع من حيث الواقع بدون مغالطة ولا تعصب بل نستكشف  
الأمر على ضوء التفكير الحر والدراسات الصحيحة الخالية من نزعة الأهواء  
والتعصب لكان هذا القول بعيداً عن الصواب وأما هي تقليد أعمى وجود على  
اتباع السلف الذين عرفت نزعاتهم وأهواؤهم وميلهم للسلطة التي أصبحت ترغم  
الناس على ربط العقائد بدستور الدولة فترى المأمون يخلق مشكلة القول بخلق  
القرآن ويحمل الناس عليه بالقهر ، ولا يجعل للتفكير في الأمر مجالاً ، فيقع ما يقع  
من قتل وتكفير الى غير ذلك ، ويأتي من بعده المتوكل فيخالف رأيه ويقضي  
على ما أمر به المأمون ويحمل الناس على القول بقدم القرآن بالقهر والقوة .

ويأتي القادر العباسي سنة ٤٢٢ فيحمل الناس على الاعتقاد بما يراه في  
فضل الصحابة وتكفير المعتزلة القائلين بخلق القرآن ويؤلف بذلك كتاباً يتلى على  
الناس في كل جمعه كما أنه حملهم بالقهر على الاعتقاد بالسنة ، واستتاب من خالفه من

المعتزلة والشيعة ، وأخذ خطوطهم بالتوبة ، وبعث الى السلطان محمود ، يأمره  
ببث السنة في خراسان ، ففعل ذلك ، وبالغ وقتل جماعة ونفى جماعة آخرين  
من المعتزلة والشيعة وغيرهم ، وأمر بلعنهم على المنابر وذلك في سنة ٤٠٨ هـ - ١ -  
وفي سنة ٤٠٣ يصدر مرسوم من البلاط العباسي يتضمن القدح في نسب العلويين  
خلفاء مصر وانهم ليسوا من ابناء علي - ٢ - .

ونشر هذا المرسوم ووزعت نسخه والزم علماء العاصمة بتوقيعه الى غير  
ذلك مما يطول شرحه من الامور التي تدخلت بها الدولة لغاياتهم الخاصة ،  
ولا يريدون بذلك إلا فتح باب المناقشات ، لا بصورتها الواقعية ولكن  
بالصورة التي يريدون من ورائها الشعب والاختلاف بين الامة لتنفيذ لمصالحهم  
الخاصة ، وإلا فيلزمهم اعطاء الحرية الكاملة في المناقشات العلمية التي  
تختلف فيها الامة من حيث فهم الواقع ، ولا يوجد عندهم ذلك ، لأن الحذر يحوط  
بهم من اتساع دائرة الفكر ، فيؤدي الى مؤاخذتهم على ما ارتكبوه من الشذوذ  
وسوء السيرة .

ونرى في جميع أدوار التاريخ ان الامة لم تأخذ حريتها الكاملة في امور  
الدين وبذلك قطعوا الصلة الاجتماعية بين أفراد الامة بعضهم بعضاً .  
فترى انهم بهذا التدخل وبهذا الشكل من المعاملة القاسية للمفكرين قد  
اساؤا الى المجتمع الاسلامي وتركوهم يخوضون غمرات المعارك المذهبية  
والعقائد الدينية .

والغرض ان نظر الدولة لموقف الشيعة في جنب آل محمد يعتبرونه موقفاً

١- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٦

٢- تاريخ ابن الفداء ج ٢ ص ١٥٠



معارضاً لسياساتهم ومحاولة ظاهرة للقضاء على كيان الملك ، فهم يحذرونهم أشد الحذر ويدفعون الناس الى التبري منهم بشتى الوسائل حتى أصبحت تهمة التشيع يفرون منها ويرون انها أعظم من تهمة الزندقة .

قال الزنجشيري في كيفية الصلاة على محمد (ص) : وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد ، فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موافق التهم ، وأمثال هذه الفتاوى كثيرة جداً . وقد تركوا القول بأشياء على صحتها و ثبوت تشريعها ، وليس لهم في تركها إلا لأن الشيعة تقول به ومتابعتهم يؤدي الى الرفض كما سيأتي ومن هذا نعرف دليل حرجة الموقف وإلى أي حد انتهى الأمر في الابتعاد عن شيعة أهل البيت في عصر تأصلت به روح العدا في قلوب الناس وساروا مع الدولة جنباً لجنب وهل الرفض إلا حب أهل البيت كما يوضح لنا الشافعي بقوله :

إذا في مجلس ذكروا علياً	وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزاً يا قوم هذا	فهذا من حديث الرافضية
برئت الى الميمن من اناس	يرون الرفض حب الفاطمية
ويقول :	

قالوا ترفضت قلت كلا	ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك	خير امام وخير هادي
إن كان حب الوصي رفضاً	فانني أرفض العباد

وأظرف شيء ما يحدثنا به الخطيب عن القتح بن شخرف حملتني عيني فنمت فينما أنا نائم اذا انا بشخصين فقلت الذي يقرب مني :

من أنت يا هذا ؟ فقال من ولد آدم ، قلت كنا من ولد آدم ، فما الذي وراءك ؟ قال لي علي بن ابي طالب ، قلت له أنت قريب منه ولا تسأله ، قال أخشى ان يقول الناس اني رافضي -١-

وكان الفضل بن دكين يتشيع فجاءه ولده يوماً يسكي فقال له : مالك فقال : ان الناس يقولون انك تتشيع فانشأ يقول :

وما زال بي حبيك حتى كأني برجع جواب السائي عنك اعجم  
ولا سلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم -٢-  
وان أمراً يدعو الولد الى هذا الحذر ويحمله على البكاء لعظيم جدأ ، ولا غرابة من ذلك فانه يخشى على أبيه القتل ، وعلى داره الهدم ، وماله النهب ، طبقاً لقانون الدولة المقرر تنفيذه في حق الشيعة لأنهم كانوا ينفذون هذا القانون في حق من اتهم بالميل للعلويين .

كان ابراهيم بن هرثمة شاعراً مجيداً مدح آل البيت بابيات منها :  
ومهما ألام على حبيهم فاني أحب بني فاطمة  
بني بنت من جاء بالحكما ت وبالدين والسنة القائمة  
فلست ابالي بحبي لهم سواهم من النعم السائمة  
ولما دخل على المنصور قال : لا مرحباً ولا أهلاً ، يا ابراهيم قد بلغني عنك أشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك فاقر لي بذنوبك فاستعفاء فعفى عنه حفظاً لدمه وقال ابن بلغني عنك أمراً أكرهه لاقتلتك ، ولما دخل ابراهيم المدينة

١- الخطيب ج ١٢ ص ٢٥١ .

٢- تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٨٦ .

أنه رجل من العلويين فسلم عليه فقال له ابراهيم تنح عني لا تشط بدمي -١-  
وهذا منصور النخعي أنشأ أبياتاً منها :

آل النبي ومن بحبهم يتطامنون مخافة القتل  
امن النصارى واليهود ومن في امة التوحيد في ازل  
فغضب الرشيد وأرسل اليه من يقتله فوجدوه ميتاً فقال : لقد هممت ان  
أخرج لسانه من قفاه وأراد أن ينبش عظامه فيحرقها ولم يفعل . -٢-

وقطعوا لسان ابن قرايا لأنه كان يمدح آل محمد (ص) وينشد الأشعار  
فيهم فنارت العامة في بغداد ، وقدم للقاضي ، فحك عليه بقطع لسانه ويده ،  
استناداً الى مادة الخط من كرامة الصحابة ، بمدحه علياً وتفضيله عليهم ،  
وليت الامر ينتهي عند هذا الحد ، ولكنهم تبعوه عندما أخذ للمارستان ،  
ورموه بالحجارة ، فالقى نفسه في دجله فغرق وأخرجوه ميتاً ، وأحرقوا جسده ،  
ووقعت بذلك معركة بين السنة والشيعة وذلك في سنة ٥٧٤ هـ -٣-

وقامت المينة على الحسن بن محمد بن ابي بكر الشيعي ، بانه سب الصحابة  
عند القاضي شرف الدين المالكي ، فحك بضرب عنقه بسوق الخيل بدمشق في  
جمادى الاولى سنة ٧٤٤ هـ -٤- .

وامثال هذه الفضائع كثيرة لا يسعنا عرضها ، ولكننا أوردناها لناخذ صورة  
عن أعمال الدولة وسياستها مع الشيعة وهنا أمر مهم يلزمنا ان نتساءل عنه .

وهوان الاقدام على سفك دم المسلم باسم الشريعة لجرأة عظيمة ، وان دولة

١- تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٢٧

٢- زهر الآداب ج ٣ ص ٧٠

٣- شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٦

٤- شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٠

تدعي السير على نظام الشرع كان يلزمها أن تتخذ طريقاً للخلاص من الانكار والمؤاخذة ، كما اتخذت ذلك في كثير من القضايا بارتكاب المحرمات من تفسخ في الأخلاق وتجاهر بالمنكر ، ولكنهم وضعوا أحاديث وفتاوى تدفع عنهم مؤاخذة المفكرين من الأمة ، إذا ما ذل اتخذوا تجاه هذه المضاعف وهذه المنكرات في معاملة الشيعة ؟ أليس في الأمة علماء ينبهون الحكومة والعامّة على هذا الخطأ عند مخالفتهم نصوص الكتاب والسنة بارقة الدماء في جرم لا يستوجب ذلك ؟ فكيف تغفل الحكومة عن هذه المهمة ؟ وكيف سكت العلماء عن هذا الفعل الشنيع ؟ نعم أنهم لم يغفلوا عن ذلك وأخذوا التدابير اللازمة في رد المنكرين بتخصيص ما ورد في الكتاب والسنة في تحريم قتل المسلم بامور .

١ — لقد رفعوا مقام الصحابة على الاطلاق ، ومنعوا الناس عن الخوض في أحاديثهم وحوادثهم ، وجعلوا لهم منزلة العصمة الادعائية ، وقرنوهم بالرسول الأعظم (ص) وجعلوا مؤاخذتهم بشيء ، أما هو مؤاخذة الرسول (ص) .  
ذكر عند الرشيد حديث أبي هريرة ، ان موسى لقي آدم فقال : أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة ؟ فقال القرشي ابن لقي ام موسى ؟ فغضب الرشيد ، وقال : النطع والسيف زنديق يطعن في حديث رسول الله - ١ - .

وبهذا اجتمعت الأمة ليحرموهم حرية التفكير ، والتزموا بالنزول لارادتهم فمن خرج عن ذلك عد زنديقاً والزنديق يقتل ، وبالطبع ان الشيعة لا تقيم لهذا الحكم وزناً فهم في نظر القانون يحل قتلهم من هذه الجهة ، ومع ذلك فقد وضعت أحاديث كاذبة على صاحب الرسالة في تكريم الصحابة وبمقتضى ذلك لا يشملهم نظام الاسلام وأحكامه .

٢ — إن مبدأ الشيعة وعقائدهم لا يستطيع أحد ان يؤاخذهم بشيء فيها ، لأنها مستقاة من ينبوع أهل البيت عليهم السلام ، وهم يرونهم نصب أعينهم يقيمون الصلاة ، ويحتفظون بشعائر الدين ، إذا كيف يحكم عليهم بالكفر ؟ ولكنهم سلكوا طريقاً نجحوا فيه ، وذلك في تركيز فكرة الغلو عند الشيعة في أذهان العامة ، ولأن الشيعة يدعون لآل البيت الربوبية ، ودسوا في صفوفهم من علموا منهم التفاني في بث روح التخاصم بين المسلمين ، وقام بنشر هذه الفكرة بين العامة اولئك الدجالون الذين يفترون على الله الكذب ، من قصاص ووعاظ وزهاد ، يتصفون بالتدين وهم جزارون لا يتورعون عن المحارم .  
وأول من قام بهذه الفكرة هم الأمويون في قضية عبد الله بن سبأ كما مر ذكره وسار الناس على ذلك تقليداً واتباعاً لقانون الدولة .

٣ — ان الشيعة لما عرفوا بموالاته أهل البيت ومحبتهم لهم ، وأخذ الأحكام عنهم ، أصبح ولاية الأمر يحدرون الانكار من رجال الفكر الذين لا يحدعون باقوال الدجالين من وعاظ وقصاص لكيلا تنتسح عليهم دائرة المؤاخذه ، وربما يطالبون بشيء أوضح مما مر في تكفير الشيعة والطعن في عقائدهم وهم يأخذونها من أهل البيت (ع) .

مع ان هناك أحاديث صحيحة وردت في محبي أهل البيت وشيعتهم لا مجال لانكارها إذا كيف يصنعون وليس في امكانهم انكار تلك الاحاديث التي أخذت مكاتبها في المجتمع الاسلامي ؟ ولم تستطع الارهابيات محوها من الازهان ، وليس في قدرة السلطة أن تفرض طاعتها على الشيعة قهراً ، فهم قد قهروها في أغلب المواقف ، فلنعرف إذا كيف استطاعوا ان يفهموا أتباعهم انحراف الشيعة عن الدين ؟ مع وجود تلك الأحاديث الصحيحة . أيكفي أن يستندوا الى المادتين

الأوليتين، أم ان الأمر يحتاج الى أكثر من ذلك؟ نعم الأمر أهم من أن يتهاون فيه ويلزمهم أن يتخذوا شيئاً يستطيعون تغيير تلك الأحاديث ووضع زيادة يصلون من ورائها لغايتهم المقصودة، فرجعوا حينئذ الى لجنة الوضع التي اتخذوها ملجأ لهم في ضرب الأحاديث عن صاحب الرسالة (ص)، عندما يهتهم أمر، فكانت النتيجة ان توضع زيادة تلحق ببعض الاحاديث ليبتل الاستدلال بها. واليك بعض الاحاديث الواردة في محبة أهل البيت.

كقوله صلى الله عليه وآله : يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك

الإ منافق - ١ -

وقوله (ص) : يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين

ويقدم عدوك غضاباً مقمحين - ٢ - .

وقوله (ص) : وقد أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب

هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة - ٣ -

وقوله (ص) : حب علي براءة من النار حب علي براءة من النفاق شيعة

علي هم الفائزون - ٤ -

وقوله (ص) : من يريد ان يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد

التي وعدني ربي فليتلول علي بن ابي طالب فانه ان يخرجكم من هدى ولن يدخلكم

١- صحيح مسلم ج ١ . والترمذي ج ٢ ص ٢٩٨

وأحمد في مسنده ج ٢ ص ١٠٢ ط ٢ .

٢- أخرجه الطبراني انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٣

٣- أخرجه الحاكم ج ٢ ص ١٤٩ . وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٥ ط ٢

٤- أخرجه الديلمي انظر كنوز الحقائق .

في ضلاله - ١ - .

وقوله ( ص ) : علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة - ٢ - .  
ولما نزلت « قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى » قالوا  
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال صلى الله عليه وآله :  
علي وفاطمة وابناهما - ٣ - .

وقوله ( ص ) : يا علي أنت وشيعتك في الجنة .  
وقوله ( ص ) : يا أبا الحسن أنت وشيعتك في الجنة .  
وقوله ( ص ) : يا علي أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواء .  
ولما نزلت « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية »  
قال هو أنت يا علي هو أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين - ٤ - .  
وأخرج الخطيب بسنده عن الفضل بن غانم عن سوار بن مصعب عن  
عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت : كانت ليأتي من رسول الله  
صلى الله عليه وآله فاتته فاطمة ومعها علي فقال له النبي ( ص ) : أنت وأصحابك في  
الجنة أنت وشيعتك في الجنة .

هذه بعض الأحاديث الصحيحة الواردة عن صاحب الرسالة ( ص )  
في فضل علي وأهل بيته والزمام الناس باتباعهم ، وكثير غيرها كحديث  
الثقلين وغيره .

١- أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٢٦ .

٢- انظر كنوز الحقائق

٣- أخرجه الصبري في ذخائر العقبي ص ٥٢

٤- أخرجه الخطيب من طريق أم سلمة ج ١٢ ص ٣٥٨

والى هنا تأتي يد الوضع فتعمل عملها بالحق زيادة لهذه الأحاديث ،  
ولسكنها زيادة تدل بنفسها على نفسها ، واليك أمودجا من تلك الموضوعات على  
صاحب الرسالة . إن النبي صلى الله عليه وآله يقول : يا علي أنت وأصحابك في  
الجنة ، أنت وشيعتك في الجنة ، فيأتي الفضل بن غانم بوضع زيادة والحقها بهذا  
الحديث ، ألا إن ممن يحبك قوماً يصفزون الاسلام بالسنتهم يقرأون القرآن  
لا يتجاوز تراقيهم ، لهم نبز يسمون الرافضة فإذا لقيتهم فجاهدهم فانهم مشركون -١-  
ويأتي يحيى الجاني الكذاب الشير بزيادة عن علي انه قال قلت يا رسول الله  
ما العلامة فيهم قال : يقرضونك بما ليس فيك ويطنون على أصحابي ويشتمونهم .

وبصورة أخرى يا علي ينتحلون حبك يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم  
وعلامتهم انهم يسبون ابا بكر وعمر .

وبصورة أخرى وسيأتي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم  
فانهم مشركون -٢-

هكذا تجرأ اولئك المتقربون لاسيادهم بالكذب على الله ورسوله بوضع  
تلك الزيادة في الأحاديث الواردة عن صاحب الرسالة بمدح شيعة أهل البيت ،  
فاصبحت تلك الاكذوبة مقررة بصورة رسمية كقانون تسير عليه السلطة التنفيذية ،  
وتلقاها السذج بكل قبول وأخذت مكانتها من ذوي العقول القاصرة ، اما  
العلماء فقابلوها بالانكار وصرحوا بوضعها بكل صراحة ، ولا بد لنا من الاشارة  
لبعض رجالها ، أو أعضاء لجنة الوضع ليتضح الأمر .

(منهم) الفضل بن غانم الروزي القاضي ، وقد كان مشهوراً بنساده

١- تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٥٨ .

٢- انظر الاشاعة في اشتراط الساعة .



الأخلاق ومتهما في دينه وكان غير مقبول الرواية وترك الحفاظ أحاديثه وطعنوا فيه ، قال الدارقطني : النضل بن غانم ليس بالقوي ، وقال يحيى بن معين : ضعيف ليس بشيء ، وغير ذلك من أقوال رجال العلم . وكيف يؤتمن على حديث رسول الله ( ص ) . من عُرف عنه حب العلمان وفساد الأخلاق كما جاء ذلك في ترجمته - ١ - وان فضيلة القاضي واضع هذه الاكذوبة على رسول الله ( ص ) دعاه طمعه وحب الدنيا عندما يتقرب بها لولاة الجور ، لانهم كانوا يقربون من عُرف بذلك ويرفعون منزلته .

و ( منهم ) سوار بن مصعب الهمداني الكوفي الأعشى ، روى عن عطية العوفي وجماعة قال فيه يحيى بن معين : سوار بن مصعب ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي وغيره : متروك ، وقال ابو داود : ليس بثقة ، وقال احمد وابو حاتم : متروك الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، وقال الحاكم : روى عن الأعمش وابن خالد المناكير ، وعن عطية العوفي الموضوعات - ٢ - ولا نطيل الكلام بذكر الآخرين من رجال هذه الزيادة كأبي جناب السكبي وسويد بن سعيد وابو يحيى الحماني المرجبيء الكذاب ، فقد نص الحفاظ على كذبهم وعدم قبول روايتهم كما انهم نصوا على هذه الزيادة بالوضع ، وصرح بذلك علي بن محمد الشوكاني وابن حجر وابن تيمية والخطيب البغدادي وغيرهم .

والغريب ان هذه الحقيقة يقررها الكثير من العلماء وينصون على كذب هذه الزيادة ، ولكن هناك حثالة من المتعصبين الذين لا يروق لهم إلا ايقاع

١- انظر ترجمته في لسان الميزان ج ٤ ص ٤٤٥ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٥٧

٢- انظر ترجمته في لسان الميزان ج ٣ ص ١٢٨

الفرقة بين صفوف المسلمين جعلوا هذه الاكذوبة وسيلة للوقعة بشيعة أهل البيت، وتقرّبوا الى ولاية الجور بنشرها وادخالها في قالب الاعتبار ولسكتها محاولة فاشلة « نجولة الباطل ساعة ، وجولة الحق الى الساعة » .

والغرض أن ولاية الجور اتخذوا هذه الامور كقانون يحكمون به على المعارضين لاحكامهم ، فيقتلونه بسيف الشرع ، فكان من الخطر البالغ ان يجهر الانسان بأي رأي حر ، أو يذهب الى خلاف ما تراه السلطة الحاكمة ، ومن سوء حظ الرجل ان يكون له خصوم يسعون به للسلطان، فتنتطبق بحقه هذه المادة فيكون نصيبه القتل أو السجن .

لذلك نرى أن الكثير من غير الشيعة حكم عليهم بهذه المادة وليس لهم ذنب إلا التحرر عن الجمود الفكري ، والصراحة بشيء يخالف غرض الدولة . فهذا المولى ظهير الدين الاردبيلي ، حكم عليه بالأعدام واتهم بالتشيع ، وذلك لأنه ذهب الى عدم وجوب مدح الصحابة على المنبر وأنه ليس بفرض ، فقبض عليه ، وقدم للمحاكمة فحكم عليه القاضي بالأعدام ونفذ الحكم في حقه فقطعوا رأسه وعلقوه على باب زويلة بالقاهرة - ١ - .

وامتنع أحد القضاة من المبايعة للخليفة المقتدر ، وقال : هو صبي لا تصح مبايعته ، فحكوا عليه وذبح أمام الملاء بدمشق .

وهذا سليمان بن عبد القوي المعروف بابي العباس الحنبلي المتولد سنة ٦٥٧ والمتوفى سنة ٧١٦ كان من علماء الحنابلة ، ومن المبرزين في عصره ، ودرس في أكثر مدارس الحنابلة في مصر ، نسب الى الرفض ، وقامت عليه الشهود في ذلك حتى تعجب هو من هذه النسبة واستغربها فقال :

حنبلي رافضي ظاهري شعري انها احدى الكبر  
وقد عزز في القاهرة لمدحه علياً بايات منها :  
كم بين من شك في خلافته وبين من قيل انه الله  
ونسب الى هجاء الشيخين ، والخط من مقام عمر بن الخطاب لقوله في  
شرح الأربعين : إن أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تعارض الروايات  
والنصوص ، وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك هو عمر بن الخطاب ، لأن  
الصحابة استأذنه في تدوين السنة فمنعهم مع علمه بقول النبي ( ص ) : « اكتبوا  
لأبي شاه » وقوله : « قيدوا العلم بالكتابة » فلو ترك الصحابة يدون كل  
واحد منهم ما سمع من النبي ( ص ) لانضبطت السنة ، فلم يبق بين آخر الامة  
وبين النبي ( ص ) إلا الصحابي الذي دونت روايته ، لأن تلك الدواوين كانت  
تتواتر عنهم كما تواتر البخاري ومسلم انتهى .  
وبهذه الصراحة مع ما فيها من الغموض نسب هذا الحنبلي الى الرفض ،  
ونال الضرب والسجن والتعبد عن وطنه وفصل عن وظيفة التدريس - ١ - .  
ومن أغرب الاشياء ما يحدثنا المقدسي عند دخوله الى اصفهان بقوله :  
وفيهم بله وغل في معاوية ، ووصف لي رجل بالزهد والتعبد ، فقصدته وتركت  
القافلة خلفي ، فبت عنده تلك الليلة ، وجعات أسأله الى أن قلت : ما قولك في  
الصاحب؟ فجعل يلعنه ، قلت : ولم؟ قال انه أتى بمنزلة لا تعرفه ، قلت : وما هو؟  
قال : انه يقول ان معاوية لم يكن مرسلاً ، قلت : وما تقول أنت ؟ قال أقول  
كما قال الله عز وجل : لا نفرق بين أحد من رسله ، ابو بكر كان مرسلاً ، وعمر  
كان مرسلاً ، ثم عد الأربعة ، ثم قال : ومعاوية كان مرسلاً ، قلت لا تفعل ،

أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكا ، وقال النبي ( ص ) :  
الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكا فجعل يشنع علي وأصبح يقول  
للناس : هذا رجل رافضي قال المقدسي : فلولم أهرب وأدركت القافلة  
لبطشوا بي - ١ - .

\* \* \*

وعلى هذا سار الناس على غير هدى يزدحمون في دائرة ضيقة ، وقد  
سلبوا حرية الرأي وحرية التفكير . فلذلك تراهم لا يعرفون معنى الطعن ،  
ولا يهتدون لطرق المؤاخذة ، ولا يتورعون في أمر ، ولا يقفون عند حد ، وإنما  
هي فوضى الاتهام والتقول لذلك تراهم يحكمون على اناس بشيء وهم  
لا يتصفون ببعضه .

حكوا على الحاكم أبي عبد الله النيسابوري صاحب المستدرک بأنه شيعي  
لذكره في كتابه حديث الطائر المشوي ، وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه ،  
وبالطبع ان ثبوت هذين الحديثين الصحيحين يخالفان سياسة الدولة ، وهل يستطيع  
أحد أن يتفوه بشيء منها ؟ وقد عقدت اللسان وكمت الأفواه ، فمن يستطيع  
الخروج على نظام الدولة إذ لا قيمة لنظم الاسلام ومقاييس العقل ، ومهما يكن  
من أمر فالشيء المهم الذي نريد التنبيه عليه ان تلك الخلافات التي وقعت بين  
المسلمين إنما هي من الامور التي اتخذتها السلطة لاغراضها الخاصة .

وان تلك الاتهامات التي اتهمت بها رجال الامة فارقت بها دماؤهم ، إنما  
كانت بسبب حرية الرأي وقوة التفكير المخالف للسياسة في ذلك العصر ، فانهم  
يريدون أن يجعلوا رجال الفكر وحملة العلم من الامة كقطيع غنم يوجهونهم الى

أي جهة أرادوا بدون تفكير منهم أو اختيار في الأمر .

\* \* \*

ومما تقدم نستنتج ما لتلك النظم الموضوعه رغبة ورهبة من التأثير العميق في روح الجماعات من تحمل العداء للشيعه ، فلا نستغرب إذاً تغييرهم عن التشيع بكونه بدعة كما هو في كثير من عبارات أهل الحديث ، فالبدعة هنا في مقابلة سنة السياسة لا سنة الشريعة المقدسة . وإذا أردنا اجراء الحساب معهم عما ارتكبوه في حق الشيعة فلا يستطيعون الجواب بشيء ، لأنهم ساروا مع التقاليد ، وإلا فما هي بدعة التشيع وهم مجمعون على ان الشيعة هم الذين شايعوا علياً وتابعوه ، اتكون متابعة علي والأخذ عنه ومحبة أهل بيته بدعة ؟ « ما جاءنا بهذا من سلطان » .

ومع ذلك كله فانهم لم يظفروا يوماً ما بالذي حاولوا تحقيقه من وراء اتخاذ تلك الوسائل في تحويل الشيعة عن عقيدتهم الراسخة ، وقد أحاط الفشل بتلك العوامل ، ولم تنجح النجاح المأمول في عرقلة سير انتشار مذهب أهل البيت ، ولم تؤثر تلك الدعايات لانها أسباب بعيدة عن الأثر ، لذلك وقف تيارها ، وأخذ المذهب في الانتشار ، فاصبح في أقطار العالم عدد من الامامية لا يقل عن تسعين مليون . وبذلك يصح لنا ان نحاسب الكتاب الذين تولعوا بدم الشيعة ، والتهجم عليهم خضوعاً لمؤثرات العاطفة ، واستجابة لدواعي الفرقة بين طوائف المسلمين ، ولا أدري بماذا استساعوا هذا النقد وتولعوا بالذم .

وإذا أردنا أن نحاسب الناقمين على الشيعة طبقاً للمنطق الصحيح ، فان الأرقام تقف عن مسيرتنا ، وربما تقصر عن الاحصاء ، ولا نزيد ذلك .

ولسكننا نريد الاعتدال في الحكم وترك المغالطات والتقولات ، فان ذلك نقص  
يمن يدعي العلم والثقافة ، فقد مرت العصور الذي تقتضي اثاره تلك العواطف ،  
وايقاد نار البغضاء بين المسلمين فما لهم يضربون على وتر الطائفية بين آونة  
وأخرى ، كأنهم يجهلون مبادئ الشيعة . والغرض أن تلك العوامل التي  
اتخذها خصوم آل البيت وحسبوا كل حساب لنجاحها قد باءت بالفشل ولم  
تنتج النجاح المطلوب .

ولا بد لنا من عرض صورة موجزة عن لجنة الوضع وأعمالها  
تماماً للغرض .

## جبة الوضع

اتسع نطاق الكذب على الله وعلى رسوله ، وتلاطمت امواج الافتراء ،  
وتصدر قوم لا امانة لهم ، ولا دين يردعهم ، ولا عهد لهم بالصدق ، فحدثوا  
الناس بالأكاذيب ، ونمقوا وزوروا ، ووضعوا من الأحاديث انى شاءت  
رغباتهم ، ارضاء لسلطان لا يرعى للصدق حرمة ، ولا يرى للدين قيمة ، فدرج  
الناس على ذلك وتلقنوا تلك الاحاديث بلا تمحيص ولا تتبع ، ولا اريد أن  
أعرض لعهد الصحابة وما احدثوا فيه من أحاديث ، ولعل يد الوضعين انتخب  
سلسلة تتصل بهم في الحديث ، فان اصحاب محمد (ص) أجلّ قدراً وأعلى منزلة  
من تعمد الكذب عليه ، إلا من صارعته الدنيا فصرعته ، وباع آخرته بدنياه  
فكان نصيبه الخسران ، وما هو من مصداق الصحبة في شيء كسمرة بن جندب  
وغيره الذي كان يساومه معاوية في وضع الأحاديث أو تحريف ما انزل الله  
بمئات الآلاف من الدنانير .

ولكن تريد ان تعرض لعصر اشتداد الفوضى في العقيدة . والخروج  
على حدود الأمانة في النقل يوم دار الزمان دورته . ودبّ داء الحسد والتنافس  
على حب الرئاسة والتقرب الى السلطان . عندما اشتدت حاجته الى مرتزة يجعلهم  
قنطرة الى غايته ، ليبرر مواقفه المخالفة لاحكام الدين . فكان ما كان من  
تشجيعه للكذابين والوضعين ، فكانت هناك سلسلة أحاديث موضوعة

رغبة في نواله ، وطالباً لاستصفاه وده ، وقد فتحت باب التقرب الى السلطان بمفاتيح  
الاكاذيب ، فدخل الكثير منهم .

يدخل غياث بن ابراهيم على المهدي ، وكان يحب الحمام ، فطلب منه  
المهدي ان يحدثه فيما يحدث عن ابي هريرة لاسبق إلا في حافر أو نصل  
وأزاد فيه أو جناح ، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم ، فلما قام غياث قال  
المهدي : أشهد انه قفا كذاب على رسول الله . ( ص ) ما قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله جناح والكنه أراد أن يتقرب إلي - ١ -

ويدخل ابو البخترى وهب بن وهب قاضي بغداد على هارون الرشيد ،  
وهارون يطير في الحمام فقال هل تحفظ في هذا شيء ؟ فقال نعم : حدثني هشام  
عن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي ( ص ) كان يطير الحمام ، فترى فضيلة  
القاضي سر يع الارتجال بوضع الأحاديث رغبة لنوال السلطان وتحبباً اليه ، بدون  
التفات الى مؤاخذه أو خوف من الله تعالى .

وكان شاه بن بشر بن ماميان معروفاً بالوضع في الدولة العباسية . ومن  
أحاديثه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً : أتاني جبرئيل وعليه قباء أسود ومنطقة  
وخنجر ، فقلت ما هذا ؟ فقال : يأتي زمان يكون لباسهم كهذا قلت : يا جبرئيل  
من يكون رئيسهم ؟ قال من ولد العباس .

واستجاب الرشيد اسحق المعروف ( بابي حذيفة ) المتوفى سنة ٢٠٠ ،  
وهو معروف بالكذب ومشهور بالوضع ، فأمره الرشيد أن يجلس في مسجد ابن  
رغبان ويحدث الناس ، فاخذ اسحق يحدث بالاكاذيب ، ويروي عن خلق من



الثقات أكثرهم ماتوا قبل أن يولد -١-

واستقدم المهدي أبا معشر السندي ، واشخصه الى بغداد ، وقال : تكون بحضرتنا تفقه من حولنا . وكان أبو معشر ماهراً بوضع الأحاديث والقصص : قال ابن جزره : أبو معشر الكذب من تحت السماء -٢- وصنف كتاب المغازي ، وروى عنه الواقدي وابن سعد ، وقد نعم في بغداد برضا كثير من رجال البلاط العباسي ، وقد استمد منه الطبري معلومات عن التاريخ الانجيلي ومن تاريخ النبي ( ص ) ، كما استمد منه بنوع خاص معلومات تاريخية تنتهي الى عام وفاته .

وناهيك ما ابتدئه هؤلاء من الأحاديث حياً للدنيا بما يقربهم عند السلطان زلفى ، لمخالفتهم الشرع وخروجهم عن سلطان العقل .

وهناك عناصر في الوضع من طراز آخر ، وهم الذين قاموا بنصر مبادئهم في وضع الأحاديث على صاحب الرسالة ، بدون مبالاة في تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله .

فإننا نعيم بن حماد بن معاوية المتوفى سنة ٢٢٧ كان ماهراً في وضع الحديث متجرباً على مقام صاحب الرسالة . قال الذهبي : وكان يضع الحديث في تقوية السنة ، وحكايات في ثاب أبي حنيفة وكان صلباً في السنة . ومنهم أحمد بن عمرو ابن مصعب بن بشر كان من الوضاعين ومن أهل السنة المجودين ووضع بذلك كتباً في تقوية السنة كلها موضوعة منتشرة عند الخراسانيين في عصره وكان معروفاً

١- تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٤٦

٢- تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٣١ .

في نصره السنة بوضع الأحاديث الكاذبة عن الثقة - ١ -  
ومنهم علي بن أحمد بن الحسين بن محمد ، كان شديد العصبية في السنة  
يضع الأحاديث في نصرتها - ١ - .  
ومنهم أحمد بن عبد الله الانصاري كان من الوضاعين لنصرة السنة ،  
وهو واضع الحديث عن ابن عمر مرفوعاً في قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه  
وتسود وجوه » قال : فاما الذين ابيضت وجوههم - أهل السنة - واما الذين  
اسودت وجوههم - أهل البدعة - ٢ - .

لقد كان خطر اولئك الدجالين عظيماً جداً ، فانهم تزلفوا لولاة الأمر  
بوضع الاحاديث ، فاتخذوا منهم اعواناً على حل مشاكل يعجزهم حلها بالقوة ،  
ولكنهم جعلوا ما يضعونه وسيلة في تعزيز مركزهم أولاً ، ومقابلة خصومهم  
ثانياً ، واشغال الرأي العام ثالثاً ، وكان الأمر الذي يهمهم قبل كل شيء ، هو أمر  
الشيعة الذين آثروا تضحية النفس على الاذعان للخصم ، ولم تربطهم معهم رابطة ،  
ولم يعترفوا بصحة تلك الولاية الجائرة ، فلا يصح لهم السكوت عن معارضتها وهم  
ظالمون لهذا المنصب ، لذلك اتخذت السلطة معهم طرق المكر والخداع والتمويه  
على الناس ، حتى بلغ بهم الأمر الى وضع الأحاديث بخروج الشيعة عن الاسلام  
كما مر بيانه ، وهي تدل بمنطوقها على تحليل دمائهم ومعاملتهم معاملة الكفرة ،  
مع العلم بان ذلك لا ينطبق مع الواقع ، ورجال الامة لم يكونوا بتلك الدرجة من  
الانحطاط وعدم المعرفة بحيث يجهلون الشيعة وما لهم من الأثر في المجتمع الاسلامي ،  
فقبول مثل تلك المنكرات أمر شاق يصعب تحقيقه . ويبعد نجاحه ولكن السلطة

١- تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٣

٢- شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٦

بذرت تلك البذرة في أذهان السواد وجعلت تعاهدها ورعايتها بيد علماء السوء الذين اتخذوهم أعواناً في ساعة هم أحوج اليهم من السيف والجنود ، فقوة فتكهم فوق ذلك حتى أثمرت الشحنة بين أفراد المجتمع الاسلامي ، وتركوها قرحة دامية في جسم الامة عجز رجال الاصلاح من علاجها .

وقد كان اولئك الدجالون على انواع في الوضع ، واختلاف في الغاية . فمنهم من يضع الحديث طمعاً في الدنيا وترزناً لولادة الأمر وهم الذين نعبر عنهم بالجنة الوضع ، أول من اتخذ ذلك معاوية بن ابي سفيان -١- ومنهم من كان يتعصب لمبدئه فيضع الحديث تقوية له ، ومقابلة لخصمه ويعدون ذلك تديناً ، وسيدالون الجزاء عليه يوم الجزاء .

ومنهم من يضع الحديث في نصرة مذهبه ، وهؤلاء يرون الانتصار لمذهبهم انتصاراً للحق ومقاومة للباطل ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فراحوا يضربون الأحاديث بمهارة في الضرب ، ويخلقون الحكايات والقصص ، ويطول بنا الحديث اذا أردنا التوسع في البحث عن الموضوعين والكذابين ، ولعل لنا في الوقت متسعاً فننشر اسماهم بالتفصيل ، وقد أحصى شيخنا الأميني منهم عدداً بلغ ستائة وعشرين ومجموع ما وضعوه من الاحاديث وما قبلوا أسانيدهم على اختلاف الاهواء والنزعات فكان ٤٠٨٣٢٤ حديثاً -٢-

وقد أخرجنا من تلك الموضوعات ما يقارب الاربعائة في فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وفي بعضها أساطير لا احاديث ، وحكايات يصنعها القصاصون ذكرناها في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

١- شرح النهج ج ١ ص ٢٥٨

٢- الغدير ج ٥ ص ٢٤٥

ولعمري إنها محنة وليكن كيف المخرج؟ وهل يتسنى لنا تصفية الحساب  
لنعالج هذه المشاكل؟ كيف وقد سرى داؤها في المجتمع، وأخذها المهرجون  
مأخذ القبول وجعلوها بمحل الاعتبار، وراحوا يؤيدون تلك الموضوعات إن  
وافقت أغراضهم، وجعلوها في لغة الاحتجاج، ولم يلتفتوا لحالها وحال رواتها  
لذلك نرى من أعماء التعصب فضعفت مواهب إدراكه، ولم يستطع تمييز الحق  
من الباطل وقد خانته الأتزان والتعقل. فهوّس وهرج. وموه وافترى. وحاول  
اخفاء حقيقة لا يمكن اخفاءها.

ولا بد لنا من الإشارة الى بعض أعمال القصاص وما لهم من الأثر في  
توجيه الرأي العام لقبول تلك المنكرات عند العامة. فانهم قاموا في المساجد  
والجوامع والطرقات والاندية يذنون تلك المنكرات نصرّة للسلطة. وتأييداً للمبادئ.  
ولقد اتخذت السياسة منهم سلاحاً فاتكاً. فكانوا يتخذون القصاصين في ساحات  
الحرب. يشجعون الجند على التضحية حتى تطورت الحالة الى اختراع الاحاديث  
والقصص لوقوع الفتن بين طوائف المسلمين. ولقد خضعت العامة لتصديقهم  
وقبول معتلاتهم حتى أصبح من العسير الانكار عليهم.

يحدثنا الشعبي: أنه انكر على قاص حدث عن النبي صلى الله عليه وآله  
أن الله خلق صورين له في كل صور نفختان. فقال الشعبي: اتق الله يا شيخ  
ولا تحدث بالخطأ إن الله لم يخلق إلا صوراً واحداً. فقال القصاص: يا فاجر إنما  
حدثني فلان عن فلان وترد علي، ثم رفع نعله فضربه، وتتابع القوم عليه بالضرب  
فما خلاص نفسه حتى حلف ان الله خلق ثلاثين صوراً في كل صور نفخة. ١-  
وحدث أحدهم بحديث عن النبي (ص) ان من بلغ لسانه أرنبة أنفه

لم يدخل النار فلم يبق أحد منهم إلا وأخرج لسانه يؤذي به الى أرنبة أنفه . ١ -  
ويحكى عن الطبري : انه انكر على قاص بعداد ما يحدث به من الاكاذيب  
فرمى العامة باب دار الطبري بالحجارة حتى سدوه وصعب الخروج منه .  
ونزل القصاص الى غمار العامة يقصون لهم القصص الدينية ، والأساطير  
والنوادير في المساجد والطرق ، وينالون منهم مالا كثيراً وكان يجتمع اليهم الرجال  
والنساء قال ابن الجوزي في المنتظم : وكان القصاص في أواخر القرن الرابع  
اكبر مشيري الفتن بين السنة والشيعة .

ولو حاولت - أن أصف هنا عظيم الاثر الذي أثرته تلك الأوهام ،  
والاكاذيب التي وضعها الدجالون وكان القصاصون يلقنون بها العامة ، وبالاخص  
بنفس الشيعة وعداء أهل البيت - اطال بنا الحديث ، وعظمت قائمة الحساب ،  
ولكننا نقتصر على هذا القدر ولا نلم بجميع العوامل التي دفعت الناس الى التهجم  
على الشيعة ، فذلك يحتاج الى وقت طويل ، وصفحات تزيد على صفحات هذا  
الكتاب ، ولهذا نقتصر على نتيجة واحدة في تصنيف الحساب وهي الفات نظر  
أبناء العصر الحاضر الى رعاية حقوق الامة ، وان يستعرضوا تاريخ الشيعة بدون  
تحيز واغراض ، ويلاحظوا تطور المذهب الجعفري وسيره في طريق التقدم بما لديه  
من القوى الحيوية والقدرة على مقاومة الطوارئ ، وتخطي تلك الخواجز التي  
وقفت في طريقه ، مالموقف بعضها في طريق غيره من المذاهب لما استطاع ان  
يخطو خطوة واحدة ، لأنها عوامل جبارة على أن المذهب الجعفري ليس باستطاعة  
أي أحد مؤاخذته بشيء في ذاته ، فهو موافق للحس والوجدان ، ولكتاب الله  
العزیز ، والسنة المستقيمة ، وقد وجد العقل السليم فيه بغيته ، كما أن باب الاجتهاد

مفتوح على مصراعيه وقد برهن بغزارة مادته ، ومرونة أحكامه ، ودقة بحوثه على انه أقوى مصدر للتشريع الاسلامي ، ويتطور مع تطور الزمن وكثرة الحوادث ومع هذا فمن المؤسف ان نرى الكثير ممن كتبوا عن التشريع الاسلامي قد اقتصروا على ذكر المذاهب الأربعة فحسب ، واذا انجر الحديث الى ذكر اختلاف الآراء وتعدد الأقوال في مسألة فقيية ذكروا آراء رؤساء المذاهب البائدة ولم يذكروا أقوال أهل البيت وآراءهم ، عذرنا اولئك القوم الذين دونوا الفقه في العصور الغابرة لأن الخشية من ذكر مذهب أهل البيت قد أرغمتهم على الاعراض عن ذكره ، فان التعرض لذلك انما هو تعرض للخطر ، وانكنا نعجب من بعض المتأخرين الذين ساروا على تلك السيرة الملتوية ، ولم يعطوا مذهب أهل البيت حقه من العناية في البحث ولا يستبعد أن التقليد من حيث هو قد دعاهم لمخالفة الواقع وإلزام المانع من التعرض لذكر مذهب أهل البيت عندما يكتبون عن التشريع الاسلامي ؟ وقد انتشر في أقطار الأرض وعبر الى ما وراء البحار ، وأصبح مقنعه يتجاوز عددهم التسعين مليوناً ، ولكن العصبية قاتلها الله حالت بينهم وبين التعرف على مذهب أهل البيت ، وليس عليهم كلفة في معرفته إلا أن يقرأوا الكتب المدونة في ذلك ليقنوا على الحقيقة وعليهم أن يتقبلوا الحق وان كان مرأاً .

ولعل تلك الدعايات المارة الذكر قد خامرت الادمغة ، وتوارثتها الاجيال ، وهي التي أدت الى ابتعادهم عن الحق . ولذلك قد عجز المصلحون في مسألة التوفيق بين المسلمين ، ورفع سوء التفاهم ، مع ما بذلوه من النصح ، وأجهدوا أنفسهم لتحقيق هذه الغاية ، ومن الغريب ذلك ، فانه لم يكن هناك شيء من الامور المتضادة التي لا يمكن اجتماعها في محل واحد حتى أصبح التوفيق بين المسلمين لا يدخل دائرة الامكان .

## المذاهب الاسلامية

### المذهب الجعفري

ينسب للامام أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الشهيد سبط رسول الله (ص) وريحانته ابن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ولد في المدينة المنورة سنة ٨٣ وتوفي فيها سنة ١٤٨ مسموماً وقد أشرنا في الابحاث السابقة الى بعض النواحي المتعلقة بتاريخ حياته وسنأتي له بترجمة مفصلة في الجزء القادم نشاء الله .

### المذهب الخنفي

ينسب الى الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ، من أهل كابل أو من أهل نسا أو قابل وكان اسمه عتيك بن زوطره ، وكان أبوه عبداً مملوكاً لرجل من ربيعة من بني تيم الله بن ثعلبة من فخذ يقال لهم بني قفل ، ولد سنة ٨٠ في نسا وتوفي سنة ١٥٠ في بغداد .

### المذهب المالكي

ينسب الى الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبغي ولد سنة ٩٣ بالمدينة وحمل به امه سنتين وقيل اكثر وتوفي سنة ١٧٩

### المزهب الشافعي

وينسب الى الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن  
السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطالب ، وقيل ان شافعا كان مولى  
لابي لهب فطالب من عمر أن يجعله من موالي قريش ، فامتنع فطلب من عثمان  
ذلك ففعل ، ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ١٩٨ .

### المزهب الحنبلي

ينسب الى الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس  
ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل بن شيبان  
ولد سنة ١٦٤ في بغداد وتوفي سنة ٢٤١ فيها .



ذكرنا في الأبحاث السابقة أسباب نشأة الذهب الإسلامية وانتشارها  
 بكثرة، وتعرفنا ذكر الذهب التي عرض لها الخول والتأخر فكلها  
 القاء والابادة بعد مدة، ولم يبق منها لا حيا ولا أمواتا إلا الذهب الأرمية  
 الحثي . الثالثي . الثامن . الحثي .

وقد سارت هذه الذهب في طريق الانتشار والثروة بمرور الزمن فما  
 بينه أي عارض ولم يتأخر على نظر بمرور حركة التبرع لوجه القوم وكثرة  
 العوامل ، فكانت لها المنفعة فاصبح للقول عليها اليوم .

والآن وقد انتهى بنا التعرف في البحث الى التعرف على أمة الذهب  
 الأرمية لتأخذ صورة واضحة ، والآن نبدأ التعرف على أمة الذهب  
 ابتداء التعرف على الامام أبي حنيفة أولا من حيث الزينة الزمنية لا زينة الاصلية  
 والاولوية فذلك أمر يعود لغيرنا .

**الامام ابو حنيفة**

اذا أردنا أن نعرف على شخصية أبي حنيفة التعرف مكانه في ذلك العصر  
 وأهميته في مجتمعه ، بل ربما مبادئ الرجال الذين عاصروه ، ونستخرج ذلك من  
 بقايا سلف الذين تعرفوا عليه ، ولا ننظر اليه من زاوية نظر أبو العصب .  
 لأننا نطلب الحقيقة ونقع الحق بالاعصاب له وعليه ، فان رجلا قد أصبح مرجعا  
 لفتيا الكثير من المسلمين يتدون بقواله ، ويستمعون بملحه ، فيؤمنون بالأهمية  
 يمكن فليبحث عن شخصيته ومزاجاته ، ونعرض تلك الظروف التي اكتسب بها  
 شهرته والعصر الذي عاش فيه إذا .

عزف بن قيس

وكتب الى الامام محمد بن ابي اسحق بن العباس بن عثمان بن شافع بن  
السائب بن عبيد بن عبد ربه بن عكرم بن الخطاب ، وقيل ان شافعا كان مولد  
لأبي لب غلب من عمر بن محمد بن موالى قرظ ، فاشنع غلبت من عثمان  
فكان غلب ، ولد سنة ١٤٥ ووفى سنة ١٩٥ .

عزف بن قيس

كتب الى الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن مالك بن أسد بن افراس  
ابن حيان بن عبد الله بن أسد بن عوف بن قاسط بن ملازم بن ذعل بن شيخان  
ولد سنة ١٦٥ في بغداد ووفى سنة ٢١١ .

تخبره يا ابا اسحاق

ذكرنا في الابحاث السابقة أسباب نشأة المذاهب الاسلامية وانتشارها بكثرة ، وتعرضنا لذكر المذاهب التي عرض لها الخول والتأخر فكان نصيبها الفناء والابادة بعد مدة ، ولم يبق منها لآخواننا أبناء السنة إلا المذاهب الأربعة ، الحنفي . المالكي . الشافعي . الحنبلي .

وقد سارت هذه المذاهب في طريق الانتشار والشهرة ، ولم يعرض لها فيه أي عارض ولم ينشأ لها خطر يعرقل حركة السير مع قوة المقومات وكثرة العوامل ، فكتب لها الخلود فاصبح المعول عليها اليوم .

والآن وقد انتهى بنا السير في البحث الى التعرف على أئمة المذاهب الأربعة لناخذ صورة واقعية عن كل واحد منهم بدون تعصب لهم أو عليهم ، وليكن ابتداء التعرف على الامام أبي حنيفة أولاً من حيث الرتبة الزمنية لارتبة الافضلية والاولوية فذلك أمر يعود لغيرنا .

إذا أردنا أن نتعرف على شخصية أبي حنيفة لنعرف مكانته في ذلك العصر وأهميته في مجتمعه ، يلزمنا مناقشة الرجال الذين عاصروه ، ونستنتج ذلك من بقايا السلف الذين تعرفوا عليه ، ولا ننظر اليه من زاويتي الغلو أو التعصب ، لأننا نطلب الحقيقة وتتبع الحق بلا تعصب له وعليه ، فان رجلاً قد أصبح مرجعاً للفتيا لكثير من المسلمين يقتدون باقواله ، ويتمذهبون بمذهبه ، فهو من الأهمية بمكان فلنبحث عن شخصيته ومؤهلاته ، وندرس تلك الظروف التي اكتسب بها عبقريته والعصر الذي عاش فيه إذآ :

## من هو ابو حنيفة؟

هو النعمان بن ثابت بن زوطي من أهل كابل، مات جده على غير الاسلام ويقال ان ابيه أسلم ، فكان مولى لبني تيم الله ، وولد ابو حنيفة على الاسلام ولن يتحقق لنا تاريخ وروده العراق ، لاختلاف الروايات في ذلك ، فبعض يقول : انه ولد في نسا ، وبعض يقول : انه ولد في العراق كما ان الاختلاف واقع في نسبه ، فمن قائل : انه ابن ثابت بن طاوس بن هرمز ملك شيان ، وذهب بعضهم الى انه من الانصار ، وهو النعمان بن ثابت بن زوطيا بن يحيى بن راشد الأنصاري ، وقيل من أبناء افريدون من نسل ملوك العجم ، الى آخر ما هنالك من الاقوال الشاذة .

والصحيح الذي عليه الاجماع انه النعمان بن ثابت بن زوطي كما تقدم وليس لنا غرض بذكر الخلاف واستقصائه .

أما امه فلم يتعرض التاريخ لذكرها بالتفصيل ، وقد ذكر لها أخبار معه من حيث طاعته ومعاشرته لها . وقد وافانا الاستاذ السيد عفيفي المحامي الشرعي بمصر ، ومحرر مجلة المحاماة الشرعية ، بقصة من دون سند يتكفل تعيين ام الامام وشخصيتها واليك نصها :

يقول الاستاذ السيد عفيفي عند ذكره لوالد أبي حنيفة : هو ثابت بن النعمان ابن المرزبان ، وكان ثابت هذا يرجع الى دين وعقل ومروءة ، تصدر عن جد ، فقد روي انه كان في شبابه ورعاً زاهداً ، وكان يوماً يتوضأ من جدول نخاءت

تفاحة في الماء فامسكها واكلمها بعد الفراغ من الوضوء ، ثم بصق فرأى بصاقه دماً فقال في نفسه : لعل ما أكلته حرام ، وإلا لما تغير بصاقي ، فتبع رأس الجدول فوجد شجرة تفاحها مثل ما أكل ، فطلب صاحبها وقص عليه القصة وأعطاه درهما وقال : اجعلها في حل ، فلما رأى صاحب التفاحة ورعه وصلابته في دينه أحبه ، وقال لا أرضى بدرهم ولا بألف درهم ولا باكثير ، فقال ثابت : فبم ترضى؟ قال إن لي ابنة لا ترى ولا تنطق ولا تسمع ولا تمشي فان تزوجتها اجعلها في حل وإلا اخاصمك يوم السؤال والحساب ، فلبث ثابت في التمتكر ساعة ثم قال في نفسه عذاب الدنيا أسهل وينقضي ، وعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وتزوج بها فلما دخل عليها قبلته بقبول حسن فاشتبه على ثابت الأمر لأنه وجدها حسناء سمیعة بصيرة ناطقة ، فقالت له أنا زوجتك بنت فلان قال : وجدتك على خلاف ما وصفك أبوك ، قالت : نعم فإني كنت من سنين لم أطأ خارج البيت ولم أنظر الأجانب ولم أسمع كلامهم ولم يسمعوا كلامي ، فعرف ثابت الحال وقال : (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) .

يقص علينا الاستاذ الخالمي هذه القصة غير ملتفت الى المؤاخذات التي يؤاخذ بها بصفته مثقفاً من أبناء القرن العشرين ويتولى مهنة المحاماة الشرعية .  
فيمعلق عليها بقوله : هيئات لا يأتي الزمان بمثل ثابت ، ولا بمثل صاحبه فلا عجب ان يتولد منها ولد في صورة الانسان وسيرة الملك ، ويحيي الله به دينه القويم ويشيع مذهبه في الأقطار ، وعلمه في الامصار ، ويستنتج من ذلك بقوله : من هذا الوالد الورع الزاهد وهذه الام الطاهرة ولد الامام الأعظم ابو حنيفة النعمان في مدينة الكوفة في سنة ٨٠ من الهجرة النبوية في عصر الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان .

ويقول بعد ذلك ان اسمه النعمان وهو منقول من اسم جنس وقيل انه الدم وقيل انه الروح ، فيكون اتفاقاً حسناً لأن ابا حنيفة روح النقه وقوامه ومنه منشأ ونظامه .

ونحن نسائل الاستاذ المحامي عن الأسباب التي دعت له لنقل هذه الاسطورة في مقدمة كتابه - حياة الامام ابي حنيفة - أ كان انتصاراً للامام ليعان بفضله وفضل أبيه وامه ؟ وهل ضاقت عليه المسالك في مناقب أبي حنيفة فالتجأ الى أساطير العجائز في ليالي الشتاء؟ كيف؟ وقدملاً للموفق الخوارزمي تلك الصحائف في مناقب ابي حنيفة بما شامت له رغبته ، ولعل تلك المناقب لم تصح عنده والحق معه وباليته ترك هذه الاسطورة ، وهو المثقف الذي يحمل شهادة المحاماة ، وبالطبع ان المحامي يحمل عقلية جبارة وفكراً واسعاً يستطيع به مقابلة القانون ، ونسائله أيضاً لو قدر للشيخ عفيفي حضور تشاجر الفلاح مع ثابت وطلب كل منهما حكمه في الأمر أ كان يحكم على ثابت بانه مجرم ويلزمه بارضاء الفلاح بكل صورة؟ وهل في وسع الشيخ ان يحكم بصحة ما ذهب اليه ثابت من أن التفاحة كانت حراماً لذلك تحولت الى دم؟ وكيف يكون ذلك من الوجهة الطبية؟ أنا لا أدري ولعل الاستاذ محب الدين الخطيب يدري ، لأنه قدم الكتاب وعرفه وكان اللازم عليه أن يلتفت الى قبح وجود هذه الاسطورة وهو يدعي منزلة المعرفة ، لذلك أصبح ينقد بقلمه شيعة أهل البيت وأئمتهم ويريد أن يجعل الاسلام له وحده، وكان من خدمة الاسلام ان ينزه كتاب حياة ابي حنيفة عن أمثال هذه الاسطورة ، ولعله ذهب الى صحتها لأن جدته حدثته بذلك ، وان أكثر أحاديث الاستاذ الخطيب وآرائه في نقده من أحاديث العجائز وآراء الاطفال .

## المناقب

لعل من أهم المشاكل التي تقف أمامنا ونحن في طريق البحث عن حياة أبي حنيفة هي مشكلة المناقب ، فانها متضخمة الى أبعد حد ، ولا نستطيع ان ندرس حياة أبي حنيفة دراسة صحيحة الى بعد الفراغ من مشكلة المناقب لأنها أهم شيء في الباب .

فقد قال اصحاب المناقب ينبغي لكل مقلد امام ان يعرف حال امامه الذي قلده ، ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة مناقبه وشأله ، وفضائله ، وسيرته في أحواله ، وصحة أقواله ، ثم لا بد من معرفة اسمه وكنيته ونسبه وعصره وبلده ، ثم معرفة أصحابه وتلامذته وقد ألف كل من علماء المذاهب كتباً في مناقب امامه ، فالف الحنفية كتباً في مناقب أبي حنيفة : منها عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان ، ومختصره ( قلائد عقود الدرر والعقيان ) لأبي جعفر الطحاوي و ( مناقب أبي حنيفة ) لموفق الدين بن أحمد المكي الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ رتبته على أربعين باباً ، و ( البستان في مناقب النعمان ) للشيخ محي الدين عبدالقادر بن أبي الوفاء ، و ( شقائق النعمان في مناقب النعمان ) للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ، و ( مناقب أبي حنيفة ) لمحمد بن محمد الكردري المعروف بالزازي المتوفى سنة ٧٨٢ وقد ترجم الى اللغة التركية وغيرها وتوجد مناقب كثيرة في بطون الكتب على اختلاف نزعة المؤلفين وأهوائهم ، يقول الدكتور أحمد أمين : كما ان العصبية المذهبية حملت بعض الاتباع لسل كل مذهب أن يضعوا الأخبار لاعلاء شأن امامهم ،

و.ن هذا الباب مارووا من الأحاديث بتبشير النبي صلى الله عليه وآله لكل امام من مثل ماروي ان النبي (ص) قال في أهل العراق : « ان الله وضع خزائن علمه فيهم » ومثل : « يكون في امتي رجل يقال له النعمان بن ثابت ، ويكنى بابي حنيفة يحيي الله على يديه سنتي في الاسلام » الخ ، حتى لقد زعموا ان ابا حنيفة بشرت به التوراة ، وكذلك فعل بعض الشافعية في الشافعي ، والمالكية في مالك ، وما كان اغناهم عن ذلك . ومن اجل ذلك صعب على الباحث معرفة التاريخ الصحيح لكل امام ، فقد كان كلما أتى جيل زاد في فضائل امامه .

لذلك نرى من اللازم البحث عن بعض المناقب التي أصبحت التسليم بصحتها أمراً مفروضاً عنه ، وترسل في معرض المدح والثناء ارسال المسلمات . وهانحن نضع بين يدي القراء أهم المناقب في ابي حنيفة ونعطيها عنها صورة صادقة من حيث الصحة والبطان ، فالعلم هو الكاشف لذلك ، والتحقيق في البحث يرفع تلك المشاكل ، ولا غرض لنا بهذا إلا تجريد شخصية أبي حنيفة من ابراد الغلو لناخذله صورة طبق الأصل .

### المبشائر في ابي حنيفة

أورد الحنفية في كتبهم احاديث عن صاحب الرسالة (ص) تنص على البشارة بابي حنيفة وتصرح باسمه ، وكنيته ، منها :

١ — يكون في امتي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج امتي .

٢ — يكون في امتي رجل اسمه النعمان وكنيته ابو حنيفة .

٣ — يكون في امتي رجل يقال له النعمان بن ثابت يكنى بابي حنيفة

يحيي الله به سنتي .



بهذا اللسان والتعبير أوردوا هذه الأحاديث عن صاحب الرسالة ونحن نقف هنا موقف الحيرة أترك هذه الأحاديث بدون فحص ونسدل عليها ستار الاعراض - فالعقل السليم أجل من ان يحتاج الى ايضاح مثل هذه الامور التي تدل بنفسها على بعدها عن الواقع أم - نبحت عنها فنصرف زمناً في البحث لطالب الحقيقة فقط ؟ نعم البحث عنها أولى ، لأننا وجدناها في كتب الحنفية المعتبرة ، ويستدل بها اكثر علماءهم في صحة اتباع مذهب ابي حنيفة دون غيره ، على ان المبرزين منهم يكذبون ذلك وينصون على كذبها كما سيأتي بيانه ، إذاً لا بد لنا من البحث عن مصدر هذه الأحاديث والنظر في سلسلة الرواة .

### مرث السراج

وهذا الحديث استشهد به كثير من الحنفية في تفضيل ابي حنيفة على غيره ذاهبين الى صحته فلننظر الى سلسلة الحديث ، ونكتفي ببعض منها ولا نتبع حلقاتها أجمع ، فسلسلة الحديث تبدأ من محمد بن سعيد البورقي ، وتنتهي لأبي هريرة ، اما محمد بن سعيد فاليك حاله ومنزلته في الرواية لتعرف أهليته لحل الحديث ، قال ابن حجر : محمد بن سعيد البورقي أحد الوضاعين قد وضع المناكير على الثقات وأوحشها روايته عن بعض مشايخه عن الفضل بن موسى عن محمد بن عمر عن ابي سلمة عن ابي هريرة مرفوعاً يكون في امي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج امي ، وزاد رواية أخرى ، وسيكون في امي رجل يقال له محمد بن ادريس ( يعني الشافعي ) فتنته على امي أضرم من فتنة ابليس - ١ -

وقال حمزة السهمي : محمد بن سعيد كذاب حدث ببلاد خراسان ( سيكون

في امي رجل يقال له النعمان هو سراج امي ) ثم حدث في العراق باسناده وزاد  
( سيكون في امي رجل يقال له محمد بن ادريس ففتنه على امي اضر من فتنة  
ابليس ) وقال الحاكم : ( محمد بن سعيد حديثه ليس بشيء ) .  
ويقول ملا علي القاري ، وهو أكبر علماء الحنفية وله كتاب في مناقب  
أبي حنيفة : وقد أورد بعضهم في مدح أبي حنيفة وذكر حديث السراج وهو  
حديث موضوع .

### محيي الدين ومجرده

وهذا الحديث بهذا اللفظ أورده مرفوعاً ( سيكون رجل يقال له النعمان  
ابن ثابت ويكنى بابي حنيفة يحيي دين الله وستي )  
وقد أجدد الموفق نفسه في تصحيح هذا الحديث ولم يوفق ، وراوي هذا  
الحديث يحيى بن سليمان عن ابراهيم بن أحمد الخزازي عن أبي هدبة ابراهيم بن  
هدبة عن أنس بن مالك مرفوعاً ولا حاجة بالتعرض لرجالها أجمع ونكتفي بذكر  
من رواها عن أنس وهو ابراهيم بن هدبة ، قال الخطيب في تاريخه : ابراهيم بن  
هدبة حدث عن أنس بالباطيل . وقال ابو حاتم وغيره : انه كذاب خيث وقال  
ابن حبان رجال من الدجاجة كان لا يعرف بالحديث - ١ -

وقال بشر بن عمر كان في جوارنا عرس ، فدعى له ابو هدبة فاكل  
وشرب ، وسكر فجعل يغني :

أخذ القمل ثيابي فرقصت لهنه - ٢ -

وقال علي بن ثابت : ابو هدبة اكذب من حماري - الى آخر الأقوال

١- لسان الميزان ج ١ ص ١٢٠

٢- تاريخ ابن عساكر

فيه وفي فسقه ، وانه كان يسأل الناس في الأسواق مع انه كان من أهل القرن الثالث . فكيف سمع من انس ؟ فلاشك في كذبه إذاً فالحديث موضوع على صاحب الرسالة وقد اختلفت الفاظ هذه الموضوعات لاختلاف الغرض في وضعها ، وذلك انها اشارة في أول الأمر الى الكنية فقط ، وبهذا وقعوا في حذر عظيم ، لأن الذي يكنى بابي حنيفة من العلماء كثير ، فذهبوا الى الصراحة بالاسم ، فقالوا : اسمه النعمان بن ثابت ويكنى بابي حنيفة ، ليخرجوا بذلك جملة من العلماء الذين اشتهروا بهذه الكنية فمنهم :

ابو حنيفة محمد بن ماهان صاحب القضيبي الواسطي .

ابو حنيفة الكوفي والد عبد الكريم - ١ -

ابو حنيفة الصوفي - ٢ -

ابو حنيفة الفارسي عبد الوهاب بن علي البغدادي من أهل الجانب

الشرقي - ٣ -

ابو حنيفة نخزم - بالفاء والحاء المهملة - بن عبد الله بن نخزم الشافعي وكان

من العلماء الذين تصدروا للفتيا ،

ابو حنيفة عبد الرحمن بن الحسن بن احمد الزوزني - ٤ -

ابو حنيفة الاصمباني من الفقهاء المبرزين عند الحنفية - ٥ -

ابو حنيفة الدينوري صاحب المؤلفات المشهورة .

١- انظر ترجمته في خلاصة الأثر ص ٣٧٧

٢- انظر لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٢

٣- تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣ .

٤- انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٦

٥- انظر طبقات الحنفية ج ٢ ص ٥٧١

ابو حنيفة النعمان بن ابي عبدالله محمد بن منصور بن حنون كان أحد الأئمة اليهم تشد الرحال ، وكان من أوعية العلم والفقه والدين والنبل على مالا مزيد عليه - ١ - كان مالكيًا وتحول اماميًا .

فهؤلاء العلماء يشاركون ابا حنيفة بالكيفية ، ويشملهم عموم تلك الأحاديث ، فدفعوا هذا الشمول بذكر اسمه واسم ابيه ليسلم الامام ابو حنيفة من المشاركة بهذه البشائر النبوية ، وقد كان لهذه الموضوعات أثر في طريق الاحتجاج لتأييد مذهب ابي حنيفة في عصر اشتدت فيه العصبية المذهبية ، وكلما طال الزمن كثرت سلسلة الرواة ، وتطورت الاسانيد واختلفت الالفاظ ، حتى رويت بطرق متعددة ، ومخارج متفرقة ، وقد نص الحفاظ على وضعها .

قال السيوطي عند ذكر هذه الأحاديث : إن الذي وضع حديث ابو حنيفة سراج امتي هو مأمون بن أحمد السلمي ، وأحمد بن محمد الجويباري ، وكلاهما من الوضاعين - ٢ -

وهذه الأحاديث تروى من طرق متعددة ، والمحور الذي تدور عليه ، هم سعيد البورقي ، ومأمون بن أحمد الهروي ، وأحمد بن محمد الجويباري ، ومحمد ابن يزيد الطرسوسي ، وإبان بن عياش وهو الراوي عن أنس و ابراهيم بن هذبة راوي حديث محيي السنة وكل هؤلاء عرفوا بالكذب والوضع .

اما مأمون بن أحمد السلمي الهروي ، وهو راوي حديث يكون في امتي رجل يقال له النعمان الى آخره . قال ابو نعيم في مقدمة المستخرج على صحيح مسلم : مأمون السلمي من أهل هرات خبيث وضاع يأتي عن الثقات ، مثل هشام بن عمار ،

١- انظر ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦ ط ١

٢- التاليف المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ج ١ ص ٢٣٧

ودحيم بالملفوظات ، وفيما حدث عن أحمد الجويباري الكذاب عن عبد الله بن معدان الأزدي عن أنس مرفوعاً: سيكون في امتي رجل يقال له النعمان. الحديث قال ابو نعيم: مثله يستحق من الله تعالى ومن الرسول ومن المسلمين اللعنة. وقال الحاكم بعد ذكر الحديث من طريق مأمون: ومثل هذه الأحاديث يشهد من رزقه الله أدنى معرفة بانها موضوعة على رسول الله (ص). وأما محمد بن يزيد فقد كان من الوضاعين، وقد روي هذا الحديث عن سليمان بن قيس عن ابي المعلى ابن مهاجر عن ابان عن أنس قال ابن حجر: وسليمان بن قيس والمعلى مجهولان لا يعرفان -٢- وأما ابان بن ابي عياش البصري مولى عبد القيس وهو الراوي عن أنس، فقد كان يحيى بن معين، وعبد الرحمن بن المهدي لا يحدثن عنه. وقال الفلاس: هو متروك الحديث، وقال احمد بن حنبل: لا يكتب عنه ترك الناس حديثه. وقال ابو عوانة: لأستحل ان اروى عنه شيئاً، الى آخر ما هنالك من الأقوال في ذمه، وقد نص بعضهم على كذبه، قال ابن حبان: ان ابان سمع من انس احاديث وجالس الحسن فيمكن يسمع من كلامه: فاذا حدث جعل كلام الحسن البصري عن أنس أحاديث عن النبي (ص) ولعله حدث عن انس باكثر من ١٥٠٠ حديث. قال الجوزجاني: ابان ساقط، وقال شعبة: لئن اشرب من بول حماري أحب إلي من ان اقول حديثي ابان، وقال مرة: لئن يزني الزاني خير من أن يروي عن ابان. وقال أيضاً لا يحل الكف عن ابان انه يكذب على رسول الله -١- وقد مر ذكر ابراهيم والبورقي.

وأما الجويباري فقد نص على كذبه الذهبي في الميزان، وابن حجر في

١- لسان الميزان ج ٥ ص ٧

٢- تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٨

لسانه والسيوطي والخطيب البغدادي وغيرهم ونحن لا نتعرض لجميع تلك الأقوال الادعائية في البشائر النبوية التي التجأ اليها المعجبون بأبي حنيفة ، والمغالون بشخصيته ، ونكتفي بهذا القدر من التوهين لها ، وعلم الله أني لم اجث عنها متحاملاً عليه ، ولو وجدت طريقاً لتصحيحها لكان واجباً علي إثباتها بطرق الصحة فليست لي معه غاية ، وإنما انا باحث والباحث يجب ان يتبع الحقيقة ، وصدقني إن قلت ان تلك الأحاديث التي رواها الخوارزمي ، والبزاز ، وغيرها في مناقب ابي حنيفة إنما أوردتها بطرق مظلمة هي ما بين كذاب ومجهول ، علي ان اكثر من كتب في مناقب ابي حنيفة لم يذكر هذه الأحاديث لعدم الاعتماد عليها كالسيوطي في تبيين الصحيفة وابن حجر في الخيرات الحسان - ١ - وملا علي القاري ، والذهبي في مناقب ابي حنيفة ، وقد سلك السيوطي طريقاً آخر لاثبات تبشير النبي ( ص ) بأبي حنيفة .

قال : وقد بشر النبي ( ص ) بأبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه ابو نعيم في الحلية من طريق ابي هريرة لو كان العلم بالثريا لتناولته رجال من ابناء فارس ، وهذا لا يمكن وفي ابناء فارس من حملة العلم من الصدر الأول الى اليوم من العلماء ما ينطبق هذا العموم عليهم فكيف يخصص بأبي حنيفة وحده ! هذا من التخمين والظنون وهو من باب أريه السهي ويريني القمر .

١- قال ابن حجر في الخيرات الحسان ص ٥ عند ذكر الحديث : قد أطبق المحدثون

## غياب لكل مهموم

روى الموفق بسنده عن محمد الحارثي باسناده الى ابي البختری قال : دخل ابو حنیفة علی جعفر بن محمد الصادق ، فلما نظر اليه قال : كأني انظر اليك وأنت تحيي سنة جدي بعدما اندرست ، وتكون مفزعا لكل ملهوف ، وغيانا لكل مهموم .

هكذا نقل الموفق بهذا السند يوصله الى ابي البختری ، ونحن في سعة عن مناقشة رجال السند أجمع ، بل يلزمنا ان نتعرف على شخصية ابي البختری الذي يدعي سماع هذه الكلمات من الامام الصادق ، فاذا كان محله الصدق والثقة فنحن نأخذ هذه الرواية بعين الاعتبار ، إذ ليس لنا عداة مع الحق ، إذا

### من هو البختری ؟

هو وهب بن وهب بن وهب القرشي ابو البختری قاضي بغداد ، الذي يقول فيه المعافي :

ويل وعول لأبي البختری اذا ثوى للناس في المحشر

من قوله الزور واءلانه بالكذب في الناس على جعفر

وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات في حوادث سنة ٢٠٠ : وفيها مات وهب بن وهب ابو البختری الى ان قال : روى عن هشام بن عروة . وطائفة واتهم بالكذب .

وقال ابن قتيبة في المعارف : كان ضعيفا في الحديث كذبه في المغني ،

وقال يحيى بن معين : أبو البختری كان يأخذ فلساً فيذكر عامه ليلة يضع الحديث ،  
وقال أيضاً : أبو البختری القاضي كان يكذب على رسول الله ( ص ) . وقال  
أيضاً : أبو البختری كذاب عدو الله خبيث .

وقال عثمان بن أبي شيبة : وهب بن وهب ذلك دجال أرى أنه يبعث يوم  
القيامة دجالاً ، ولما بلغ عبد الرحمن بن مهدي موته قال : الحمد لله الذي أراح  
المسلمين منه ، وقال ابن خلكان : أبو البختری كان متروك الحديث ، مشهوراً  
بوضعه ، ونص أحمد على كذبه ، وروى الخطيب أن أبا البختری دخل على الرشيد  
وهو قاض يوم ذلك ، وهرون يطير الحمام فقال : هل تحفظ في هذا شيء ؟ فقال :  
حدثني هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي كان يطير الحمام - ١ -

وساق ابن عدي لأبي البختری أحاديثاً موضوعة قال : وأبو البختری  
من الكذابين الوضاعين ، وكان يجمع في كل حديث يرويه أسانيد من جسارته  
على الكذب ووضعه على الثقات - ٢ -

هذا هو أبو البختری راوي هذه المنقبة التي ذكرها الخوارزمي في مناقب  
أبي حنيفة .

ونسوق إليك قضية من قضايا قاضي القضاة فضيلة أبي البختری لتعرف  
أهليته لهذه المنزلة ، كان الرشيد قد أعطى ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن  
ابن علي بن أبي طالب كتاب الأمان ثم أراد إبطاله فسأل محمد بن الحسن الشيباني  
صاحب أبي حنيفة ، فقال هذا أمان صحيح ودمه حرام ، فدفع الكتاب إلى  
الحسن بن زياد فقال بصوت ضعيف : أمان ، فدخل أبو البختری وهب بن وهب

١- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٥٣ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٢ و١٨١

٢- لسان الميزان ج ٦ ص ٢٣١



القاضي ، وأخرج من خفه سكيناً فقطع الكتاب من غير ان يسأل عنه ، وقال :  
هذا أمان مفسوخ وكتاب فاسد ودمه في عنقي -١- وبارتكابه لهذه الجريمة واراقتة  
دم رسول الله (ص) نال درجة الرقي في مناصب الدرلة ، وخطا خطوات واسعة  
إذ قال له الرشيد عند صدور هذه الفتيا أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك .  
واجازه الرشيد بالف الف وستائة الف درهم فيها هو قد أصبح بعد ان كان واحداً  
من القضاة واذا به رئيسهم الأول ، ومرجعهم الأعلى تناط به امورهم ، ومن سوء  
حظ الامة ان تكون سلطتها التشريعية بيد قضاة لا يخافون الله  
ولا يرجون معاداً .

وسيمر عليك ذكره انشاء الله عندما يمر موكب القضاة ، في معرض حديثنا  
عنهم لتعرف تلك الشخصيات التي اتخذتها السلطة الجائرة اعوانا يذبجون بأيديهم  
ضحايا الاسلام ، وفي طليعتهم قاضي القضاة ابو البختری ذلك الرجل الجريء  
الذي أراق الدماء وسلب الاموال وأتعب نفسه في الكذب على الله وعلى رسوله  
فاغضب الله عليه وأرضى أسياده لينال رغبات نفسه الشريرة تحت ظل سلطانهم  
الجائر ، هذا هو واسطة الحديث عن جعفر بن محمد في الرواية السابقة وهذا  
نصيبتها من الصحة .

يقول سويد بن عمرو بن الزبير في أبيات له :

انا وجدنا ابن وهب حين حدثنا عن النبي أضاع الدين والورعا

يروى أحاديث من أفك مجمعة اف لوهب وما يروي وما جمعا -٢-

١- انظر مفتاح السعادة لجامد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده ج ٢ ص ١١٠ ،

واسان الميزان ج ٢ ص ٢٣٤ .

٢- انظر ترجمة قاضي القضاة ابو البختری في لسان الميزان ج ٦ ص ٢٣٢ ، وميزان

الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٨ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٥٤ وغيرها تجد نجياً .

## بين الممد والمجزر

لقد غالى بعض الحنيفة في ابى حنيفة علواً أخرجهم عن الاعتدال في القول والتثبت في النقل ، فتقولوا وافتعلوا ، وذهبوا الى أبعد حدٍ من المدح والثناء ، وجاءوا بامور متنوعة في مناقبه وفضائله حتى وضع بعضهم كتاباً موضوعاً في مناقبه . والبيان نعطي صورة عن تلك الادعاءات الكاذبة بذكر البعض ، وللتفصيل محل آخر .

انهم ذكروا ان ثابتاً والد ابى حنيفة ذهب به الى علي بن ابى طالب عليه السلام فدعى بالبركة فيه وفي ذريته ، وهذا أمر بين خطأ وظاهر كذبه ، لأن الامام علي عليه السلام توفي سنة ٤٠ وولادة ابى حنيفة كانت سنة ٨٠ وعلى هذا فيقتضي ان اباحنيفة عمره في ابتداء الدولة العباسية كان قد تجاوز المائة . ومن أظرف ما ينقل من كرامات ابى حنيفة فضية الدهرى الذى ورد بغداد لينظر علماء الاسلام أيام الدولة العباسية ، وانهم عجزوا عن جوابه ولم يبق إلا حماد بن سليمان ومعه تلميذه ابو حنيفة ، ولهذا الاسطورة صور في النقل : ( منها ) ان دهرى من الروم ناظر علماء الاسلام فاحمهم لإحماداً . ولم يأت أحد بما فيه مقنع . والامام إذ ذاك كان صبيلاً تخاف حماد لأجل انه لو الزمه يهون أمر الاسلام . فرأى رؤيالا حاجة لنا بنقلها -١-

فذهب ابو حنيفة مع استاذه الى الجامع . وصعد الدهرى المنبر . وطلب

الخصم ، فحضر ابو حنيفة وهو صبي ، فاستحقره الدهري ، قال ابو حنيفة : دع هذا وهات كلامك ، فتعجب الدهري من جرأته فسأله الدهري باسئلة فاجاب عنها فقال ابو حنيفة : هذه الاسئلة وأنت على المنبر وأنا أجبت عنها ، والآن انزل الى الأرض وانا أصعد المنبر ، فنزل وصعد ابو حنيفة وقال : اذا كان على المنبر مشبه مثلك انزله ، واذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه ، ( كل يوم هو في شان ) فهبت الدهري وقتلوه ، هكذا دون أصحاب المناقب هذه الاسطورة ولم يلتفتوا الى المؤاخذات فانهم ذكروا ان هذه القصة قد وقعت في بغداد ، ولا يتأتى ذلك فان بغداد مصرت في زمن المنصور سنة ١٤٥ فيكون عمر ابي حنيفة في هذه القصة ٧٥ سنة فكيف يكون عمره سبع سنين؟ وان وفاة استاذة حماد بن سليمان سنة ١٢٠ بالاتفاق أى قبل تمصير بغداد بخمس وعشرين سنة . مع ان ابا حنيفة تعلمد على يد حماد ، بعد ان قضى شطراً من عمره في عمل الخبز ، واشتغل مدة بعلم الكلام ، وبعد ذلك أرشده الشعبي الى علم الفقه فالتحق بحلقة حماد ، وقد ذكرت هذه الاسطورة في عدة كتب وعلق بعضهم عليها بقوله : هذا حال الامام في صغره فكيف في كبره -١- وهل معنى ذلك إلا الخط من كرامة علماء المسلمين أجمع ليرتفع أبو حنيفة وحده ؟

اما الصورة التي ينقلها الموفق الخوارزمي فهي :

ان ملك الروم بعث مالا عظيماً بيد أمين الى بغداد ، وقال سلهم عن ثلاث مسائل ، فان هم أجابوا فادفع اليهم المال ، وإلا فارجع به ، فلما قدم بغداد جمع العلماء وصعد الرومي المنبر ، وقال : ان اجبتم عن اسئلتى اعطيتكم المال ،

١- مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٠١ ، وشرح وصية ابي حنيفة المخطوط بمكتبة

وإلا رجعت به ، فسألهم وسكت القوم وفيهم أبو حنيفة ، وهو يومئذ صبي ، فقال لأبيه : يا ابنا انا أجيئه ، فأسكته أبوه ، وقام أبو حنيفة واستأذن الخليفة في الجواب وصعد أبو حنيفة المنبر . الخ . هكذا أوردوا هذه الاسطورة واختلفوا بطرق نقلها . ومن أطرف ما نقلوه ما يرويه صاحب مفتاح السعادة ان ثابتاً توفي ، وتزوج ام الامام ابي حنيفة الامام جعفر الصادق ، وكان أبو حنيفة رحمه الله صغيراً وترى في حجر الامام جعفر الصادق وأخذ علومه منه . قال مؤلفه : وهذه ان ثبتت فهي منقبة عظيمة لأبي حنيفة .

وكيف يتأتى ذلك ويتجه ان ابا حنيفة كان صغيراً وترى في حجر الامام الصادق وقد كانت ولادة ابي حنيفة سنة ٨٠ وولادة الصادق سنة ٨٣ ؟ فلا يصح هذا وان ابوا إلا تصحيح هذه المناقب فالله قادر على كل شيء ، ولا يستبعد ان يكون المد والجزر في الأعمار كما هو في البحار .

ولنكتف بما ذكرناه ، ولا نتعرض لتلك الادعاءات الكاذبة فقد ادعوا ان التورات بشرت به ، وان صفته مكتوبة فيها ، وان الله ناداه يا ابا حنيفة اني قد غفرت لك ولمن هو على مذهبك الى يوم القيامة ، وأن النبي غبط داود لأن في امته لقمان فبشره جبرئيل بابي حنيفة ، وان حكمته اعظم من حكمة لقمان ، وأن الخضر درس عليه خمسة سنين في حياته واكمل دراسته عليه وهو في قبره الى كثير من تلك السفساف وهو من الامور التي لا تحتاج الى مناقشة ، وانما هي وليدة عصر احتدام التعصب للمذاهب ، فذهب كل الى تكوين شخصية امامه طبقاً لاهدافها ، وقد الفوا كتباً طالحة بالثناء الأجوف والمدح الكاذب .

وقد ألف أحمد بن محمد بن الصلت الحناني المتوفى سنة ٣٠٢ كتاباً في مناقب أبي حنيفة . وضع فيه أخباراً كلها موضوعة ، وقد استمد منها اكثر أهل

المناقب معلومتهم ، ( وكان أحمد هذا من الوضاعين لم يكن في الكاذبين أقل حياءً منه ١- )

وكذلك أسد بن عمر البجلي القاضي المتوفى سنة ١٩٠ كان يضع الأحاديث لنصرة مذهب أبي حنيفة ، ومثله إياه بن جعفر الكذاب المعروف وقد حرفه بعضهم عند نقله عنه بإبان ليخفي حاله ، وإياه قد خرج في أبي حنيفة أحاديث لأصل لها ٢- وقد وضع عليه أكثر من ثلاثمائة حديث ، وذكر أكثرها الحارثي في مسند أبي حنيفة ، وغير هؤلاء كثير لا يسع الوقت لذكرهم من دعوتهم عصبيتهم الى تكوين شخصية أبي حنيفة طبقاً لرغباتهم ومعاكسة للوجدان ، وبخلافه للحق ، وبذلك صعب الوصول الى معرفة شخصية أبي حنيفة .

فلنترك مناقشة تلك المناقب ولا نتعرض إلا لما له أهمية في الموضوع .  
فن ذلك قولهم : إن أبا حنيفة سمع جماعة من الصحابة ودونوا له أحاديث ذكرت في مسانيدهم فلننظر لصحة هذه الدعوى من كتبها .

١- تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٦ ، والخطيب ج ٤ ص ٢٠٧

٢- تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٤٩

## سماء من الصحابة

ذكرت كتب المناقب لأبي حنيفة أنه رأى جماعة من الصحابة وروى عنهم ليصبح بذلك تابعياً ، وهذا الادعاء يختص به الحنفية ، وقد نفى ذلك علماء الحديث والتاريخ - ١ -

كما ان اصحابه الذين دونوا مذهبه لم يثبتوه ولم يعرفوا من روايته عن الصحابة شيئاً ، وانما هو من إجحاءات العصبية ونزعة الغلو وللبيان نذكر اولئك الصحابة رضي الله عنهم وتاريخ وفياتهم ، فيتضح الأمر بطلان هذه الدعوى ، واليك البيان :

١ - عبد الله بن انيس ابو يحيى الجهني حليف الأنصار شهد العقبة الثانية واحد ، ورحل الى مصر وتوفي في الشام سنة ٨٠ أي سنة ولادة ابي حنيفة ، وقال بعضهم : توفي في خلافة معاوية سنة ٥٤ فما يروى عن ابي حنيفة انه قال ولدت سنة ثمانين ، وقدم عبد الله بن انيس الجهني صاحب رسول الله ( ص ) سنة ٩٤ ورأيتُه وسمعت منه عن رسول الله ( ص ) « حبك الشيء يعمي ويصم » لا أصل له .

٢ - عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي ابو الحرث شهد فتح مصر

١- وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٢ وصرآة الجنان ج ١ ص ٣١٠

وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٨ وتهذيب التهذيب

واختط بها داراً له ومات سنة ٨٦ وهو آخر من مات بها من الصحابة ، فما روي عن أبي حنيفة انه قال : حججت مع ابي سنة ٩٦ ، ورأيت عبد الله بن الحرث يدرس في المسجد الحرام ، وسمعت منه انه يقول سمعت رسول الله ( ص ) يقول : من تفقه في دين الله كفاه الله ما أهمه ، ورزقه من حيث لا يحتسب فهذا لا يصح لأن وفاة هذا الصحابي سنة ٨٦ وولادة ابي حنيفة سنة ٨٠ وأول حج حجه ابو حنيفة سنة ٩٦ هجرية فكيف يصح ملاقاته وسماعه منه ؟ .

قال : الشيخ قاسم الحنفي وهو من مشايخ الحنفية ان سند ذلك الحديث فيه قلب وتحريف ، وفيه كذاب اتفاقاً ، وبان عبد الله مات بمصر ولاي حنيفة ست سنين وعبد الله لم يدخل الكوفة في تلك المدة .

٣ — جابر بن عبد الله الأنصاري صحابي جليل شهد العقبة ، وغزا تسع عشرة غزوة مات بالمدينة سنة ٧٨ أي قبل ولادة ابي حنيفة بستين فما يروى عن ابي حنيفة عن جابر عن النبي ( ص ) انه أمر من لم يرزق ولداً بكثرة الاستغفار والصدقة ، فولد لجابر تسعة ذكور ، فهذا حديث موضوع لا أصل له -١-

٤ — عبد الله بن ابي أوفى الاسلمي ، صحابي ابن صحابي شهد بيعة الرضوان ، مات سنة ٨٥ وسماع ابي حنيفة منه حديث رسول الله ( ص ) « من بنى لله مسجداً كمنحصر قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » فسماعه غير صحيح لأنه طفل صغير ليس له أهلية السماع ، مع ان ابا حنيفة لم يشتغل بطلب العلم إلا بعد مدة من الزمن .

٥ — معقل بن يسار المزني بايع بيعة الشجرة ، وتوفي في خلافة معاوية

سنة ٦٠ فرواية ابي حنيفة عنه حيث يقول : سمعت معقلا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : علامات المنافق ثلاث اذا قال كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، « غير صحيح لتقدم وفاة معقل على ولادة ابي حنيفة بعشرين سنة » .

٦ — واثلة بن الاسقف بن كعب بن عامر من بني ليث بن عبدمناف ، ويكنى أبا الأسقع أسلم قبل تبوك ، وشهدها مع النبي ( ص ) نزل الشام ومات في خلافة عبد الملك سنة ٨٣ وهو ابن ١٦٥ سنة وكان آخر من مات بدمشق من الصحابة روى عنه ابو حنيفة حديثين : ( الأول ) « لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك » ( الثاني ) « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » . والحديثان رواهما الترمذي من وجه آخر عن جمع من الصحابة ، ورواية ابي حنيفة لهما عن واثلة لا تصح لأنه مات بالشام وعمر ابي حنيفة ثلاث سنين :

٧ — عائشة بنت مجرد مجهولة لا تكاد تعرف ، قال الذهبي وشيخ الاسلام ابن حجر : أن عائشة لاصحبة لها وانها لا تكاد تعرف ، وبذلك رد ماروي ان ابا حنيفة روى هذا الحديث الصحيح اكثر جند الله الجراد لا آكله ولا أحرمه .

٨ — سهل بن سعد الساعدي كان اسمه حزن فسماه رسول الله سهلا توفي سنة ٨٨ وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ولم يخرج منها الى الكوفة فلا يصح سماع ابي حنيفة منه وروايته عنه لأن ابا حنيفة لم يخرج إلا في سنة ٩٦ أي بعد وفاة سهل بثمان سنوات . ذكر ذلك النزاز في مناقب ابي حنيفة .

٩ — أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري شهد بدرآمات سنة ٩٠ وقد جاوز المائة وهو آخر من مات بالبصرة



من الصحابة - ١ - .

والغرض ان رواية ابي حنيفة عن الصحابة لا تصح قال محمد بن شهاب  
البرازي: ان جماعة من المحدثين انكروا ملاقات ابي حنيفة للصحابة ، وأصحابه اثبتوها  
وبلغ مجموع ما رواه ابو حنيفة عن الصحابة خمسين حديثاً .

وبدون شك ان ذلك غير صحيح ، ولو كان لها أثر من الصحة لا ثبتها  
أصحابه كابي يوسف ومحمد بن الحسن ، والحسن بن زياد ، وزفر بن الهذيل ،  
وغيرهم عند نقلهم لاحاديثه ، فهي بلا شك أصح أحاديث عنده ، فتركيهم لها  
دليل على عدم صحتها .

## ابو حنيفة

### بين أنصاره وخصومه

لقد تعصب المعجبون بابي حنيفة ، فاعطوه منزلة فوق منزلته ، ونسبوا له أشياء بعيدة كل البعد عن الواقع ولا يكاد الباحث عن حياته يصل الى نتيجة إلا بعد جهد ومشقة في البحث ، وقد تقدم الكلام حول الادعاء ببشارة النبي صلى الله عليه وآله به ، وتصريحه باسمه ، وأضافوا الى ذلك بشارة الامام علي ( ع ) لأهل الكوفة بوجوده فيها ، وذهبوا الى انتحال كلمات المدح من أهل البيت عليهم السلام في مدحه ، والثناء عليه ، وإني لأعترف بما اعتراني من دهشة اثناء بحثي عن حياة ابي حنيفة التمس الطريق الموصل الى معرفته عندما رأيت اموراً أثبتتها رجال منهم بدون خجل واستحياء ، فهم يمنحونه وسام الامتياز على جميع العلماء ، وطاروا فيه باجنحة الغلو فجعلوه في منزلة الأنبياء ، وقالوا : إنه معجزة النبي بعد القرآن ، وأنه وضع فقهاً لولاه لما اهتدى الناس ، وأقبح كل شيء وأفضعه تلك الأساطير التي يخترعها القصاصون ، فيلقونها على مسامع السذج من الناس ، كتعليمه الخضر في حياته وبعد وفاته - ١ -

١- قالوا : إن الله خص ابا حنيفة بالشرعية والكرامة ، ومن كراماته أن الخضر عليه السلام كان يجيء اليه كل يوم وقت الصبح ويتعلم منه أحكام الشريعة الى خمس سنين فلما مات ابو حنيفة ناجى الخضر ربه وقال : إلهي إن كان لي عندك منزلة فاذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على حسب عادته حتى اتعلم شرع محمد علي السكال ، فأحياء الله وتعلم منه -

وصفوه بصفات فوق الطبيعة البشرية كقراءة القرآن سبعين الف مرة ،  
في محل واحد ، وصلاته في كل ليلة ركعتين يختم القرآن في كل ركعة ، وصلاته  
الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، وامتناعه من أكل اللحم عشر سنين لأن  
شاة ضاعت فستل كم تعيش فليل عشر سنين الى غير ذلك من الامور التي أساء  
المغالون لأبي حنيفة فيها ، هذا هو ابو حنيفة في نظر المعجبين به وأنصاره  
المغالين في تكوين شخصيته . اما الطرف الآخر من معاصريه وغيرهم ، فقد رموه  
بالزندقة ، والخروج عن الجادة ، ووصفوه بفساد العقيدة ، والخروج على نظام  
الدين ومخالفة الكتاب والسنة ، وطعنوا في دينه وجرده من الايمان -١- واليك  
بعض الاقوال في ذلك تمهيداً للبحث :

اجتمع سفيان الثوري ، وشريك ، والحسن بن صالح ، وابن ابي ليلى ،  
فبعثوا الى ابي حنيفة ، فقالوا : ماتقول في رجل قتل أباه ونكح امه وشرب الخمر  
في رأس أبيه ؟ فقال : مؤمن فقال ابن ابي ليلى : لا قبلت لك شهادة أبداً . وقال  
له سفيان الثوري : لا كلمتك أبداً -٢-

وحكي عن ابي يوسف قيل له : ا كان ابو حنيفة مرجئاً ؟ قال نعم : قيل :

---

- العلم الى خمس وعشرين سنة ، وبعد أن أكمل دراسته أمره الله ان يذهب الى القشيري  
ويعلمه ما تعلم من ابي حنيفة ، ووصف القشيري الف كتاب من ذلك العلم ، وهي لا تزال وديعة  
في نهر جيحون الى رجوع المسيح فيجكم بتلك الكتب لأنه يأتي في زمان ليس فيه من كتب  
شرع محمد فيتسلم المسيح امانة نهر جيحون ، وهي كتب القشيري ، وعلى هذا بنوا القول بأن  
عيسى حنفي المذهب وكذلك المهدي انظر الاشاعة في اشراط الساعة ص ٢٠ ، وكتاب  
الياقوتة لابن الجوزي ص ٤٨ تجد القصة مفصلة وتعرف مقدار انتشار تلك السخافة .

١- انظر ابو حنيفة محمد ابو زهرة ص ٥

٢- الخطيب ج ٣ ص ٣٧٤

كان جرمياً؟ قال : نعم قيل أين أنت منه ؟ قال : إنما كان أبو حنيفة مدرساً ،  
فما كان من قوله حسناً قبلناه ، وما كان قبيحاً تركناه عليه - ١ -

وحدث إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة انه قال : ما رأيت أحداً  
أجرأ على الله من أبي حنيفة ، وعنه أيضاً : كان أبو حنيفة يضرب لحديث  
رسول الله الأمثال فيبرره بعلمه - ٢ -

وعن الوليد بن مسلم قال : قال لي مالك بن أنس : أيدك أبو حنيفة في  
بلادكم ؟ قات نعم قال لا ينبغي لبلادكم ان تسكن - ٣ - .

وعن الأوزاعي يقول : اننا لا ننقم على ابي حنيفة انه رأى كلنا يرى ،  
ولكننا ننقم عليه انه يحيئنا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله فيخالفه  
الى غيره - ٤ - .

قال ابن عبد البر : وممن طعن عليه وجرحه محمد بن اسماعيل البخاري ، فقال  
في كتابه الضعفاء والمتروكين : ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، قال نعيم بن  
حماد : حدثنا يحيى بن سعيد ومعاذ بن معاذ سمعنا سفيان الثوري يقول : استتيب  
ابو حنيفة من الكفر مرتين . وقال نعيم الفراري : كنت عند سفيان بن عيينة ،  
فجاء نعي ابي حنيفة ، فقال : لعنه الله كان يهدم الاسلام عروة عروة ، وما ولد  
في الاسلام مولود أشرف منه . هذا ما ذكره البخاري - ٥ -

وقال ابن الجارود في كتابه في الضعفاء والمتروكين : النعمان بن ثابت جل

١- الخطيب ج ٣ ص ٣٧٤ .

٢- الانتقاء ص ١٤٨ .

٣- ميزان الشعرا ج ١ ص ٥٩ .

٤- تأويل محتلف الحديث لابن قتيبة ص ٦٣ .

٥- الانتقاء لابن عمر ص ١٥٠ .

حديثه وهم وقد اختلف في اسلامه .  
وقد روي عن مالك رحمه الله انه قال في ابي حنيفة نحو ما ذكره سفيان :  
انه شر مولود ولد في الاسلام ، وانه لو خرج على هذه الامة بالسيف كان أهون .  
وروي عنه أنه سئل عن قول عمر بن الخطاب : بالعراق الداء العضال فقال مالك  
ابو حنيفة وروى ذلك عن مالك كله أهل الحديث .  
وعن وكيع بن الجراح انه قال : وجدت ابا حنيفة خالف مائتي حديث  
عن رسول الله ( ص ) . وقيل لابن المبارك : كان الناس يقولون انك تذهب  
الى قول ابي حنيفة ، قال : ليس كل ما يقول الناس يصيدون فيه ، كنا نأتيه زماناً ،  
ونحن لا نعرفه ، فلما عرفناه تركناه -١-

وقد أكثر الخطيب البغدادي في ترجمة ابي حنيفة في ج ١٣ من كتابه  
ذكر الأقوال التي تحط بمقامه ، وقد طعن الحنفية في الخطيب ونسبوه الى التعصب  
الأعمى والتحامل على ابي حنيفة ، بما ذكره ولعله لم يقصد إلا جمع  
ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين ، ولم يقصد بذلك انتقاصه ، ولا الخط من  
مقامه تقولا وتعصبا ، فانه ذكر أولا كلام المادحين ، واكثر منه ومن نقل  
ما أثره -٢- وأعطى عنه صورة طبق ما عرف عنه ، ثم عقب ذلك بذكر كلام  
القادحين على ان اكثر تلك الأقوال والطعون وجدت في غير كتابه ورويت من  
غير طريقه فهو مؤرخ كأحد المؤرخين الذين يثبتون ما علموا ويروون ما سمعوا  
فهو لم يقتعلها ولا يؤاخذ بها وإنما المؤاخذة على الرواة والناقلين والقائلين في  
ابي حنيفة تلك الأقوال ونحن نعرض عن ذكر ما ورد في كتاب الخطيب ولكننا

١- الانتقاء لابن عمر ص ١٥٠

٢- الحيرات الحسان ص ٧٦

ننقل عنه بعض المؤاخذات على أبي حنيفة والتي رواها غيره لناخذ صورة عن ذلك  
واليك منها :

١ — ان ابا حنيفة قال : لو أن رجلا عبد هذه النعل يتقرب بها الى الله  
لم أر بذلك بأساً .

٢ — عن شريك قال : كفر ابو حنيفة بأيتين من كتاب الله قال تعالى  
« ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وذلك دين القيمة » وقال تعالى : « ليزدادوا  
إيماناً مع إيمانهم » وزعم ابو حنيفة ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وزعم ان  
الصلاة ليست من دين الله .

٣ — وعن الفزاري قال : قال ابو حنيفة : ايمان آدم وايمان ابليس  
واحد ، قال ابليس « ربي بما اغويتني فانظرني الى يوم يبعثون » وقال آدم  
« ربنا ظلمنا أنفسنا » .

٤ — قيل لشريك استتيب ابو حنيفة ؟ قال قد علم ذلك العواتق  
في خدورهن .

٥ — قال سفيان الثوري : قال : قال لي حماد بن ابي سليمان : ابلغ عني  
ابا حنيفة المشرك ابي برىء منه حتى يرجع عن قوله في القرآن .

٦ — وعن سفيان الثوري يقول ان ابا حنيفة استتيب من الزندقة مرتين .

٧ — عن ابي مطيع البلخي سمعت ابا حنيفة يقول : ان كانت الجنة  
والنار خلقتا فانهما تفنيان قال ابو مطيع : كذب والله .

٨ — عن يوسف بن اسباط يقول قال ابو حنيفة : لو أدر كني النبي  
وأدر كتبه لأخذ بكثير من قولي .

٩ — أبو اسحاق الفزاري قال : كنت آتي أبا حنيفة أسأله عن الشيء من أمر الغزو فسألته عن مسألة فاجاب فيها ، فقلت انه يروى عن النبي ( ص ) فيها كذا وكذا ، قال حك هذا بذنب خنزير .

١٠ — عن عبد الصمد عن أبيه قال : ذكر لابي حنيفة قول النبي ( ص ) أفطر الحاجم والمحجوم قال هذا سجع .

هذه بعض المؤاخذات على ابي حنيفة ، وأعرضنا عن ذكر غيرها وقد ذكر ذلك الخطيب وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث وابن عبد البر وغيرهم .

وقد أجاب الحنيفة على هذه المؤاخذات وألّفوا بذلك كتباً منها السهم المصيب الى كبد الخطيب ومنها تأنيب الخطيب للبحاثة الكبير محمد بن الحسن الكوثري .

## ابو حنيفة

نشأته ونبوغه ، شيوخه وتلامذته

— ١ —

ولد ابو حنيفة سنة ٨٠ في خلافة عبد الملك بن مروان الاموي ، وعاش الى سنة ١٥٠ فقد أدرك من العصر الاموي اثنتين وخمسين سنة ، ومن العصر العباسي ثمان عشرة سنة .

وقد نشأ في الكوفة في عهد الحجاج بن يوسف ، فرأى قسوة الحجاج واستبداده وسيرته السيئة ، وحكمه القاسي ، ومعاملته للناس بما لا يمكن تحمله ، ومات الحجاج وعمره خمسة عشر عاماً ، وشاهد ولاية الامويين يسرون بالامة ، وقد جاروا في الحكم ، وخالفوا نظم الاسلام ، اتباعاً لمالكهم ، وطبقاً لرغباتهم ، من غير رادع من دين ، ولا مراعاة لحرمة ، ولم تمنعهم حواجز عن ايقاع الأذى برجال المسلمين وأعيانهم ، ومع هذا يرى العصبية العنصرية فيهم تتجلى بدون خفاء وتكتم ، وبالطبع ان ذلك يثير في نفسه نزعة البغض والكرهية لتلك السلطة ، لذلك نراه يساهم في حركة الانقلاب ، وينظم لجانب العباسيين في دعوتهم .

كان ابو حنيفة منصرفاً للعمل فهو يتعاطى بيع الخبز ، وله محل لصنعه ، وصناع تحت يده ، وبهذا كان يعيش برفاهية ، ويصل اخوانه ، وأصحابه ،



ولا نعرف بالضبط مدة بقائه تحت رعاية أبيه فالتأريخ لم يتعرض لذلك .  
ولقد كان عصر أبي حنيفة الذي أظله ، والبيئة الفكرية التي عاش بها ،  
وترعرعت مواهبه تحت سلطانها اكبر عامل على نبوغه ، وتوجيهه ، وقد كانت  
السكوفة إحدى مدن العراق العظيمة التي نشأت بها حلقات العلم ، وكان يومئذ  
في العراق الأهواء المتضادة ، والآراء المتضاربة في السياسة ، واصول العقائد ،  
وتطورت الحركة الفكرية واتجه الناس في آخر الدولة الأموية الى امور لم يكن  
في وسعهم الاتجاه اليها في ابان عظمة الدولة التي حرمت المفكرين ورجال العلم من  
التمتع بحرية الرأي .

وكانت في السكوفة حلقات العلم يجلس طلابه الى شيوخ عرفوا بذلك ،  
فكانت حلقات المتكلمين بجانب حلقات الفقه وحلقات الشعر والأدب يتكلمون  
فيها بالقضاء والقدر ، والكفر والإيمان ، ويستعرضون أعمال الصحابة في الحروب  
وغيرها ، وقد اختار ابو حنيفة حلقة المتكلمين - ١ - .

ونبع في علم الكلام والجدل وناظر فيه ، واتسعت دائرة تفكيره ، واذا  
رجعنا الى حديثه عن ذلك فيكون ملازمته حلقة المتكلمين اكثر من حلقة الفقه  
التي انتقل اليها بعد هجر علم الكلام ، فاختص بالفقه وحده ، فان ذهابه للبصرة ،  
ومناظرته الفرق هناك اكثر من عشرين مرة ، وفي كل مرة يمكث سنة أو أكثر  
أو أقل ، فلا بد انه قضى الشطر الاكبر من عمره ، في ذلك وان كانت تلك  
الرواية لا تخلو من مبالغه ان سلمت من الخدشة في السند - ٢ - .

ومهما يكن فانه نشأ في أول أمره عاملا يتعاطى التجارة وصنعة الخبز وبيعه

١- ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٧٨ .

٢- مناقب أبي حنيفة المكي ج ١ ص ٥٩ .

في الأسواق . وقضى شطراً من حياته في ذلك حتى أرشده الشعبي لطلب العلم فاتجه للكلام ثم اتصل بحلقة حماد بن سليمان المتوفى سنة ١٢٠ وكان هو المبرز من بعده ، وقد ساعدته الظروف على إخضاع الحواجز التي تقف أمامه ، كما ان العصر الذي هو فيه قد هباً له أسباب الرقي ، ومهد له طرق التقدم ، فقد حدثت تطورات وسنحت فرص استغلها أبو حنيفة ، لما كان يتصف به من ذكاء وفطنة وطموح في نفسه ، ومن حسن طالع ان يقع في عصره الخلاف بين أهل الحديث وأهل الرأي أو بين العرب والموالي وتشتد الخصومة ، ويكثر بينهم التهاجي ، وهو يترأس حلقة استأذه حماد وهي إحدى حلقات العلم بالكوفة ، وبالطبع ان الملتفين حوله والمنظمين اليه هم الموالي واكثرهم كان يحمّد على العرب الذين نظروا اليهم نظر السيد الى المسود والشريف الى الوضيع وتلك نزعة غدتها بنو امية وعاملوا الموالي معاملة سيئة فلم يعدلوا معهم في الحكم وقد كانت تلك النزعة تبعث في نفوس المنكرين من الموالي حقداً يأكل قلوبهم .

— ٢ —

زخرت الكوفة برجال العلم ، واتسع نطاق الحركة الفكرية واتجه الناس للبحث ووقع الخلاف بين أهل الرأي وأهل الحديث ، وأخذت السلطة في تشجيع أهل الرأي واندفع الموالي (١) الى النزاحم في طلب الشهرة والتبوغ في المجتمع ، عندما اصبحوا ولهم قوة على ايجاد كتلة متماسكة الأجزاء ، فكثرت عددهم في الكوفة وقوى جمعهم ، وأصبح منهم رجال أشغلوا مناصب الدولة فمنهم قواد جيش وامراء بلد ، وعلماء يشار اليهم بالأصابع ومنهم الأدباء ورواة حديث

(١) هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون على غير العرب .

وقد اجتازوا مراحل العنف والشدة ، وانتقلوا من عهد الاستبداد والقسوة وعدم المساواة في الحكم بينهم وبين العرب ، وقد كان الامويون يتعصبون لعنصرهم ويحتقرون الموالي مهما كانت ميقاتهم وكفائتهم ، وتابعهم بعض المتعصبين من العرب ونهيج هذا المنهج ، خلافا لما شرعه الله وسار عليه الرسول الأعظم فكانوا يضعون من قيمة الموالي ويحتقرونهم .

يقول الاصفهاني : كانت العرب الى أن جاءت الدولة العباسية ، اذا أقبل

العربي من السوق ومعه شيء ، فرأى مولىً دفعه اليه ليحمله عنه فلا يمتنع ! وتزوج رجل من الموالي بنتاً من أعراب بني سليم ، فركب محمد بن بشير الخارجي الى المدينة ، وواليها يومئذ ابراهيم بن هشام بن اسماعيل ، فشكا اليه فارسل الوالي الى المولى ففرق بينه وبين زوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ، وحاجبه وحيته .

فقال محمد بن بشير :

قضيت بسنة وحكت عدلا ولم ترث الحكومة من بعيد

وقد نفذ الامويون هذه السياسة بشدة ، وغدوا هذه النزعة باعمالهم التي عاملوا بها الموالي ، وقد شرعها لهم معاوية بن ابي سفيان لأنه عرف عدل الامام علي بن ابي طالب ومساواته في الرعية الامر الذي ادى الى تقاعد من تحكمت به هذه النزعة الشريرة عن نصرته ، فاراد معاوية استمالتهم وتحويلهم اليه

روى المدائني أن طائفة من اصحاب علي عليه السلام مشوا اليه فقالوا : يا امير المؤمنين اعط هذه الاموال ، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، واستعمل من تخاف خلفه من الناس — وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال — فقال لهم : اتأمروني ان اطلب

النصر بالجور ؟ ! ( ١ )

وحوادث التاريخ مملوءة بالشواهد على ذلك من الامور التي بعثت المفكرين من الموالي الى الحقد على العرب .

وبين هذه الامور وفي ذلك العصر كانت نشأة ابي حنيفة وهو من اولئك القوم الذين نالهم الاذى في تلك المدة ، وكان يشعر بما يشعر به ابناء جنسه ، ويعظم عليه اهانتهم وتعذيبهم ، وقد شاهد في الكوفة وغيرها تلك الاوضاع الشاذة ، والسيرة المخالفة للاسلام ، وبالطبع ان نفسه تتأثر من ذلك وشاهد الحجاج وشدته في سياسته مما يغذي تلك النزعة الخبيثة وهو احد اركان الدولة الأيوبية فانه امر ان لا يؤم الكوفة إلا عربي ، ووسم ايدي النبط بالمشراط ولما نزل واسطاً نفى النبط منه ، وكتب الى عامله بالبصرة - وهو الحكم بن ايوب - يقول : اذا اتاك كتابي ، فانف من قبلك من النبط ، فانهم مفسدة للدين والدنيا فكتب اليه : قد نفيت النبط ، إلا من قرأ منهم القرآن ، وتفقّه في الدين فكتب اليه الحجاج : إذا قرأت كتابي فادع من قبلك من الاطباء ونم بين ايديهم ، ليفقوا عروقك فان وجدوا فيك عرقا نبطيا فاقطعه والسلام ، فكان الموالي يتلقون هذه الامور بصبر ولا يستطيعون التظاهر باي شيء في العهد الأموي خشية العقاب لقلة العدد وعدم القوة وقد اكل الحقد قلوبهم وأثر في نفوسهم

وبعد ان تحول الحكم من الامويين الى العباسيين ، وهم الذين شاطروا في هذا الانقلاب بل كان العباسيون يعدونهم من خالص انصارهم ، ورجال دعوتهم فاتجهوا اليهم ونصروهم ، فكان النشاط الذي احرزه الموالي يسترعي الانظار ، ويبعث على العجب ، وبالطبع انهم يلفتون حول الامام ابي حنيفة ويعتزون بشخصيته

عندما أصبح يترأس حلقة علمية خلفها له استاذة حماد ، وهو من الموالي .  
 وابو حنيفة هو ذلك الرجل الذي عرف بقوة النفس ، وعلو الهمة و كان  
 ذا فطنة ولباقة ، وله سيرة خاصة في معالجة مشاكل الحياة ، بل يعرف من أين  
 تؤكل الكتف ، فتراه يقتحم مواقع الخطر وينج نفسه فيها ، فتحدث الناس  
 عنه واشتهر اسمه و كان مع ذلك على جانب عظيم من المداراة لخصومه وحسن  
 المعاشرة لاصحابه يصلحهم برفده ويساعدهم بمعرفته وله ثروة تساعده على ذلك  
 وتمهده له الطريق . ولما هجاه مساور بقوله :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا باصحاب المقائيس  
 قاموا من السوق اذ قامت مكاسبهم فاستعملوا الراى بعد الجيد والبؤس  
 فلقيه ابو حنيفة فقال : هجوتنا يا مساور ، نحن نرضيك فوصله بدراهم  
 فقال مساور :

اذا ما الناس يوماً قايسوناً بأبدة من الفتيا طريفه  
 اتيناهم بمقياس صحيح تلاد من طراز ابي حنفيه  
 اذا سمع الفقيه بها وعاما واثبتها بجز من صحيفه  
 فاجابه اصحاب الحديث :

اذا ذو الراى خاصم عن قياس وجاء بيدعة هنه سخيفه  
 اتيناهم بقول الله فيها وآثار مبرزة شريفه  
 الى آخر الايات التي ذكرها ابن قتيبة - ١ - وابن عبدبره - ٢ - ولا يسمع المجال  
 لذكروا نتج من وراء ذلك الخلاف بين اهل الحديث واهل الراى من هجاء ومناوشات

١- المعارف ص ٢١٦

٢- العقد الفريد ص ٤٠٨

وكانت السلطة تشجع تلك الحركة وتضاعف اسباب الخلاف من وراء الستار  
لغاية في نفوسهم .

اتجه ابو حنيفة الى الفقه بعد ان قضى مدة من حياته في التجارة ثم قرأ  
الكلام، ودرس على مشايخ عصره، وحضر على عطاء بن رباح في مكة وهو من الموالي  
وعلى نافع مولى ابن عمر في المدينة، واخذ عن عاصم بن ابي النجود وعطية العوفي  
وعبد الرحمن بن هرمز، مولى ربيعة بن الحارث، وزياد بن علاقة، وهشام بن  
عروة وآخرين، ولكنه لم يزل واحداً منهم ملازمة تامة وتخرج عليه وهو حماد بن  
سليمان الاشعري، مولاهم صاحب ابراهيم النخعي روى عن انس بن مالك،  
وسعيد بن المسيب، وابي وائل، واستاذه ابراهيم النخعي، وهو الذي اختص به  
ابو حنيفة وحضر درسه وتخرج عليه الى ان مات حماد سنة ١٢٠ وعمر ابي حنيفة  
أربعون سنة ومن بعده استقل بتدريس حلقة، ويحدث ابو حنيفة عن صلته بشيخه  
حماد قال صحبته عشرين سنة، ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة، فاردت ان اعزله واجلس  
في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي وعزمني ان افعل، فلما دخلت المسجد ورأيت  
لم تطب نفسي ان اعزله، ويقول: قدمت البصرة فظننت اني لا اسأل عن شيء  
الا اجبت عنه فسألوني عن اشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي  
ان لا افارق حمادا حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة، ولم تسكن ملازمته لحماد  
بحيث لم ينقطع عنه ولم يأخذ عن غيره لأنه كان كثير الرحلة الى بيت الله الحرام  
حاجاً كما يقولون انه حج اكثر من خمسين مرة، والتقى هناك بكثير من التابعين  
وسمع منهم واجتمع بأئمة اهل البيت وروى عنهم كزيد بن علي والامام

محمد الباقر وابنه الصادق وعبد الله بن حسن بن حسن .

لم يعرف فقه ابي حنيفة إلا من طريق اصحابه الذين اختصوا به ، فهو لم يكتب فقهه بنفسه ولم يدون شيئاً من آرائه ، ولكن التدوين انما اخذ من قبل اصحابه وكان لابي حنيفة تلاميذ ، منهم من كان يرحل اليه ، ويستمع منه ، ومنهم من لازمه ملازمة تامة ، وفيهم يقول : هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ، وستة يصلحون للفتوى ، واثنان ابو يوسف وزفر يصلحون لتأديب القضاة وارباب الفتوى ! - ولكن الذين خدموا مذهب ابي حنيفة ونشروه هم ابو يوسف ، وزفر ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، والحسن ابن زياد اللؤلؤي ،

١ - اما ابو يوسف وهو يعقوب بن ابراهيم الانصاري نسباً والكوفي منشأً فهو عربي وليس من الموالي ولد سنة ١١٣ وقد نشأ فقيراً واتصل بابي حنيفة بعد ان جلس الى ابن ابي ليلى ، ثم انقطع لابي حنيفة واتصل به ، وقد قام ابو حنيفة بنفقته ونفقة عياله عشر سنين ، وبعد وفاة ابي حنيفة وزفر بن الهذيل استقل ابو يوسف برياسة اصحاب ابي حنيفة ، وساعده الظروف ، واقيمت الدنيا عليه ، ووقع موقع القبول عند خلفاء بني العباس ، وولي القضاء لثلاثة منهم للهمدي والهادي والرشيد ، وقد نال عند الرشيد حظاً مكيناً وقر به ، وهو الذي نشر مذهب ابي حنيفة في الافطار على ايدي القضاة الذين كان يعينهم ابو يوسف من اصحابه ، فكان نفوذ المذهب يستمد من نفوذ سلطته ، ولا يبي يوسف كتب كثيرة دون فيها آراءه وآراء شيخه ، ذكرها ابن النديم منها

كتاب الصلوة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب الفرائض ، كتاب البيوع ، كتاب الوكالة ، كتاب الوصايا ، كتاب اختلاف الانصار ، كتاب الرد على مالك وغيرها ، وله املاء رواه بشر بن الوليد القاضي ، يحتوى على ستة وثلاثين كتابا ، و ابو يوسف هو اول فقهاء اهل الرأي الذين دعوا آراءهم بالحديث وبذلك جمع بين طريقة اهل الرأي واهل الحديث . وقد مرت ترجمته وبعض احواله في هذا الكتاب وما قيل فيه .

٢ - محمد بن الحسن ، مولى بنى شيان ، ولد سنة ١٣٢ وتوفي سنة ١٨٩ ، حضر على ابي حنيفة ، ولم يتم دراسته عليه ، لأن ابا حنيفة مات وعمر محمد نحو الثامنة عشرة ، ولكنه اتم دراسته على ابي يوسف ، واخذ عن الثوري والأوزاعي ورحل الى مالك ، وتلقى عنه فقه الحديث والرواية ، ومكث عنده ثلاث سنين وهو الذي ادخل الحديث في فقه اهل الرأي ، والى كتب في ذلك واصبحت هي المرجع الاول لفقه ابي حنيفة ، وكان يخالفه في اكثر مسائله ، وقد مرت ترجمته والاقوال فيه .

٣ - الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ ، وهو من فقهاء المذهب ورواة آراء ابي حنيفة ، وقد طعن المحدثون عليه ، ورفضوا روايته ، قال ابن معين : انه كذاب غير ثقة ، وقال النضر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن ابن زياد : لقد جلبت الى بلدك شرآ . وقال ابو ثور : ما رأيت اكذب من اللؤلؤي ، وكان ابن ابي شيبة يقول : كان اسامة يسميه الخيث ووثقه ابن قاسم -١- وأخرج له ابو عوانة في مستخرجه والحاكم في مستدركه .

٤ - زفر بن الهذيل ، وهو أقدم صحبة لأبي حنيفة من ابي يوسف ومحمد



توفي سنة ١٤٨ ، وكان أبوه عربياً ، وامه فارسية ، أخذ عن أبي حنيفة فقه الرأي ، حتى غلب عليه ، على ما سواه وكان أحد أصحاب أبي حنيفة قياساً ، وهو الذي خلف أبا حنيفة في حلقة ، ثم من بعده أبو يوسف ، ولم تعرف له رواية لشيخه ويعود ذلك إلى قصر حياته من بعده ، إذ لم يتسع الزمن للتدوين ولكن نشره لمذهب أبي حنيفة كان بلسانه وتولى القضاء في زمن أبي حنيفة في البصرة وهجاء أحمد بن المعدل المالكي بقوله :

( ان كنت كاذبة بما حدثني ) فعليك اثم أبي حنيفة أو زفر

المائلين إلى القياس تعمداً والراغبين عن التمسك بالخبر - ١ -

وقد ترك المحدثون الرواية عنه قال : أبو موسى محمد بن المثنى ما سمعت عبد الرحمن بن مهدي يحدث عن زفر شيئاً وعن معاذ بن معاذ قال : كنت عند سوار القاضي فجاء الغلام فقال زفر بالبالب فقال سوار : زفر الرأي لا تأذن له فانه مبتدع وعنده العقيلي في الضعفاء ، وعن بشر بن السري قال ترجمت يوماً على زفر وانا مع سفیان الثوري فاعرض بوجهه عنى ، وقال الأزدي : زفر غير مرضي المذهب والرأي ، وقال أحمد بن أبي العوام قاضي مصر في مناقب أبي حنيفة : قال لي أبو جعفر الطحاوي سمعت أبا حازم سمعت الضبي يقول قدم زفر بن الهذيل البصرة فكان يأتي حلقة عثمان التي فيناظرهم ويتبع اصولهم فاذا رأى شيئاً خرجوا فيه عن الأصل تكلم فيه مع عثمان حتى يتبين له خروجه عن الأصل ثم يقول في هذا جواب أحسن من هذا فاذا استحسوه قال هذا قول أبي حنيفة فلم يلبث أن تحولت الحلقة إليه وبقي عثمان البتي وحده .

\* \* \*

هؤلاء تلامذة ابي حنيفة الذين نشروا فقهه ونقلوا آراءه ، وأول من  
دوّن منهم ، هو القاضي ابو يوسف ، ومن بعده محمد بن الحسن مولى بني شيبان  
وكتبه تعد المرجع الأول لفقه ابي حنيفة ، وقد أخذه عن ابي يوسف ، لأنه أدرك  
أبا حنيفة وعمره لم يسمح له بنقل فقهه ، ولكنه روى ذلك عن ابي يوسف ،  
قترأه يذكر في كتابه الجامع الصغير في أول كل فصل روايته عنه ، ولم يذكره في  
الجامع الكبير ، وقد ذكر ابن نجيم في البحر في باب التشهد ان كل تأليف لمحمد  
ابن الحسن موصوف بالصغير فهو باتفاق الشيخين ابي يوسف ومحمد ، بخلاف الكبير  
فانه لم يعرض على ابي يوسف .

ولقد كان ابو يوسف ومحمد . وغيرهم من تلامذة ابي حنيفة مستقلين في  
تفكيرهم كل الاستقلال ، غير مقلدين لشيخهم ، بأي نواحي من نواحي التفكير  
وكونهم درسوا آراءه أو تلقوها عليه وثقفوا في أول دراستهم عليه لا يمنع  
استقلال تفكيرهم ، وحرية اجتهادهم ، وإلا كان كل من يتلقن على شخص لا بد  
أن يكون مقلداً له ، وتنتهي القضية لا محالة الى ان تنزل درجة ابي حنيفة عن  
الاجتهاد ، ويكون مقلداً لشيخه حماد بن ابي سليمان لأنه درس عنده ، وكان  
كثير التخريج عليه ، وخالفه أحياناً ووافقه أحياناً .

وكذلك كان اصحاب ابي حنيفة منه . فقد درسوا فقهه . وتلقوا عليه  
طريقة اجتهاده فوافقوه في بعضها وخالفوه في كثير من الآراء والأقوال وما كانت  
الموافقة عن تقليد بل عن اقتناع واستدلال وتصديق للدليل . وليس ذلك من  
شأن المقلد فان أولئك الأئمة مجتهدون ولهم آراؤهم الخاصة ولكنهم الطريق الى  
نقل أقوال ابي حنيفة .

وتجد كتب الحنفية تورد أقوال الأئمة الأربعة وربما يكون لمسألة واحدة

أربعة أقوال لأبي حنيفة قول ، ولأبي يوسف قول ، ولمحمد قول ، ولزفر قول ، حسب ما يظهر لهم من الآثار والمعاني ، يقول العلامة الخضري : وقد حاول بعض الحنفية ان يجعل أقوالهم المختلفة أقوالا للامام ، رجع عنها ، ولكن هذه غفلة شديدة عن تاريخ هؤلاء الأئمة ، بل عما ذكر في كتبهم ، فان ابا يوسف يحكي في كتاب الخراج رأي ابي حنيفة ، ثم يذكر رأيه مصرحاً بأنه مخالفه ، ويبين سبب الخلاف ، وكذلك يفعل في كتاب خلاف ابي حنيفة ، وابن ابي ليلى ، فانه أحياناً يقول برأي ابن ابي ليلى بعد ذكر الرأيين ، ومحمد رحمه الله ، يحكي في كتبه أقوال الامام ، وأقوال ابي يوسف وأقواله مصرحاً بالخلاف على انه لو كان كما قالوا لم يكن ما رجع عنه من الآراء مذهباً ، ومن الثابت ان ابا يوسف ومحمد رجعا عن آراء رآها الامام لما اطلعوا على ما عند أهل الحجاز من الحديث ، فالحق تاريخياً ان أئمة الحنفية الذين ذكرناهم بعد ابي حنيفة رحمه الله ليسوا مقلدين له ، لأن التقليد لم يكن نشأ في المسلمين في ذلك التاريخ ، بل كان المفتون مستقلين في الفتوى ، بناء على ما يظهر من الأدلة ، سواء أخالفوا معلمهم أم وافقوهم ، ولم تكن نسبة ابي يوسف ومحمد الى ابي حنيفة إلا كنسبة الشافعي الى مالك - ١ -

وسياتى إنشاء الله في مباحث الفقه ذكر أقوالهم التي خالفوا بها الامام وآرائهم التي انفردوا بها فهم في الواقع أئمة مجتهدون لهم آراؤهم الخاصة ، ولسكتهم الطريق الى نقل آراء ابي حنيفة وقد نقل كتبهم تلاميذهم المبرزون منهم :

١ - ابراهيم بن رستم المروزي المتوفى سنة ٢١١ ، تفقه على محمد بن الحسن وسمع مالك بن أنس ، وقدم بغداد ، له كتاب النوادر عن محمد استاذه ، وهو ينسب الى مرو بفتح الميم وسكون الراء المهملة في آخرها واو ، بلدة يقال لها مرو ،

والشاهجهان والحاق الزاء المعجمة بعد الواو في النسبة ، للفرق بينه وبين المروى ، وهي ثياب مشهورة بالعراق منسوبة الى قرية بالكوفة - ١ .

٢ — أحمد بن حنص الكبير البخاري ، أخذ الفقه عن محمد بن الحسن ، وروى عنه كتبه ، وكتب المبسوط بيده ، وله اختيارات يخالف بها جمهور أصحابه ، منها ان نية الامامة للامام شرط للاقتداء كما نقل عن علي القاريء وشراح الهداية وله حكاية مع البخاري صاحب الصحيح - ٢ - توفي سنة ٢٦٤ .

٣ — بشر بن غياث المريسي المتوفى سنة ٢١٨ ابن ابي كريمة مولى زيد ابن الخطاب أدرك مجلس ابي حنيفة وأخذ نبذاً منه ، ثم لازم ابا يوسف ، وأخذ الفقه عنه حتى صار من أخص أصحابه ، وله تصانيف وروايات كثيرة عن ابي يوسف ، وله في المذهب أقوال غريبة ، منها جواز أكل لحم الحمار وكان بينه وبين الشافعي مناظرات ، واليه تنسب طائفة من المرجئة ، وقد كفره أكثر أهل العلم ، وكان ابو يوسف يذمه ويعرض عنه ، قال الذهبي : بشر بن غياث لا ينبغي أن يروى عنه - ٣ - وقال ابن خلكان : بشر بن غياث حكى عنه أقوال شنيعة ، منها أن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، ولكنه علامة للكفر - ٤ - وقال ابو زرعة : بشر المريسي زنديق ، وقال اليافعي : بشر المريسي رأس الضلالة الداعي الى البدعة - ٥ - وقال يزيد بن هرون : بشر كافر حلال الدم . وقال بشر بن الحارث جاء نعي المريسي ، وأنا في السوق ، فلولا انه ليس موضع سجود لسجدت

١- انظر ترجمته في كتاب الفوائد البهية ص ٩

٢- نفس المصدر ص ١٨ .

٣- لسان الميزان ج ٢ ص ٢٩

٤- وفيات الأعيان ج ١ ص ٩١

٥- مرآة الجنان ج ٤ ص ٢١٨

شكراً ، وقال قتيبة بن سعيد : بشر المريسي كافر -١- الى غير ذلك من الأقوال في ذمه وتكفيره .

٤ — بشر بن الوليد بن خالد الكندي القاضي المتوفى سنة ٢٣٨ أحد أصحاب أبي يوسف ، روى عنه كتبه وأماليه ، ولي قضاء بغداد في زمان المعتصم ، وكان متحاملاً على محمد بن الحسن الشيباني ، وكان الحسن بن مالك ينهأه ، وثقه الدارقطني وقال صالح بن محمد هو صدوق واسكنه لا يعقل .

٥ — محمد بن شجاع الثلجي المتوفى سنة ٢٦٧ ، تفقه بالحسن بن زياد ، والحسن بن أبي مالك ، له كتاب تصحيح الآثار ، وكتاب النوادر ، وكتاب المضاربة ، وكتاب الرد على المشبهة ، وهو ضعيف الرواية عند أهل الحديث ، جرحوه بكثير من القول ، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال : مبتدع صاحب هوى -٢- . وقال الساجي : محمد بن شجاع كان كذاباً ، احتال الى ابطال حديث رسول الله ، نصرته لأبي حنيفة . وبعث المتوكل الى احمد بن حنبل يسأله في تولية ابن الثلجي القضاء فقال : لا ولا على حارس -٣- وقال ابن الجوزي عن ابن عدي : أنه كان يضع الحديث في التشبيه وينسبه الى أهل الحديث الى غير ذلك من الأقوال فيه ، والثلجي نسبة لبيع الثلج فان اباہ كان يبيعه وما ذهب اليه العيني خطأ في نسبه الى ثلج بن عمر بن مالك .

٦ — ابو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني المتوفى بعد المائتين ، أخذ العلم عن محمد وكتب مسائل الاصول والامالي ، عرض عليه المأمون القضاء فلم يقبل ،

١- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٥٤

٢- نفس المصدر ص ١٧١ .

٣- المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٥٧

وله كتاب السير الصغير ، والنوادر ، وغير ذلك .

٧ — محمد بن سماء التميمي ، حدث عن الليث ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وأخذ الفقه عنهما ، وعن الحسن بن زياد ، وكتب النوادر عن أبي يوسف ، ومحمد ، ولد سنة ١٣٠ ومات سنة ٢٣٣ ، وولي القضاء بعد موت يوسف بن الامام أبي يوسف سنة ١٩٢ ، له كتاب أدب القاضي ، وكتاب المحاضرات ، والسجلات ، والنوادر .

٨ — هلال بن يحيى بن مسلم ، تفقه بأبي يوسف وزفر ، وله مصنف في الشروط ، وأحكام الوقف توفي سنة ٢٤٥ .

٩ — أحمد بن عمر بن مهير الخفاف المتوفى سنة ٢٦١ أخذ عن أبيه عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة ، كان عارفاً بالمشهد ، صنف له مهتدي كتاب الخراج ، له كتاب الوصايا ، وكتاب الشروط الكبير والصغير ، وكتاب الرضاع وكتاب أدب القاضي ، وكتاب الحيل الشرعية (١) .

١٠ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المتوفى

سنة ٣٢١ .

قال المولى عبد العزيز الدهلوي : انه كان مجتهداً ولم يكن مقلداً للمذهب تقليداً محضاً ، فانه اختار فيه أشياء تخالف مذهب أبي حنيفة . للملاح له من الأدلة

---

(١) للحنفية كتابان في استعمال الحيل الشرعية ، أحدهما لمحمد بن الحسن الشيباني ، والثاني للخفاف ، ويقال أن لأبي حنيفة كتاباً في الحيل وكان يفتي به الناس للتجمل من الأحكام الشرعية والقيود الفقهية ، روى أن عبد الله بن المبارك قال : من كان عنده كتاب الحيل لأبي حنيفة يستعمله أو يفتي به ، فقد بطل حجه ، وبانت منه امرأته . انظر كتاب أبو حنيفة ، محمد أبو زهرة ص ٤١٧ وكتاب تاريخ التشريع الاسلامي ص ٢٨٠ وسيأتي ذكر ذلك وتحقيقه .

القوية ، وقال محمد بن عبد الحمي : هو في طبقة ابي يوسف ومحمد ، لا ينحط عن درجتها . وأن له درجة عالية ورتبة شامخة قد خالف بها صاحب المذهب كثيراً . وانه من المجتهدين المنتسبين الى امام معين من المجتهدين . لكن لا يقلدونه لافي الفروع ولا في الاصول لسكونهم متصفين بالاجتهاد وانما انتسبوا اليه لسلكهم طريقه في الاجتهاد - ١ - .

وبهذه الصورة أخذ مذهب ابي حنيفة . فهو في عصره لم يدون آراءه وأقواله وانما دونها أصحابه . ولم يكتبوا باخذهم عنه ، فابو يوسف لزم أهل الحديث وأخذ عنهم أحاديث كثيرة لعل ابا حنيفة لم يطلع على كثير منها ، ومن التجني على الحقائق أن نقول إن ذلك كله قد قاله ابو حنيفة ، واختاره ابو يوسف .

ومحمد لم يلازم ابا حنيفة إلا مدة قليلة ، في صدر حياته ، ثم اتصل بمالك ، وروى عنه وروايته له تعد من أصح الروايات اسناداً ، فاذا كان مقلداً فلائي الامامين ، ألابي حنيفة أم لمالك أم لهما معاً ؟ ان الانصاف ، والمنطق يوجب ان نقول : إنه كان مجتهداً اجتهاداً مطلقاً وكذلك كل جميع الاصحاب - ٢ - .

إذا فعدهم من المجتهدين في المذهب كما ذهب اليه ابن عابدين خطأ بين وخلاف ظاهر ، لأنهم استقلوا بتخريج الأحكام ، ولم يتبعوا في اجتهادهم شيخ المذهب وهو ابو حنيفة ، هذا هو الأمر الذي لا خفاء عليه . ولكن المتعصين - لأبي حنيفة والذين لا يروق لهم امتزاج أقواله بأقوال اصحابه التي أصبحت قواماً للمذهب - يحاولون جعل تلك الأقوال والآراء التي انفرد اصحابه بها عنه ، أو خالفوه فيها أقوالاً له يقول ابن عابدين :

١- الفوائد البهية من ٣١

٢- انظر ابو حنيفة محمد ابو زهرة ص ٤٤١

إن الامام لما أمر أصحابه بأن يأخذوا من أقواله بما يتجه لهم من الدليل عليه صار ما قاله قولاً له لا بتناؤه على قواعده التي أسسها لهم . ونظير هذا ما نقله العلامة البيهقي في أول شرحه على الاشباه على شرح الهداية لابن الشحنة الكبير وهذا نصه : « إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه - أي مذهب أبي حنيفة - فقد صح عن أبي حنيفة انه قال : إذا صح الحديث فهو مذهبي . . . فإذا نظر أهل المذهب في الدليل وعملوا به صحت نسبته الى المذهب لكونه صادراً باذن صاحب المذهب . إذ لا شك انه لو علم بضعف دليبه لرجع عنه واتبع الدليل الأقوى » - ١ - .

وهذا قول لا محل له ومحاولة فاشلة وإلا لو كان كذلك فإن كل فتوى تصدر عن صحة الحديث من أي عالم كان ومن أي مذهب هو . فاللازم نسبة ذلك الى مذهب أبي حنيفة . ولعلمهم يرون ذلك فجعلوه أعلم الامة على الاطلاق بل أفضل التابعين وأعلمهم من هذا الباب . والغرض ان الوصول الى معرفة قول أبي حنيفة ومذهبه الخاص قليل جداً . وإنما هو مجموع الاقوال منه ومن أصحابه وتلاميذهم الذين أخذوا عنهم فلا يمكن استخلاص أقواله منفردة . وتكوين وحدة فكرية خالصة له من كل الوجوه من غير اقتران اقوال أصحابه به . فان محمد بن الحسن جمع اقوال فقهاء العراق . ولم يجمع اقوال أبي حنيفة وحده . ولم يفصل آراءه . عن آراء غيره . من أصحابه ومعاصريه . بل التي بالفروع والحلول ما بين متفق عليه . ومختلف فيه فجاءت الاجيال وتوارثت تلك المجموعة الفقهية التي تجمع اقوال فقهاء العراق في الجملة واقوال أبي حنيفة وأصحابه وتلاميذه خاصة . وقد نهج ذلك النهج غير محمد من روى فقهه أبي حنيفة .



وهكذا نجد الرواية لآراء أبي حنيفة تذكر مخلوطة بالرواية عن غيره ،  
وممزوجة بها . وعلى ذلك النهج تدارس العلماء تلك الآراء . وسموها المذهب  
الحنفي . واختاروا للنسبة اسم كبير اولئك الأئمة وشيخهم - وهو ابو حنيفة -  
ومن التهجيم على الحنفاق . سلبهم شخصيتهم لتنفى في شخصية الامام - ١ -  
والخلاصة أن المذهب الحنفي اتسع باتساع دائرة نفوذ السلطة ، وعلم  
أبي حنيفة لا يكاد يعرف لعدم انفراده عن اصحابه ، فالموازنة بينه وبين غيره  
لا تحصل إلا اذا تجهدنا الى الموازنة بين علماء المذاهب وبين مجموع مؤسسي المذهب  
الحنفي ، الذين كونوا مجموعة فقهية مزيجية باقوال فقهاء العراق وأقوالهم ، وهذا أمر  
لا يمكن ، ومحاولة الحنفية بارجاع الجميع اليه أمر غير وجيه ، وسيوضح الأمر عند  
البحث عن آراء أبي حنيفة وأقواله ، وما ذهب اليه اصحابه في خلافه ، فالقول بأنه  
قال ستين الف مسألة ، أو ثلاث وثمانين الفاً ، منها ثمانية وثلاثين الفاً في العبادات  
وخمسة واربعين الفاً في المعاملات - ٢ - . لا يصح وهو ضرب من المبالغة التي  
سار عليها مؤلفوا المناقب ، في كل ما كتبوه عنه ولنا ان نتساءل عنها وعن وجودها ،  
ولماذا أهملنا من دون أقواله وآراءه ولكن كما قلنا انهم يقصدون بذلك مزج  
اقوال اصحابه باقواله وتكوين وحدة فكرية ترجع اليه لأنهم درسوا عنده وهذا  
خطأ ، وقد مر بيان ذلك .

١- انظر ابو حنيفة لمحمد ابو زهرة

٢- مناقب أبي حنيفة للمكي ج ١ ص ٩٦ .

## م ر ي ن

اختلف المحدثون في قبول حديث ابي حنيفة ، فمنهم من قبله ومنهم من  
لينه لكثرة غلطه في الحديث ليس إلا ، قال علي بن المدبني ليحيى بن سعيد القطان  
كيف كان حديث ابي حنيفة؟ قال لم يكن بصاحب حديث -١-

وقد عده البخاري في الضعفاء والمتروكين ، ولم يخرج له في صحيحه ،  
وكذلك بقية أصحاب الصحاح والسنن . نعم خرج له النسائي حديثاً واحداً عن  
ابن عباس قال : ليس على من أتى بهيمة حد .

وفي رواية ابي علي الاسيوطي ، والمغاربة عن النسائي قال : حدثنا علي بن  
حجر حدثنا عيسى هو ابن يونس عن النعمان عن عاصم فذكره ولم ينسب النعمان  
ولعله غير ابي حنيفة ، وبهذا لا يكون له حديث عند النسائي .

وخرج له الترمذي من رواية عبد الحميد الحماني ، عن ابي حنيفة انه قال :  
مارأيت أ كذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء .

هذه هي رواية الترمذي في صحيحه عن ابي حنيفة ، وهذا ليس بحديث  
بل هو قول قاله في جابر وهو استأذنه ومعلمه فان صح ذلك فهو غير صحيح منه ،

ولعل الباحث له هو البغض لجابر أو الحب لعطاء جابر عربي (١) وعطاء من الموالي  
والإفقد ورد توثيق جابر من اناس لهم منزلة في العلم ، وتميز درجة الرجال ،  
فهذا سفيان الثوري يقول : ما رأيت أروع في الحديث من جابر ، ويقول شعبة :  
جابر صدوق في الحديث ، ويقول وكيع : مهاشككم في شي ، فلا تشكو في ان  
جابر ثقة ، وقال الشافعي : قال سفيان الثوري لشعبة : لان تكلمت في جابر  
الجعفي لا تكلمن فيك ، الى آخر أقوال العلماء في توثيق جابر وهو من علماء  
التابعين ومن اصحاب الامام الباقر وابنه الصادق عليهما السلام ، وروى عنه كبار  
عصره كالثوري ، وشعبة ، واسرائيل ، والحسن بن حي ، وشريك ، ومسعر ،  
ومعمر ، وغيرهم .

والغرض ان ابا حنيفة لم يخرج له اصحاب الصحاح والسنن حديثاً واحداً  
وضعه الكثير منهم ، قال ابن سعد : ابو حنيفة النعمان بن ثابت مولى لبني تيم الله  
وهو صاحب الرأي . وكان ضعيفاً في الحديث -٢- قال ابن خلدون : بلغت  
رواية ابي حنيفة الى سبعة عشر حديثاً ، ويعلل ذلك بقوله : انما قلت رواية  
ابي حنيفة ، لما شدد في شروط الرواية والتحتمل وضعف رواية الحديث اليقيني  
اذا عارضها الفعل النفسي -٣- وهي عبارة وان كانت موجزة وغامضة بعض  
الغموض ، إلا انها تدلنا على هذا الاتجاه ، وهو عدم الاكتفاء بالرواية ، بل عرضها  
على الطبائع النفسية والبيئة الاجتماعية -٤-

(١) جابر هو ابن يزيد بن الحارث بن عبد بنوف الجعفي المتوفى سنة ١٢٨ وهو من  
علماء التابعين ومن له منزلة في عصره .

-٢- الطبقات ج ٦ ص ٢٥٦

-٣- مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٢

-٤- ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٣١ .

وقد شنع أصحاب الحديث على أهل الرأي بقلة حديثهم ، أو عدم أخذهم  
بالحديث لأجل القياس والاستحسان ، لذلك ادخل أبو يوسف في فقه أبي حنيفة  
أحاديث كثيرة ، ومن بعده محمد بن الحسن ، فانه اتى مالكا ، وقرأ الموطأ عليه  
ثم رجع الى بلده ، وطبق مذهب اصحابه على الموطأ مسألة مسألة - ١ - ثم كثر  
التخريب وادخال الحديث في الفقه الحنفي ، ولم يتشدد اصحاب أبي حنيفة كتشدد  
في قبول الرواية ، فانه كان لا يقبل الخبر عن رسول الله ، إلا اذا رواه جماعة عن  
جماعة ، أو كما يعبر اصحابه اذا كان خبر عام عن عامة ، أو كان خبر اتفق فقهاء  
الأمصار على العمل به ، يقول أبو يوسف : فعليك من الحديث بما تعرف العامة ،  
وإياك والشاذ منه الى آخر ما نقله عنه الشافعي في الام وهو عدم التوسع في الحديث  
وتضييق دائرته .

وخلاصة القول ان ابا حنيفة لم يكن بصاحب حديث ولكن كان قياًساً  
سلك في القياس مسلكاً استوجب شدة الانكار عليه من علماء عصره ، فعن  
مالك بن مغول قال : قال لي الشعبي : ونظر الى اصحاب الرأي ، ما حدثك هؤلاء  
عن اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فاقبله ، وما خبروك به عن رأيهم فارم به  
في الحش ، وكان يقول اياكم والقياس فانكم ان اخذتم به حرمتم الحلال  
واحلتم الحرام - ٢ -

ومرّ قوم على رقبة فقال : من أين جئتم ؟ فقالوا : من عند أبي حنيفة جئنا  
فقال : يكفينكم من رأيه ما مضعتم ، وترجعون الى اهليكم بغير ثقة ، ومثله عن  
مسعر بن كدام ، انه مر به رجل ، فقال : اين تريد ؟ قال اريد ابا حنيفة :

١- رسالة الانصاف ص ٨

٢- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٧٠ .

قال : يكفيك من رأيه ما مضغت ، وترجع الى أهلك بغير ثقة - ١ -  
هذا مجمل القول في حديث ابي حنيفة ، ومنزلته عند المحدثين ، وأنى استبعد  
صحة القول بانه لم يرو إلا سبعة عشر حديثاً ، فقد تبين لنا انه سافر الى مكة ،  
وبقي مدة هناك ، وسمع من التابعين ، ودخل المدينة وانتسب لمدرسة اهل البيت  
وانتهل من ينبوع الوحي واخذ عن زعيم عصره الامام جعفر بن محمد الصادق ،  
وافتخر بذلك ، وكان يرى من سعادته ونجاته حضوره في مدرسته ، فكان يقول  
لولا السنن ان هلك النعمان ، وقد روى عنه وعن ابيه الباقر عليهما السلام في مسنده  
فالقول بانه لم يرو إلا هذا العدد القليل ، غير وجيه . نعم كان صاحب قياس  
مهر في تطبيقه تطبيقاً واسعاً . وبه نقم المحدثون والفقهاء عليه . وجعلوا ذلك من  
باب اتباع الهوى . وقد كان لا يتخرج من الفتيا تخرج اهل الحديث . وحدث  
من وراء ذلك ثورة فكرية عنيفة . واصبح الموقف حرجاً كما مر بيانه .

## مع الامام الصادق

ان عصر أبي حنيفة كان عصر مناظرات وجدل الى اقصى حد فمناظرات بين اهل الاهواء وبين الفرق المختلفة ، وبين الفقهاء بعضهم بعضاً . وكان ابو حنيفة قوي المناظرة شديد الجدل ، يتسلح بكل الوسائل التي تعينه على الوصول الى الفوز في النتيجة في غالب الأحيان ، كما وصفه الامام مالك بقوله : رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته . وفي رواية انه قال : تالله لو قال : ان هذه الاسطوانة من ذهب لأقام الدليل القياسي على صحة قوله وبالطبع ان مثله ينال في تلك المعارك نصيبه من الشهرة على ان المنصور نظر اليه بعين التقدير والعناية تكريماً له ولأبناء قومه الذين طلع نجمهم في ذلك العصر . ومما يدلنا على قوة مناظرته ان المنصور انتدبه في مهمة عجزت قوته عن دفعها وخانته حيلته في التخلص منها وهي مسألة انتشار ذكر جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ومن الصعب على المنصور أن تصبغ في الكوفة ، ومكة ، والمدينة ، وقم حلقات علمية هي أشبه شيء بفروع مدرسة الامام جعفر بن محمد الصادق ، وكانت تفرع سمعه أصوات شيوخ الكوفة ، بكلمة يضطرب لها لبه ، ويفقد عندها اتزانها ، وهي قولهم في مناظرتهم كل يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق ، لذلك اضطر الى جلب الامام من المدينة الى الكوفة محاولة للفتك به ، وأراد من أبي حنيفة الذي عرف بقوة المناظرة وسرعة الجواب ، ان يهيء من مهمات المسائل فيسأل الامام بها في مجلس عام ،

عساه أن يظفر بشيء ينال به من الحط في كرامة الامام الصادق ، ولم يغب عن المنصور ما للامام الصادق من المكانة العلمية ، ولكننه من باب ( الغريق يتعلق بالطحلب ) وما كان ابو حنيفة بذلك الرجل الذي يجبل فضل سيده ومعلمه ، ومن افتخر بالانتساب لمدرسته ، فيأمل النجاح بهذا الموقف الحرج ومن الغلط ذلك .

ولكنه استجاب لهذا الطلب مرغماً ، ارضاءً للمنصور ، وحذراً من خلافه ، فهو يعلم نتيجة الأمر ، قبل أن يقوم بهذه المهمة ، فأعد أربعين مسألة من المسائل المشككة ، ليواجه بها الامام في ذلك المجلس ، فكانت النتيجة معكوسة ، ووقع الأمر بخلاف ما طلبه المنصور ، واذا باي حنيفة يعلن بكل صراحة أنه ما رأى أعلم من جعفر بن محمد كما مر بيان هذه القصة في ص ٤٤ من هذا الكتاب وكان هذا شأنه في جميع المواقف التي يقابل بها الامام ، فهو لا يمكنه ان يرد أي شيء على ما يوجهه اليه ، ولم يستعمل سلاح الجدل والناقشة .

وكان عليه السلام ينهى ابا حنيفة عن القياس ويشدد الانكار عليه ويقول بلغني انك تقيس الدين برأيك لا تفعل فان أول من قاس ابليس -١-

وقال له يا ابا حنيفة : ماتقول في محرم كسر رباعية ظبي؟ قال : يا بن رسول الله ما أعلم فيه ، فقال : أنت تتداهي ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية وهو ثني ابدأ -٢-

ويحدثنا ابو نعيم : ان ابا حنيفة وعبد الله بن ابي شبرمة وابن ابي لبلى ، دخلوا على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، فقال لابن ابي لبلى : من هذا معك؟

١- الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٨ ، والحلية ج ٣ ص ١٩٣

٢- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٢ ، وصرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٥

وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠

قال : هذا رجل له بصر ونفاذ في الدين . قال : لعله يقيس امر الدين برأيه ؟ قال نعم ! فقال جعفر لأبي حنيفة : ما اسمك ؟ قال نعمان : قال : هل قست رأسك بعد ؟ قال : كيف اقيس رأسي ؟ ! قال : قال : ما اراك تحسن شيئاً ، ثم جعل يوجه اليه اسئلة فكان جواب أبي حنيفة عدم الجواب عنها فاجابه الامام عنها .

ثم قال : يا نعمان حدثني ابي عن جدي ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أول من قاس امر الدين برأيه ابليس » قال الله تعالى له : اسجد لأدم فقال : ( انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ) فمن قاس الدين برأيه قرنه الله يوم القيامة بابليس لأنه اتبعه بالقياس .

قال ابن شبرمه : ثم قال جعفر ايها اعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال - ابو حنيفة - : قتل النفس . قال - الصادق - : فان الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا اربعة . ثم قال ايها اعظم الصلاة أم الصوم ؟ قال ابو حنيفة الصلاة : قال الصادق : فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة . فكيف ويحك يقوم لك قياسك ! اتق الله ولا تقس الدين برأيك - ١ -

وقد احتفظ لنا التاريخ بكثير من تلك المواقف ، التي كان موقف ابي حنيفة فيها موقف تسليم ، لأنه أمام امر واقع لا مجال للجدل والمناقشة وهو يعرف الامام الصادق وخطته في مناظراته التي لا يريد بها إلا توجيه الأفراد ، توجيهاً صحيحاً وكان بيته يختلط فيه اشتات الناس على اختلاف آراءهم ، ومبادئهم ونحلهم ، وكان ميدان المعترك الفكري واسعاً في جميع الانحاء ، فكان عليه السلام في ذلك العصر مرجعاً لكل مشكلة ومهمة ، يقصده طلاب الحقيقة من الانحاء



القاصية ، ويختلف اليه اهل الجدل والنظر فكان جوابه هو القول الفصل والحكم العدل .

كان الجعد بن درهم من الزنادقة ، وله اخبار فيها ، منها انه جعل في قارورة ترابا وماء ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال : انا خلقت هذا ، لاني كنت سبب كونه ، فبلغ ذلك جعفر بن محمد الصادق (ع) فقال : قولوا له : كم هو ؟ وكم الذكران منه والاناث ؟ إن كان خلقه ، وليأمر الذي يسعي الى هذا ان يرجع الى غيره فبلغه ذلك - ١ - فرجع الجعد عن هذه الفكرة .

ودخل عليه ابن ابي العوجاء وكان ملحداً ، فقال للامام عليه السلام ما تقول في هذه الآية « كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » ؟ هب ان هذه الجلود عصت فعذبت فما بال الغير يعذب ؟ قال ابو عبد الله : ويحك هي هي وهي غيرها ، فقال ابن ابي العوجاء : اعقلني هذا القول فقال عليه السلام : رأيت لو أن رجلاً عهد الى لبنة فكسرها ثم صب عليها الماء وجبلها ثم ردها الى هيئتها الاولى ألم تكن هي هي وهي غيرها ؟ قال : بلى متع الله بك - ١ - .

والغرض ان الامام الصادق (ع) كان في عصره مرجعاً للامة في مهماتها وله مناظرات مع الفرق المختلفة وأهل الأهواء والبدع .

وكان علماء الاسلام يقصدونه فيما اشكل عليهم في امور دينهم فيرجعون منه بالحقيقة ، وكان ابو حنيفة يقصد الامام الصادق ويعتتم فرصة حضوره عنده فيسأله عن مهماته وكان الامام يناظره بامور كثيرة تأتي في موضعها .

١- لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٥

٢- البجارج ٤ ص

ويحدثنا البراز والمكي في المناقب عن اجتماعات ابي حنيفة ، مع الامام الصادق ، عند وروده الكوفة ، وحرصه على الاستفادة منه ، وان كان في بعضها نوع من التحريف ، ولكنها تعطينا صورة عن اقتناع ابي حنيفة باقوال الامام دونما خلاف منه واستعمال مناظرة أو جدل هناك .

وبقي هنا شيء يلزمنا التعرض له لمناسبة الموضوع ، وهو بيان أسباب غضب المنصور على ابي حنيفة ، وسجنه ، فهل كان ذلك لعدم قبوله القضاء أو شيء آخر ؟

اختلفت أقوال المؤرخين في ذلك ، فمنهم من ارجع الاسباب الى عدم قبوله القضاء فقط ، عندما اشخصه المنصور من الكوفة الى بغداد وعرض عليه القضاء ولكنه ابي غيبسه ومات في الحبس ، والزوايات في هذه الحادثة مختلفة ، فبعضهم يرويهما على هذا الوجه ، وآخرون يروون أن المنصور هدده بالضرب ، فقبل القضاء على كره - ١ - ثم مات بعد ايام ، وآخرون يروون ان المنصور انما استقدمه من الكوفة لأنه اتهم بالتشيع لابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فانه اعلن الانضمام لجانب دعوة محمد و ابراهيم ، وافتي بوجود الخروج مع ابراهيم . يحدثنا ابو الفرج الاصفهاني عن عبد الله بن ادريس قال : سمعت ابا حنيفة وهو قائم على درجته ، ورجلان يستفتيانه في الخروج مع ابراهيم ، وهو يقول : اخرجوا . وانه كتب الى ابراهيم يشير عليه ، ان يقصد الكوفة ، وبدخلها سرآ ، فان من فيها من شيعةكم يبيتون ابا جعفر فيقتلونه ، أو يأخذون برقبته ، فيأتونك به ، وكتب له كتابا آخر فظفر ابو جعفر بكتابه ، فسيره وبعث اليه ، فاشخصه وسقاه

شربة فمات منها ١-.

والتسليم لهذه الرواية غير ممكن لأن قتل ابراهيم كان في سنة ٤٥ ووفاة  
ابي حنيفة في سنة ١٥٠ وليس في امكان المنصور التريث في امر ابي حنيفة ، مدة  
خمس سنوات عندما تحقق منه ذلك فانه كان لا يقف عند حد ، في تركيز دعائم  
ملكه ، ولا يتورع في سفك الدماء ، وان له من القوة ما يخول له قتل ابي حنيفة  
بسرعة ، فان بقاءه خطر على الدولة ولا يمكن للمنصور ان يرض عن ذلك ، وقد  
فتك بابي مسلم مع قوته وكثرة جنده ، وفتك بزعماء اهل البيت ، مع علمه بمحاجة  
الموقف ، كما فتك بكثير من الزعماء وذوي الوجاهة ، والنفوذ .

وكان ابو حنيفة من جملة الفقهاء المنتصرين لمحمد و ابراهيم كالك بن أنس  
والأعمش ومسعر بن كدام وعبادة بن العوام و عمران بن داود القطان وشعبة  
ابن الحجاج وغيرهم ، وكان بعضهم حضر حربه (٢) وكانوا يعدون شهداء  
وقعته كشهداء بدر ويسمونها بدر الصغرى وقد رأينا المنصور يرض عن مؤاخذه  
اولئك الفقهاء لأنه بحاجة ماسة لبقائهم والمعاونة معهم وبذلك يقصد ايجاد مجموعة  
منهم لتخفيف خطر انتشار ذكر جعفر بن محمد في الاقطار فقد كان هو الشجى  
المعترض في حلقة .

١- مقاتل الطالبين ص ٢٤٧ .

(٢) كان خروج محمد في المدينة سنة ١٤٤ وبايحه أهل الحجاز ، قال ابن العماد :  
وأحبه الناس حباً عظيماً لما كان فيه من الكمال وخصال الفضل ، ويشبهه النبي في الخلق والخلق ،  
واسمه واسم أبيه . وبايحه المنصور والسفاح ، وكانا من دعائه أيام بني أمية ، وقتل في المدينة  
قتله المنصور الدوانيقي ، وخرج أخوه ابراهيم في العراق بعد قتله وكاد أن يظفر بالمنصور  
لكثرة جيشه ومحبة الناس له وتأيد الفقهاء له نهضته ، ودعوه لدخول الكوفة ليلا فقال  
أخاف أن يستباح الصغير والكبير . وان حادثة ابراهيم ومحمد من أهم الحوادث التاريخية ولم  
تنل نصيبها من التحقيق والبحث .

والحاصل ان غضب المنصور على ابي حنيفة قد اختلفت الاقوال فيه ومهما تعددت الأسباب فيه فالمرجع كله يعود الى مخالفة ابي حنيفة لرأي السلطة التي تريد تجريد العلماء من مواهب الادراك والتفكير ومنعهم من حرية الرأي والصراحة بالحق وعلى كل فقد مضى ابو حنيفة ضحية ذلك المنصور وسطوته .

والى هنا ينتهي البحث عن حياة ابي حنيفة من الوجهة التاريخية وقد اعطينا صورة عن اختلاف الناس فيه من قادح ومادح ومغال ومتعصب وذكرونا طرفاً من أقوال خصومه بدون تعرض لاثباتها أو نفيها وبقيت أقوال المعتدلين فيه ضاق المجال عن ذكرها وستأتي .

وهناك نعطي رأينا فيه ، وقد فاتنا التنبيه عن كنيته بابي حنيفة وذلك انه كان ملازماً للدواة المسماة بلغة العراقيين حنيفة فكني بها أو ان له ابنة اسمها حنيفة ذكر ذلك ابن حجر في الخيرات الحسان .

## فهرسة البحث

— ١ —

اظهار الحقيقة من حيث هي أمر يشق على بعض النفوس التي خضعت لسلطان الهوى وفهمت الأشياء من طريق التقليد ، لا من طريق الثبوت والواقع ، فكان الأثر شيئاً والنتيجة غير صالحة .

وان البحث عن المذاهب هو من أهم الابحاث التي توقع السكاتب في حيرة وارتباك ، لأن مسالك الوصول الى الحقيقة ملتوية ، والحواجز متكاثرة كما اني لا أجعل أهمية الموضوع وخطره ، فهو من أهم أسباب العدا ، والبغضاء ، بين طوائف المسلمين ، وهو منبع التباعد والتضارب ، مما أدى بالمسلمين الى الانحطاط ، واتساع نفوذ اعداء الدين الاسلامي ، في بث روح الفرقة وايقاد نار الخصومة بينهم لانصراف المسلمين ، بكل قوتهم الى الوقية بعضهم ببعض لتأييد كل مذهبه الذي يرتضيه فنشأ من وراء ذلك فتن ونزاع ، وتخاصم واتهام بالسوء ، وفرقة وتباعد ، وتركوا ورائهم الأخذ بما أمرهم الله من الاعتصام بحبل الاسلام وان لا يتفرقوا فتذهب ريجهم ، ويتسلط عليهم عدوهم .

ولم يسعد المسلمون بالتفاهم حول أسباب النزاع ، وعوامل التفرقة ومعالجة مشكلة العصبيات لأن الخلاف اصبح في الجملة طبيعة ارتكازية ، وقد عد ازالته من المستحيل ، وليس كذلك ان تركز البحث على ضوء الأدلة العقلية ،

والشرعية ، والتجرد عن الهوس والعصبيات ، وترك المغالطات واتحاد الهدف ، وهو اظهار الحقيقة وتقبل الحق وان كان مرأ .

وقد مضى زمن رجال وسعوا دائرة الخلاف لیتسع نفوذهم ويتم لهم ما أرادوا في تفریق كلمة المسلمين ، لتركيز دعائم الملك ، وامتداد سلطان الاستبداد إذ اتحاد كلمة الامة يضيق عليهم الدائرة ويرغمهم على اعطاء المجتمع حرية التفكير ، وبذلك تعادل طرق سيرتهم ويقل ضرر استبدادهم .

وهذا الخلاف خلاف غرض أئمة المذاهب ، كيف وقد أصبح اتباعهم في أخذ الأحكام سبباً لانفجار براكين الحقد والكراهية ، واتساع شقة الخلاف ، وتكفير البعض للبعض كما مرّ بيانه ، فحدث من ذلك فساد عظيم وخلقت مشاكل .

اتضح لنا من سير الحوادث اهتمام ولاية الأمر في تلك العصور الى تحويل أنظار الناس عن اتباع أهل البيت ، والأخذ في تعاليمهم ، ووجهوا الناس بكل حول وقوة لمعاداة من اتبعهم في الأحكام الشرعية .

ولما كانت الشيعة متراپطين على الدعوة لآل محمد ، وتقديم مذهبهم على جميع المذاهب التي نصرتها السلطة ، فالشيعة يرون أحقية أهل البيت بالأمر ، وانهم حملة رسالة الاسلام ، ودعاة نشره ، وأولياء أمر الامة يقودونهم الى السعادة ، وينفذون احكام الله ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهم المثل الأعلى في طهارة النفس ، وهم ينبوع فياض تتدفق منه انواع توجيه الحياة الانسانية ، فاتباعهم لازم بدليل العقل والشرع .

لذلك نظرت اليهم السلطة نظر خصم لا تلين قناته ، ولا تعمل الارهابات  
عملها المطلوب وقد عجزوا عن تحويل عقيدتهم الراسخة رسوخ الطود فراحوا  
يلسقون بهم التهم ويتقولون عليهم ، وهم يعلمون عن الشيعة خلاف ذلك ولكنهم  
عرفوا ان تقويم ملكهم وبقاء عزهم لا يتم إلا بالجرام الألسن ، وكم الأفواه ،  
عن المؤاخذات التي توجه اليهم بصفتهن ساسة الأمة وحكام الاسلام وحاولوا افهام  
الناس انهم على الحق وخصومهم على الباطل فطبعوا في قلوب أنصارهم بغض  
المعارضين لهم ، حتى أخرجوهم عن الاسلام ، ووجهوا اليهم كل مكروه ، واتبعوهم  
بالاذى ، وعاملوهم بالقسوة والشدة حتى توصلوا الى مخالفة الأحكام ، وهجر السنن  
الصحيحة عن صاحب الرسالة ، لأن الشيعة قاموا بالعمل بها ، ولنضع صوراً بين  
يدي القارىء من تلك المخالفات .

يقول ابن تيمية (١) في منهاجه عند بيان التشبه بالشيعة : ومن هنا ذهب  
من ذهب من النقباء الى ترك بعض المستحبات ، اذ صارت شعاراً لهم ، فانه  
وان لم يكن الترك واجباً لذلك لكن في اظهار ذلك مشابهة لهم ، فلا يتميز السني  
من الرافضي ، ومصالحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصالحة  
ذلك المستحب .

وقال مصنف الهداية من الحنفية : ان المشروع التحتم باليمين ، ولكن لما

---

(١) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام المتولد سنة ٦٦١ والمتوفى سنة ٧٢٨ .  
قال ابن حجر في فتاواه ص ٨٣ : ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله  
وبنك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ، وهو الذي يذهب الى أن  
النبي لا جاء له ولا يتوسل به وذهب الى الطعن على علي (ع) وعمر بن الخطاب ، وكفر  
فرق المسلمين وله بدع وأقوال شاذة تجد تفصيل ذلك في الفتاوى الحديثة لابن حجر وشفاء  
السقام للسبكي ومقدمة الشفاء للشيخ محمد بن حنيفة والصارم الصقيل للسبكي وغيرها .

أخذته الرافضة جعلناه في اليسار .

وقال الغزالي : ان تسطيح القبور هو المشروع ، ولكن لما جعلته الرافضة

شعاراً لها ، عدلنا عنه الى التسنيم . انظر الغدير ج ١٠ ص ٢١٠

وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن في كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة

المطبوع في هامش ميزان الشعرائي ج ١ ص ٨٨ : السنة في القبر التسطيح وهو

أولى على الراجح ، من مذهب الشافعي . وقال ابو حنيفة وأحمد : التسنيم أولى ،

لأن التسطيح صار شعاراً للشيعة .

وبهذا نعرف مقدار تحملهم من البغض والعداء لشيعة أهل البيت حتى

جرم الأمر الى مناوئة آل محمد واخفاء فضلهم وترك أحاديثهم كل ذلك من

عوامل السلطة .

والغريب أن هذه الحقيقة يقرها الكثير ولكنهم يدهلون عنها ،

ولا يحاسبون أنفسهم على أخطائهم في ذم الشيعة والتعامل عليهم .

ومها يمكن من أمر فان امتحانات الشيعة وما نالهم من الأذى ، أما هو

في سبيل الانتصار لآل محمد ( ص ) والانضمام الى جانبهم وخاضوا تلك المعارك

في سبيل نصرتهم ، ونشر مبادئهم وإلا لو أنهم استجابوا لداعي السلطة ، ورجعوا

في لذة الحياة ، فليس بينهم وبينها إلا النزول على رغبات أولئك القوم الذين

لا يرغبون إلا في القضاء على مبادئ آل محمد ( ص ) ، ومحو ذكركم . لذلك نرى

بعض الملوك أو الامراء الذين كدسوا جهودهم في مقابلة الشيعة والانتصار للسنة

ارتكبوا اموراً منكراً يتبرأ منها الدين الاسلامي يريدون بذلك ادخال الأذى

على الشيعة وارغام أوفهم باظهار ما يبكرهون .

نرى ملوك بني ايوب في مصر الذين سموهم بكل مدح واطروهم بشيء



جميل . اتخذوا يوم عاشوراء يوم سرور ، يسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في  
المطاعم ويصنعون الحلوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون  
الحمام ، جرياً على عادة أهل الشام ، التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن  
مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن ابي طالب الذين يتخذون يوم عاشوراء  
يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي لأنه قتل فيه . يقول : المقرئزي وقد  
ادركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور . - ١ -

ويكفي خصوم الشيعة انهم يسبّرون على ماسنه الحجاج من ذلك الفعل  
القيبيح ، فهل ترى انهم ذهلوا عن قبيح هذا العمل ؟ أم ترى انهم لا يعلمون ان  
هذا الفعل كان يسيء رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ يظهرن الحزن في يوم يسيء  
رسول الله ( ص ) له قبل وقوعه وكان يتألم منه ، وهل جهلوا منزلة الحسين عليه  
السلام ؟ فعمدوا الى هذا الفعل المنكر .

اندفع ولاية الجور المدفاع عن مراكرهم ، والحفاظة عن كيان ملكهم ،  
بيث روح الفرقة بين أفراد الامة ، لحصول غاياتهم التي رأوا استحالة حصولها  
مع الوحدة ، وصبغوا أعمالهم بصبغة دينية ولكنّها في الواقع بعيدة كل البعد عن  
روح الدين ، وقد أفصح لنا التاريخ عن نواياهم السيئة وما يقصدون من وراء  
ذلك ، ووازرهم رجال ابتعدوا عن الحق ، وتهمجوا على الحقائق ، ودعاهم  
جشعهم الى الابتعاد عن حدود الانسانية ، وخلعوا ابراد الحشمة ، واطفأت  
الأطاع شعلة عقولهم ، « فهم في غيهم يعمهون » .

تفرقت الامة كما شاءت السياسة ، وكما شاء ولاية الجور ، بمقتضى العوامل التي وجهوها على هدم كيان الوحدة ، فاتسع الخلاف وعظم الارتباك ، ووقعت الخصومة ، وبين هذا وذاك رفع الاستبداد رأسه واقترس كلما وجده صالحاً للامة . وأصبحت المسألة سيئة الوضع نشأ من ورائها عداة متأصل ، توارثته الاجيال حتى عجز المصلحون عن معالجة مشا كل الامة ، وقد اتخذ المستبدون أعظم وسيلة لتفريق المجتمع الاسلامي ، تقوية لسلطانهم ، وقوة لنفوذهم ، على ممر العصور ، وهم يتظاهرون بحاربة هذه الذنرة ، ولكنهم يبذلون جهودهم في نصرتها من وراء الستار ، باستخدامهم مرتزقة سلبوا مواهب الادراك وفقدوا شعورهم عند حصول تلك الأجرة الزهيدة ، واشتروا الضلالة بالهدى ، يكتبون باقلامهم المسمومة ، ما يشير الشعور ويحرك العواطف ، فكانت لهجتهم لا شعورية ، يتقولون ويفتعلون بدون قيد وشرط تقرباً لآسيادهم .

هذه بين يدي عشرات من تلكم السكتب التي حررتها تلك الاقلام المأجورة ، الفها مخرجون لا يعرفون من الحق موضع أقدامهم يكيلون الدم لامة عرفوا باخلاصهم وولائهم لأهل البيت ، واعتناق مذهبهم الذي تركت دعائه بتعاليم صاحب الرسالة وانتشر بجهود أصحابه ، وقد رأيت السلطة مخالفة ذلك لمصلحهم فجعلوا اتباع النبي ( ص ) وأخذ تعاليمه عن أهل بيته بدعة نظراً لعدم تشريع السياسة لذلك .

ولم يجدوا طريقاً لمؤاخذه الشيعة بأي شيء ، ولكنهم حاكوا لهم التهم ، تقولوا بالباطل وابتعاداً عن الحق ، بل هو تبريج وهوس وحركات لا شعورية ، ومن أعظم تلك التهم التي لصقوها بالشيعة هو قولهم بتكفير الشيعة للصحابة وحكموا عليهم في ذلك بالخروج عن الدين ما أقسى هذا الحكم وما أعظم هذه

التهمة « عفوك اللهم عفوك » .

— ٤ —

أخذت هذه التهمة نصيبها من التهويل وحظها من الشوع ، في عصر اتخذ خصوم الشيعة من سلطانه قوة الانتصار عليهم ، وازداد نشاطهم بتلك المفتريات ، والاتهامات التي سلكوا بها طرق المكر والخداع والتمويه على السذج وعوام الامة ، فتر كرت في أدمغتهم تلك الفكرة السيئة ، وبحكم مؤثرات الدعاية التي بثتها الطبقة الحاكمة ضد الشيعة ، ليثيروا البغضاء ويندروا الحقد ويرزوا للشيعة صورة تشتمن منها النفوس ، فكانت دماؤهم مهدورة وأموالهم مباحة .

ولم تقف الشيعة تجاه هذه المنكرات مكتوفة اليد ، بل دافعت عن مبدئها وعقيدتها بساطع البرهان وقوة المنطق وحاد السيف ، فكانت هناك ثورات يتبع بعضها بعضاً وحروب طاحنة دفاعاً عن المبدأ وحفظاً لكرامة الدين .

ما أقسى هذا الحكم وما أعظم هذه التهم ، ولا تستطيع الشيعة السكوت عليه ، ولكن ماذا تصنع وزاوية التعصب مفتوحة يطل منها أولئك الحول القلب الذين يقرون الكذب .

ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق ، ربنا لا تزرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ربنا إنا آمننا بك واتبعنا نبيك ، ووالينا اصحابه الذين نهجوا نهجه ، واهتدوا بهديه وسمعوا دعوة الحق فلاقتها نفوسهم بكل قبول وصدق ، واخلاص بالقول والعمل ، ونظروا المصلحة المسلمين قبل مصالح أنفسهم أولئك هم اصحاب محمد (ص) « أشداء على الكفار رحماء بينهم ينتفعون فضلا من الله ورضوانا » سبقوا الى الاسلام وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم ، ونشروا الدين وأظهروا شعائر

الاسلام ، وأقاموا الفرائض ، وأحيوا السنن ، آمنوا بمحمد (ص) ونصروه ،  
واتبعوا النور الذي انزل معه فايدت نبيك فيهم ، والفت بين قلوبهم فاتحدوا  
وآزرروا ونصروا وصدقوا ما عاهدوا عليه الله ربنا انا آمننا بنبيك ، وتبرأنا من  
المنافقين الذين مردوا على النفاق ، ونصبوا للنبيك الغوائل ، ولم يؤمنوا ايمان القلب  
والجنان ، بل ايمان الشئمة واللسان فاخبرت نبيك عنهم « اذا جاءك المنافقون قالوا  
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ،  
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون »  
الذين « يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى  
يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ، مذنبين بين ذلك لا الى هؤلاء  
ولا الى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا »  
وتبرأ من الذين شاقوا رسولاك « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له  
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصه جهنم وساءت مصيرا » .

\* \* \*

حقاً انها مؤاخذة عظيمة ، لو كان لها من الصحة نصيب ، ولكنها فرية  
وبهتان ، بعثتها الأغراض ، وأوحيتها الأوهام والخيالات ، فتوارثتها الأجيال ،  
ولو تناولتها الأقلام الغير الماجورة لقبرتها في مقرها الأخير .  
أتكون الشيعة يميلها عن معاوية وحزبه ، ومناقشتهم على اجرامه ، نقاشاً  
علمياً يتركز على حرية الرأي مجرمة في نظر العدالة ، ويحكم عليهم بعدم الاستقامة  
فتطرح رواياتهم ، نصفاً باحكام الجرح والتعديل ؟ فهل القيت أقوال من تجرأ على  
سب علي وبغضه والخط من كرامته ؟ لا لا انه مقبول القول ثقة في الرواية ، ويقال  
انه حسن الاعتقاد ، ناصر للسنة . ولا يسعنا التوسع بالبحث في هذا الموضوع فهو

واسع ، وستأتيك أسباب توجه التهمة الى الشيعة في ذلك ونوقفك على الافتراء فيها والى اللقاء في الجزء القادم ان شاء الله .

وكنا نظن ان تلك المفتريات ذهبت مع تلك العصور التي اقتضت اختراعها وافتعالها لتفريق صفوف الامة ، وكنا نتخيل انها قبرت مع أصحابها ومرت على عجلة الزمن ، فابتعدنا عنها ونحن بعصر انطلاق حرية العقل ، ورفع حواجز السلطة وازالة ستار التمويه ، وبمزيد الاسف اننا نجد حثالة يريدون إحياء تلك النعرات ، ويعيدون تلك العصور الغابرة ويضربون على وتر العصية .

وليس من أصل . موضوعي التعرض لأقوال المهرجين فان سلة المهملات لا تضيق عنهم ولكن هناك نفر يعنى بهم سنشير لأقوالهم بل لتقولاتهم في الجزء القادم إن شاء الله .

والى هنا ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله الذي ارسله « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

والتحية الدائمة على آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

تفضل صديقنا الاستاذ الكبير الشيخ محمد الخليلي بهذا التاريخ حين  
طبع الكتاب فله الشكر .

كم تفعل الأهواء في أنفسكم  
تميل للباطل طبعاً ولن  
ألا تراها اختلفت امة  
فاعرضت عين عذبه وارثوت  
ضلت ولم تهد بنور الحجا  
فاستخبر التاريخ إذ أظهر الـ  
واستوضح الكتاب إذ صرحوا  
وانظر الى السلاطة في عصرها  
قد فرق الطامع مجموعة  
فقيام داعي الحق يدعو الى  
وقال في تاريخها ( إنه

لما بها أمست لها طبعه  
ترغب للحق ولن تتبعه  
كانت بماء واحد مترعه  
من آسن ما حققت منبعه  
لما أضاعت للحجا موضعه  
خلف وأبدى تكم المعمه  
عما أثار الحقدمن زوبعه  
كيف استباححت للهدى مصرعه  
ونال في تفريقها مطعمه  
الوحدة في الامة كي تسمعه  
الصادق والمذاهب الأربعة )

## فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

الاهداء

الصادق بين عهدين

٩

١ — العهد الاموي

بنو امية في عهد عثمان

١١

٢ — علي ومعاوية ، مبايعة معاوية لطلحة والزبير

٣ — طالب معاوية بدم عثمان ، موقف عائشة ، عمرو بن العاص والفتنة ،

١٥

أهل الشام يطالبون علياً بالقود

٢١

٤ — معاوية والخلافة ، أعمال معاوية ، بيعة يزيد

٢٥

٥ — تحويل الأمر من آل ابي سفيان الى بني الحكم

٢٦

٦ — ولادة الامام الصادق . ونشأته ، عصر الامام الصادق ، الفترة السعيدة

٣١

٢ — العهد العباسي

السفاح ، المنصور ، أعماله ، حملة لبني الحسن

٣٦

٣ — الصادق ومشاكل العهدين ، اتهام المنصور له

الامام العاصم

تاريخ حياته ، أقوال العلماء فيه ، خطأ المؤرخين في نسبة الزجر والقال اليه ٤١

الصفحة

٥٨

مروسة

٦٠

نظامته ورواة هريته

٧٠

مع البخاري

نقده بصراحة ، الاعتقاد بصحيحه ، رواته من النواصب والقدرية ،  
والضعفاء والسكذابين

آية النظرير

تخريج الحفاظ لها وانها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين

٦٨

هريته الغدير

رواته من الصحابة ، مناشدة أمير المؤمنين به في موطن عديدة ، خطبة  
النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير ، عناية الشيعة بعيد الغدير ، موقف  
خصوم الشيعة في ذلك

٩٣

هريته الثقلين

طريق تخريجه

ملوك عصره وامراء يلمه

١ — معارضة الامام الصادق لهم ، تعاليمه ونهييه عن الاتصال بهم

٢ — عبد الملك بن مروان ، الحجاج بن يوسف ، الوليد بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ونهييه عن شتم علي ، هشام

١٠١

ابن عبد الملك ، الوليد بن يزيد



الصفحة

١١١

اصراء بلرم

ابان بن عثمان ، هشام بن اسماعيل ، عمر بن عبد العزيز ، عثمان بن  
حيان ، ابو بكر محمد بن حزم ، عبد الرحمن بن الضحاك ، عبد الواحد  
النظري ، ابراهيم بن هشام ، خالد بن عبد الملك ، محمد بن هشام

١١٥

موقف الامام الصادق

الامويون وعدائهم لأهل البيت ، العباسيون ، العلويون ومواقفهم ،  
تشجيع السلطة لأعداء أهل البيت ، المعارضة لنشر مذهبهم

١٢١

المذاهب الاربعة

- ١ — نشأة المذاهب
- ٢ — المدينة مصدر الفتيا ، نشاط الحركة العلمية
- ٣ — الرأي والقياس ، أهل الحديث وأهل الرأي ، اصحاب الحديث ،  
اصحاب الرأي
- ٤ — انتشار العلم وكثرة المذاهب ، رؤساء المذاهب البائدة

١٣٧

عوامل الانتشار

- ١ — مذهب ابي حنيفة ، ابو يوسف ، منزلته في الدولة ، نشره للمذهب ١٣٩
- ٢ — مذهب مالك ، عوامل انتشاره ؟ في افريقيا والاندلس ١٤٣
- ٣ — مذهب الشافعي ، عوامل انتشاره ، تعصب المالكية عليه . ١٤٩
- ٤ — مذهب أحمد ، ظهوره ببغداد . ١٥١

الصفحة

- ٥ — العوامل العامة، غلق باب الاجتهاد، ترك سائر المذاهب والالزام بالمذاهب الأربعة فقط .
- ١٧٥ **فصل في التمسك بالجماعة**
- تشجيع المذهب الحنفي دون غيره ، الانتقال من مذهب لمذهب .
- ١٦٠ **بين الاجتهاد والتقليد**
- ١ — كلمات أئمة المذاهب في عدم تقليدهم ، كلمات بعض العلماء في فتح باب الاجتهاد .
- ٢ — الذين يحاولون الجود على التقليد ، الاجتهاد ، التقليد .
- ١٧٢ **بين المزايا**
- ١ — النزاع ، كلمة الدهلوي ، كلمة الخطابي .
- ١٧٣ — التطاحن والتشاجر ، الحنابلة في بغداد ، تكفير الفرق بعضها لبعض ، ١٧٧
- التعصب .
- ٣ — عوامل التفرقة ، التعصب لأئمة المذاهب، العداة بين الحنفية والشافعية ١٨٢
- ٤ — حركات التعصب ، محنة القول بمخلق القرآن . ١٩٠
- ٥ — بين السنة والشيعة . ١٩٣
- ١٩٨ **المزايا**
- انتشارها في الأقطار الاسلامية .

الصفحة

٢٠٤

انتشار المراسم

لترويج المذاهب الأربعة .

٢٠٧

المذهب الجعفري

٢٠٩

١ — نشأته وعوامل انتشاره ، هو مذهب أهل البيت

٢١١

٢ — العداة لأهل البيت ، معاوية ومعارضته .

٢١٥

٣ — بذرة التشيع ، النبي (ص) واصحابه في نشر المذهب ، ابن خلدون وخطأه

٢١٨

في ادوار التاريخ

٢١٩

١ — نتائج الحركة الفكرية ، معارضة المنصور للمذهب ، الرشيد ومعارضته

٢٢٢

المهدي وشريك القاضي .

٢ — تغلب المذهب الجعفري ، موقف المأمون ، أيام المعتصم ، أيام المتوكل

٢٢٥

المعاملة القاسية .

٣ — الشيعة ونصرة أهل البيت ، الأحاديث الواردة عن النبي (ص)

في أهل البيت ، الشافعي والتشيع .

٢٣٣

الغلاة

موقف أهل البيت وكلماتهم في ذم الغلاة ، اسطورة عبد الله بن سبأ ،

الحاق الغلاة بالشيعة حركة سياسية ، كلمة الامام كاشف الغطاء ،

قول محب الدين الخطيب وطعنه على الصحابة .

الصفحة

٢٤٢

من فقه المذاهب

العدول عن المذاهب الأربعة بمسائل .  
العدول عن المذهب الجعفري باربعة مسائل - ١ - المتعة - ٢ - وقوع  
الطلاق الثلاث واحدة - ٣ - المسح على الرجلين - ٤ - الأذان ، وبيان  
ذلك انه عدول عما شرعه الله ورسوله .

٢٥٥

انتصار المذهب الجعفري

في الحجاز ، والشام ، وجبل عامل ، وحمص ، وحلب ، وافريقيا ،  
ومصر ، والهند ، والقطيف ، والاحساء ، وقطر ، وامريكا ، والصين  
وروسيا . والعراق . وايران .

٢٥٨

انصية الحساب

١ — أسباب الخلاف . عوامل التفرقة .  
٢ — الدولة والعقائد ، حراجة الموقف . الاتهام بالتشيع ، ضحايا المبدأ  
مواقف الشيعة ، الاحاديث في مدح علي وشيعته ، التحريف ،  
الحكم الجائر .

٢٧٧

لجنة الوضع

الكذب على الله ورسوله . وضع الاحاديث تقرباً للسلطان .  
المستخدمون لهذا الغرض ، عدد الاحاديث المكذوبة .

الصفحة

٢٨٥

المذاهب الاسلامية

المذهب الجعفري ، المذهب الحنفي ، المذهب المالكي ، المذهب الشافعي  
المذهب الحنبلي .

٢٨٧

ابو حنيفة

١ — التعرف عليه .

٢٨٩

٢ — من هو ابو حنيفة ، نسبه ، اسطورة وخرافة .

٢٩٣

المناقب

مشكلة المناقب ، البشائر بآبي حنيفة ، حديث السراج ، محي السنة  
غياث لكل مهموم ، من هو ابو البخترى .

٣٠٥

بين اطمر والجزر

تقديم وتأخير ، المد والجزر في الاعمار .

٣٠٨

سماعه من الصحابة

بيان ذلك غير صحيح ، والروايات لا أصل لها .

٣١٢

ابو حنيفة

بين أنصاره وخصومه ، المغالون فيه ، ابو حنيفة يعلم الخضر (ع)  
الطعون على آبي حنيفة ، المؤاخذات عليه .

الصفحة

٣١٨

ابو حنيفة

٣١٨

١ — نشأته ونبوغه ، شيوخه وتلامذته .

٣٢٠

٢ — الحركة الفكرية ، العرب والموالي .

٣ — اتجاه ابي حنيفة للفقہ .

٤ — فقه ابي حنيفة لم يعرف إلا من أصحابه ، الذين دونوا الكتب في

المذهب ، مخالفة أصحابه له ، ادخال الحديث في فقه أهل الرأي .

٣٣٦

مريته

الصحيح لم يخرج له ، ابو حنيفة والقياس ، قلة روايته .

٣٤٠

مع الامام الصادق

دخول ابي حنيفة على الامام الصادق ، نهي الصادق له عن القياس بيان

أسباب غضب المنصور على ابي حنيفة .

٣٤٧

فهرسة البحث

وفيه أربعة فصول

استدراك وتصويب

صواب	خطأ	ص	ص
جعفر بن محمد	جعفر محمد	١٧	٣٢
النفسية	الجنسية	١١	٣٣
الذين	الذي	١٠	٤٣
عثمان بن حريز	حريز	٧	٧٦
صدرت	صدر	٢٤	٨٨
مجلداً	مجلد	٢٤	٨٨
حديث الثقلين	الثقلين	١	٩٢
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	يزيد بن عبد الملك	١	١١١
المتعصم	المتعصم	٣	١٥٣
التشيع	التشيع	٣	١٩٦
في عهد الصحابة	عهد الصحابة	٦	٢٠٩
الاسلامية	الامية	١٢	٢٢٤
هو	هي	١٣	٢٦١
امر	امراً	١٨	٢٦٤
ابويحيى الحماني	يحيى الحماني	٧	٢٧٠
لابني عمر	لابن عمر	٢٤	٣١٥

### مكرويات

إياكم وظلم من لا يجد عليكم ناصراً إلا الله .  
العامل بالظلم والمعين له والراضي به كلهم شركاء .  
أتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد الى السماء .  
إن الامامة لا تصاح إلا لرجل فيه ثلاث خصال ، وزع يحجزه عن المحارم ،  
وحلم يملك به غضبه ، وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون له كالوالد الرحيم .  
إن من حقيقة الايمان أن تؤثر الحق وأن ضرك على الباطل وإن نفعك ،  
وان لا يجوز منطقتك علمك .  
ماضعف بدن عما قويت عليه النية .

الامام الصادق



## آثار المؤلف

- ١ — عائشة والتشريع الاسلامي لم تطبع
- » ٢ — عبد الرحمن بن عوف
- » ٣ — بنو أمية في التاريخ
- » ٤ — المختار من صحاح الأخبار
- » ٥ — منهاج السعادة أخلاق

انتظروا صدور

الشيعة

في قفص الاتهام

# مفاتيح الآيات

١ - ربح كل ما كان في شتاء فتاة -

٢ - مفيد في ربح المال -

٣ - ربح كل ما كان في ربح -

٤ - ربح كل ما كان في ربح -

٥ - ربح كل ما كان في ربح -

المفاتيح الآيات  
١ - ربح كل ما كان في ربح -

٢ - ربح كل ما كان في ربح -

٣ - ربح كل ما كان في ربح -

٤ - ربح كل ما كان في ربح -



**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

الشيعة في قفص الاتهام  
للمؤلف

كتاب علمي يتكفل الرد عما قاله خصوم الشيعة — قديماً وحديثاً —  
من الشبه الملتصقة بهم رداً بالطرق العلمية والأدلة المنطقية إظهاراً للحقيقة  
وطلباً للوحدة .

BP  
193  
.16  
.A3  
H39  
1956  
v.1  
c.1